

بسم الله الرحمن الرحيم

وَرَوَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ
وَالْإِسْلَامِيُّ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ

معجم البحار

البحر الأول

تأليف

سَيِّدُ السَّادَةِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ

مُتَقَدِّمًا

تَرْجُومَةً

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبَّارٍ

وَالْإِسْلَامِيِّ

A white rectangular label is affixed to the bottom right corner of the book cover. It contains a standard 1D barcode with the number 0104212 printed below it. To the right of the barcode is a small circular logo featuring a stylized building, and next to that, the text "Bibliotheca Alexandrina" is printed in a serif font.

0104212

Bibliotheca Alexandrina

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَعْرِفَةُ الْمَعَادِ

الحسيني الطهراني، السيد محمد الحسين، ١٣٤٥ هـ - هـ
معرفة المعاد / لمؤلفه السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني - بيروت:
١٤١٥ هـ - هـ
ج ١٠ - (دورة العلوم والمعارف الإسلامية : ٣)
الطبعة الأولى : ١٤١٥ هـ - ق .

العنوان .

٢٩٧/٤٤

BP٢٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم
مؤسسة ترجمه ونشر دورة علوم ومعارف اسلام
تأليفات
عبدالله بن علي بن محمد بن الحسين بن الطهراني

دورة العلوم والمعارف الإسلامية (٣)

معرفة المعاد

المجلد الأول

المؤلف : سماحة العلامة آية الله الحاج السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

تعريب : عبدالرحيم المبارك

الطبعة الأولى : ١٤١٦ هجرية

عدد النسخ : ٢٠٠٠

الناشر : دار المحجة البيضاء

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

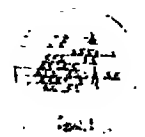
تمت ترجمة و طبع هذا الكتاب بإشراف «مؤسسة ترجمة ونشر دورة العلوم
و المعارف الإسلامية» من تأليفات سماحة العلامة آية الله الحاج السيد
محمد الحسين الحسيني الطهراني .

٢٢٣٣
٧١

هو العلي

٣
مكتبة المعارف الإسلامية

معرف المعارف



المجلد الأول

General Organization for the Study of Islamic Sciences (GOAIS)
Cairo, Egypt

تأليف

سماعة العلامة آية الله الحاج السيد محمد الحسيني الطهراني

منظلة العالي

تقديم

عبد الرحيم مبارك

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية	
رقم التصنيف	297.23
رقم التسجيل	٢٠٥٢ ٤٠٩٨٢

دار الرسول الكريم

دار المحجة البيضاء

مكافئة الحقوق محفوظة
الطبعة الاولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م



دار المدينة اليهودية، للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٤٧٩

الفهرست

فهرس المطالب و الموضوعات

معرفة المعاد

المجلد الأول

المطالب	الصفحة
مقدمة المؤلف	صفحة ٣ الى صفحة ٥
المجلس الأول :	

في الحقائق و الاعتباريات

صفحة ٩ الى صفحة ٣٦

يشمل المطالب التالية :

١١	أفضلية الإنسان على الملائكة .
١٣	الأمر الاعتبارية هي هوة الحقيقة و حافتها .
١٥	أدنى العوالم حكومة منطق الحس .
١٧	الدين هو منظم العلائق بين الأمور الحقيقية و الاعتبارية .
١٩	الفرق بين المؤمن و الكافر في اتباع العقل و الحس .
٢١	تقسيم المراحل الاعتبارية طيلة حياة الإنسان من وجهة نظر القرآن الكريم .
٢٣	قصة الرجل العجوز و هارون و الأمل البعيد .
٢٥	تمثيل الحياة الدنيا في القرآن بالنباتات اليناعة و جفافها .
	استنباط لطيف للعلامة الطباطبائي مدّ ظله من القرآن في أنّ الآخرة هي باطن
٢٧	الدنيا .
٢٩	معنى كون الدنيا زينةً و غروراً .
٣١	إِغْلُمُوا أَنَّمَا الدُّنْيَا تُطْلَبُ لِثَلَاثٍ : لِلْعَمَلِ وَ الْغِنَى وَ الرَّاحَةِ .

معرفة المعاد (١)

المطالب	الصفحة
تأثير ميزان التعلّق بالدنيا في سهولة الموت و صعوبته .	٣٣
أفضل الأعمال الإجتناّب عن المحرّمات ؛ و خطبة رسول الله في شهر شعبان .	٣٥

المجلس الثاني

في الحياة المؤقّته و الحياة الدائمة

صفحه ٣٩ الى صفحه ٥٧

يشمل المطالب التالية :

- ٤١ الدنيا ظاهر الحياة ، و الآخرة باطنها .
- ٤٣ استعصاء لغز الموت على الحلّ لدى الفلاسفة .
- ٤٥ قصّة النبي سليمان مع الرجل الخائف وملك الموت .
- ٤٧ معنى نوعي الأجل في القرآن الكريم : الأجل و الأجل المسمّى .
- ٤٩ معنى الأجل و الأجل المسمّى .
- ٥١ مقولة ابن سينا في علّة خوف الناس من الموت .
- ٥٣ الإشتياق للموت هو معيار القرآن في معرفة المؤمن .
- ٥٥ خطبة أمير المؤمنين عليه السلام المتضمّنة أنسه بالموت .
- ٥٧ معنى أشقى الآخرين ، وإخبار الإمام عن شهادته على يد ابن ملجم المرادي .

المجلس الثالث :

في علّة الخوف من الموت

صنحه ٦١ الى صفحه ٨٩

يشمل المطالب التالية :

- ٦٣ نظريّتان مختلفتان لابن سينا و صدر المتألّهين في كيفيّة حدوث النفس .
- ٦٥ نتيجة واحدة لكلتا النظريّتين في انتقال الروح بعد الموت الى عالم الملكوت .
- بيان معنى رواية : أكيس المؤمنين أكثرهم ذكراً للموت و أشدهم استعداداً له .
- ٦٧
- ٦٩ عدم إمكان معرفة أحوال ما بعد الموت الآ بالتجريد .

فهرس المطالب و الموضوعات

المطالب	الصفحة
لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ أَشْبَهَ بِشَكِّ لَا يَتَقَيَّنَ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ .	٧١
السبب الحقيقي لخوف الناس من الموت .	٧٣
صعوبة الموت لغير المؤمن بسبب العلائق الدنيوية .	٧٥
اشتياق المؤمن للموت .	٧٧
قصة المرحوم الحاج مؤمن الشيرازي و ملاقاته لأحد أولياء الله في طريق مشهد المقدسة .	٧٩
قصة المرحوم الحكيم الهيدجي و الموت الاختياري .	٨٣
قصة المرحوم الحاج هادي الأبهرى و المرحوم آية الله الشيخ مرتضى الطالقاني .	٨٥
إخبار المرحوم آية الله الشيخ مرتضى الطالقاني عن موته	٨٧
كلام الإمام السجّاد عليه السلام في كيفية إشراق سيماء سيد الشهداء عليه السلام .	٨٩

المجلس الرابع :

في أنّ العمر هو الرأس مال الأفضل لتكامل الإنسان و تساميه

صفحه ٩٣ الى صفحه ١٢٠

يشمل المطالب التالية :

مقولة أبي ذر في علّة الخوف من الموت .	٩٥
العمل بالحقّ صعب و بغير الحقّ سهل و ملائم للنفس .	٩٧
الحياة على الأرض على أساس التقوى و العدالة ليست حياةً دنيوية .	٩٩
لقاء محمّد بن المنكدر مع الإمام الباقر عليه السلام .	١٠١
البدن آلة رقيّ النفس و تكاملها .	١٠٥
إخبار الرسول الأمين بعوالم ما بعد الموت .	١٠٧
كلام أبي علي سينا في وجوب جعل المسموعات ممكنةً لحين إقامة البرهان العقلي .	١٠٩
قصة المرحوم المحدث القميّ في وادي السلام في النجف الأشرف .	١١١

معرفة المعاد (١)

المطالب	الصفحة
قصّة المرحوم عاية الله الكلبيكاني في مقبرة «تخت فولاد» أصفهان .	١١٣
لقاء عاية الله الكلبيكاني مع الأرواح في وادي السلام .	١١٥
لقاء المرحوم عاية الله الكلبيكاني بحوريات الجنة .	١١٧
إخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن شهادته .	١١٩

المجلس الخامس :

في تجانس النوم والموت

صفحة ١٢٣ الى صفحة ١٥٢

يشمل المطالب التالية :

الموت والنوم يتيمان الى مقولة واحدة باختلاف الشدة والضعف .	١٢٥
الموت تطهير وتزكية للإنسان .	١٢٧
الموت هو نوم ثقيل ، والنوم هو موت خفيف .	١٢٩
تمثيل نوم الإنسان وموته بالمراحل المختلفة لدودة القز ، والتشابه بينهما .	١٣١
ثلاث مراحل وجودية للإنسان : الطبع و المادة ، الذهن والبرزخ ، الروح و النفس .	١٣٥
الأفعال التي يفعلها الإنسان النائم في حال الرؤيا والموت ، يفعلها ببدنه المثالي .	١٣٧
رؤيا عجيبة لأحد الأرحام ذات دلالات كثيرة على عالم الغيب .	١٣٩
حُلم ورؤيا في زمن قصير .	١٤١
سعة الاطلاع حال التجرد و خلع المادة .	١٤٣
عتب والد العلامة الطباطبائي بواسطة الارتباط بعالم الغيب .	١٤٥
الارتباط بالأرواح في عالم النوم .	١٤٧
قصة رؤيا والد المرحوم عاية الله الشيخ أقا بزرگ الطهراني بشأن زوجته	١٤٩
خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في شأن الموت ؛ و معنى «إِنَّ وَرَاءَ كُلِّ سَاعَةٍ تَتَّخِذُكُمْ» .	١٥١

فهرس المطالب و الموضوعات

المطالب الصفحة

المجلس السادس :

فعل ملائكة قبض الأرواح و ملك الموت عين فعل الله سبحانه .

صفحة ١٥٥ الى صفحة ١٨٨

يشمل المطالب التالية :

- ١٥٧ فعل ملك الموت عين فعل الله تعالى .
- ١٥٩ أفعال الموجودات عين فعل الله بنسبتين .
- كيفية ظهور نور الفعل الالهي في مظاهر عالم الإمكان و نشأة الموجودات .
- ١٦١
- ١٦٣ كيفية قبض ملك الموت أرواح أفراد كثيرين في لحظة واحدة .
- تمثيل قبض ملك الموت و أعوانه أرواح الخلائق بمحطة الطاقة الكهربائية .
- ١٦٥
- ١٦٧ عدم التضاد أو التزاحم في عالم المعاني و المجزئات .
- ١٦٩ كيفية طلوع و ظهور نور واجب الوجود في ملائكة قبض الأرواح .
- ١٧١ ليس كل العلم يستطيع صاحب العلم أن يفشره لكل الناس .
- ١٧٣ قبض الروح من قبل موجودات أفضل من الملائكة موسومة بـ«العالين» .
- قصة إحياء أسد منقوش على ستر على يد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام .
- ١٧٥
- ١٧٧ قصة المرحوم القاضي و مثال لتجلي إسم «المُमित» و إمارة الحية .
- ١٧٩ قبض أرواح المقرئين للعرش الإلهي يحصل بيد الحق جلّ و عزّ .
- ١٨١ تجلي ملك الموت لإبراهيم الخليل عليه السلام في هيئة مُنكرة .
- ١٨٣ ملك الموت كالمرأة التي يرى المحتضر فيها نفسه .
- ١٨٥ المَلَك و الشيطان لا يغيران شكلهما في ذاتهما و جوهرهما .
- ١٨٧ وعد أمير المؤمنين عليه السلام بالحضور عند جنازة المحتضر .

المجلس السابع :

في أنّ قبض الروح و مشاهدات حال النزاع تحدث بالباطن

معرفة المعاد (١)

الصفحة

المطالب

صفحه ١٩١ الى صفحه ٢٢٠

يشمل المطالب التالية :

- ١٩٣ الزمان و المكان هما علة حجاب الموجودات المادية .
- ١٩٥ اختلاف كيفية قبض أرواح المقرّبين و أصحاب اليمين و المكذّبين .
- ١٩٧ المشاهدات في حال الاحتضار تحصل بالعين الملكوتية .
- ١٩٩ الدنيا و الآخرة عالمان مختلفان موضوعاً .
- ٢٠١ في الآخرة يُسأل عن بضاعة العبوديّة و التقوى لا غيرها .
- ٢٠٣ التعيّنات الدنيوية بضاعة كاسدة في تلك الحياة .
- ٢٠٥ كيفية قبض أرواح الظالمين في منطق القرآن الكريم .
- ٢٠٧ شؤون الآخرة متناسبة معها .
- ٢٠٩ خطبة مفصلة لأمر المؤمنين عليه السلام في كيفية حال الاحتضار .
- ٢١١ خطبة مختصرة للإمام في الإعتاظ و الإعتبار و الإستعداد للموت .
- عيادة رسول الله (ص) لأمر المؤمنين عليه السلام ؛ و شرح مطالب تتعلّق بالموت .
- ٢١٣
- قصة الملاقة مع ملك الموت و الخمسة الأطهار و الإمام موسى بن جعفر عليهم السلام .
- ٢١٥
- قصة ملاقة زوجة أحد أعظم النجف، مع أمير المؤمنين في سكرات الموت ٢١٧
- لقد ورد في كثير من الروايات ان امير المؤمنين يحضر عند جسد المحتضر .
- ٢١٩
- فهرس التأليفات
- ٢٢٣

لِقَائِهَا

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً و شكراً يفوق العدّ و الحصر ، مختصاً بالربّ الودود ذي الجلال
و الإكرام البارئ المتان ، الذي هدى البشر بعد الخلقة و الهداية التكوينية ،
و خلع عليه خلعة الحركة الى الكمال بالهداية التشريعية ؛ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ
آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

و أظهر و أسمى الصلاة و التحية و الإكرام على أنبياء الله و أصفياه
و سبل الهداية إلى معارفه الحقّة ، الذين قادوا البشر بهدايتهم من ظلمات
الجهل إلى وادي أنوار العلم و المعرفة الالهية ، و فكّوا عقالة من الجمود
و الركود ، ليحلّق في مقام سعة إطلاق الحقائق و الواقعيّات و فتحها .

و خاصّةً خاتم الأنبياء و سيّد المرسلين محمّد بن عبد الله صلّى الله
عليه و آله و خليفته سيّد الوصيتين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب
و أولاده الأحد عشر الأماجد ، الذين أناروا العالم بنور وجودهم الواحد تلو
الآخر ، و قادوا قافلة البشرية - بتحمّلهم أعباء الخلافة و الأمانة الالهية - إلى
ميقات الله و لقاءه ، و الذين أوصلوا طنين جرس هذه القافلة الى أسماع
العالم كلّه .

اولئك الذين أدخلوا في قلوب الناس النور و السرور و الحبور
من النفحات القدسيّة ، و ألحقوا تلك القلوب بمقام عزّ الله ، و أشاروا بصدق
ودقة الى سبيل تخطّي عقبات النفس المخوفة و منعطفاتها الموهلة ،
و عرّفوا الإنسان بالمراحل و المنازل التي تتضمّن المسيرة ، و هدوه الى

معرفة المعاد (١)

آخر منازلہ ، أي مقام المقرّبين و الصّديقين و المخلّصين في حرم أمن و أمان الخالق الجميل و الجليل . فَلِلّهِ ذَرْهُمْ وَ عَلَيْهِ أَجْرُهُمْ و سلامه عليهم أجمعين .

و لقد شمل التوفيق الإلهي حال هذا العبد الفقير ، ليقوم بشكل منتظم في أيام شهر رمضان المبارك لسنة ١٣٩٦ ، و في ليالي نفس الشهر لسنة ١٣٩٩ هجرية قمرية ببيان بحث المعاد ؛ و هو من بين أشرف و أجمل البحوث العقائدية ؛ لجمع من إخوة الإيمان و أخلاء الروح . و الحمد و الشكر لله الرحمن الرحيم الذي من بتأييداته التي لا نفاذ لها ، و بتسديداته التي تكثر بها ليصار الى تدوين هذه المذاكرات و كتابتها على هيئة مجالس ، لتكون و اعزاً للذكرى للحقير نفسه و لإخوة الإيمان الأعزاء المحترمين . و ستبين هذه المجالس التي تجاوزت الستين بقليل كيفية سير الإنسان و حركته في دنيا عالم الغرور و كيفية تحوّل نشأة الغرور الى عالم الحقائق و الواقعات ، ثم ارتحال الإنسان إلى الله و غاية الغايات .

و ستضمّ هذه المجالس بالترتيب بحوثاً عن عالم الصورة و البرزخ و كيفية ارتباط الأرواح هناك بهذا العالم ، و عن كيفية خلق الملائكة و وظائفهم ، و عن نفخ الصور و موت جميع الموجودات ، ثم بعثها جميعاً و قيام الإنسان في محضر الذات الأحدثية ، و عن عالم الحشر و النشر ، و الحساب و الكتاب ، و الجزاء و العزّض ، و السؤال ، و الميزان ، و الصراط ، و الشفاعة ، و الأعراف ، و الجنة و النار .

و قد ضمت هذه المجالس قدراً وافرأ من الآيات القرآنية و أخبار المعصومين كما اشتملت على الأدلة العقلية و الفلسفية و المطالب الذوقية و العرفانية ، و لم يقصر فيها عن ذكر المسائل الأخلاقية و المواعظ أيضاً في حدود الإمكان .

مقدمة المؤلف

و ستكون هذه الأبحاث في حدود عشر مجلدات تشكل قسم (معرفة المعاد) من سلسلة العلوم و المعارف الإسلامية .
و تضم هذه الدورة في سلسلة العقائد ثلاث دورات : «معرفة الله» ، «معرفة الإمام» ، و «معرفة المعاد» ، كما تشمل في قسم الأحكام و المسائل بحوثاً عن القرآن الكريم و المسجد و الدعاء و الصلاة و الصيام و الأخلاق و بعض المسائل الأخرى ، يُرجى أن تصبح تدريجاً - بحول الله وقوته - مورد استفادة عموم الناس

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .
رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ .
وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ وَ عَلَيْهِ التَّكْلَانُ .

السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

الجلس الأول

في الحقائق والأعتباريات

بسم الله الرحمن الرحيم

و به نستعين

(ألقيت هذه المطالب في اليوم الأول من شهر رمضان المبارك لسنة ١٣٩٦)

و الحمد لله رب العالمين و لا حول و لا قوة الا بالله العلي العظيم

و صلى الله على سيدنا محمد و آله الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ *
وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ
رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ
غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ .

يُقسم الله سبحانه في هذه السورة ؛ وهي السورة الخامسة و التسعين
من القرآن الكريم ؛ بالتين و الزيتون ، و المراد^١ بهما هاتان الفاكهتان
المعروفتان ، أو شجرتاهما ، أو جبل التين الذي تقع على سفحه مدينة
دمشق و جبل الزيتون الذي على سفحه مدينة بيت المقدس و هما مبعث
جمع غفير من الأنبياء و المرسلين ، و يُقسم بطور سيناء الذي كان موضع
مناجاة موسى كليم الله على نبيتنا و آله و عليه السلام ، و بمدينة مكة
المكرمة و هي البلد الأمين الذي جعله الله حرماً آمناً .

١- تفسير الميزان ، طبعة الآخوندي ، ج ٢٠ ، ص ٤٥٤ .

معرفة المعاد (١)

في الحقائق والاعتبارات

و يقول : لقد خلقنا الإنسان في أفضل^١ قوام في الوجود و الباهية ، وفي أسمى طينة و خلقة و أفضل هيكل و بناء ، ثم رددناه الى أسفل الدرجات و المنازل ، إلا الذين آمنوا بالله و عملوا الأعمال الصالحة الحسنة الذين لهم بالطبع الثواب و الأجر الدائم المستمر .

١- يمكن استنباط مسألة أفضلية الانسان على الملائكة من آيات القرآن بوجوه عديدة ، أولها أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم ، و لا معنى لأن يصبح وجود ناقص محل سجود وجود كامل ، بالرغم من أن علة السجدة كانت ذلك السر الذي أودعه الله في آدم ، ولكن صار آدم على كل حال مسجوداً له .

الثاني : قوله في سورة البقرة (٢) ، الآية ٣٠ : «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً» و خلافة الله على نحو مطلق هي للموجود الأكمل .

الثالث : قوله في سورة ص (٣٨) ، الآية ٧١ و ٧٢ : «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَسْجُودًا * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ . فقد صرح هنا أن علة السجدة هي نفخ روح الله ، وكذلك قول الله سبحانه أنه خلق آدم بيديه ، و المقصود بذلك تلك التجليات لجميع الصفات الجمالية و الجلالية .

و الرابع : قوله في سورة المؤمنون (٢٣) ، الآية ١٤ في شأن خلقه الإنسان : «فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»

و قد روى الشيخ الصدوق في «علل الشرائع» عن أبيه ، بإسناده عن عبدالله بن سنان قال : سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام فقلت : الملائكة أفضل أم بنو آدم ؟

فقال : قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : أن الله عز وجل ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة ، وركب في البهائم شهوة بلا عقل ، وركب في بني آدم كليهما ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ، و من غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم . (الباب ٦ ، ص ٤ ، العلة التي من أجلها صار في الناس من هو خير من الملائكة و صار فيهم من هو شر من البهائم) .

فلهذا فإن يوم الجزاء حق لا يمكن إنكاره و جحوده ، لأن الله سيحكم فيه بين الناس حسب اختلاف حالاتهم و درجاتهم ، و هو الحاكم بالحق الذي يقوم حكمه على أسس متينة و راسخة .

و قد حكى هذا الحديث في وسائل الشيعة أيضاً ، الطبعة الحروفية ، ج ١١ ، ص ١٦٤ ، نقلاً عن علل الشرايع ، و رواه أيضاً الشيخ هادي كاشف الغطاء في مستدرک نهج البلاغة ، طبع مكتبة الاندلس - بيروت ، ص ١٧٢ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام . و قد نظمته المثنوي شعراً :

در حديث آمد که خلاق مجید	خلق عالم را سه گونه آفرید
یک گزّه را جمله عقل و علم وجود	آن فرشته است و نداند جز سجود
نیست اندر عنصرش حرص و هوی	نور مطلق زنده از عشق خدا
یک گسروه دیگر از دانش تهی	همچو حیوان از علف در فربهی
او نبیند جز که اصطبل و علف	از شقاوت غافل است و از شرف
وان سوّم هست آدمیزاد و بشر	از فرشته نیمی و نیمش ز خر
نیم خر خود مایل بسفلی بود	نیم دیگر مایل علوی شود
تا کدامین غالب آید بر نبرد	زین دوگانه تا کدامین بُرد نرد

«مثنوی» الدفتر الثالث ، طبع میرخانی ص ٣٦١

يقول : جاء في الحديث أنّ الخلاق المجيد خلّق العالم في ثلاث مجموعات : الأولى كلّها عقل و علم وجود ، و هم الملائكة الذين لا يفقهون إلاّ الذكر و السجود . وجودهم و عناصرهم تخلو من الحرص و الهوى ، فهم نور محض مطلق ، يعيشون بعشق الله .

و مجموعة لا حظ لها من العلم و الفكر ، مثل الحيوان الذي ينمو و يسمن بتناول العلف فقط .

فهم لا يرى غير العلف و الاصطبل ، غافلاً عن الشرف و عن الشقاء .

و المجموعة الثالثة هم البشر من بنى آدم ، الذين نصف وجودهم من الملائكة و النصف الآخر من الحمير و البهائم .

فتنصف البهائم يميل الى الضعة و التسافل ، بينما ينزع النصف الآخر الى العلوّ و

و قد نوبنا بمشيئة الله المتعال - إن شملتنا عنايته و توفيقه - أن نبين
دورة في بحث المعاد مستنبطة من الآيات القرآنية الشريفة و أخبار أئمة
أهل البيت عليهم السلام ، يُذكر فيها بالترتيب وبما يتسع له المجال من

والارتقاء .

و هاتان القوتان في وجود البشر في صراع يتميز فيه الغالب الذي يفوز بلعبة الترد هذه .
و قد أورد المؤرخ الأمين المسعودي في «مروج الذهب» ، طبع مطبعة السعادة ، ١٣٦٧
هجري ، ص ٣٣ ، ضمن رواية شائعة و بدیعة رواها عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنه قال :
«فلما خلق الله آدم أبان فضله للملائكة و أراهم ماخصه به من سابق العلم من حيث عَزَّفه عند
استنبأته إياه أسماء الأشياء ، فجعل الله آدم محراباً و كعبة و باباً و قبله أسجد إليها الأبرار
و الروحانيين الأنوار» . و يمكن افادة أفضلية آدم على الملائكة من تعبير الإمام أن آدم صار
محراباً لسجود الأبرار و الروحانيين الأنوار .

و قد روى العالم الجليل و المحدث الخبير السيد هاشم البحراني في تفسير البرهان ،
سورة ص ، ٣٨ ذيل الآية المباركة ٧٥ «قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي
أَسْتَكْبِرُتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ» عن ابن بابويه ، عن عبدالله بن محمد بن محمد بن عبد الوهاب ،
عن ابن الحسن محمد بن محمد القواريري ، عن أبي الحسن محمد بن عماد ، عن اسماعيل بن
ثوبه ، عن زياد بن عبدالله البكائي ، عن سليمان بن الأعمش ، عن أبي سعيد الخدري ، قال :
«كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه و آله إذ أقبل إليه رجل فقال : يا رسول الله أخبرني
عن قول الله عز وجل لا بليس «أَسْتَكْبِرُتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ» من هم يا رسول الله الذين هم
أعلى من الملائكة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله : أنا و علي و فاطمة و الحسن
و الحسين ، كنا في سرادق العرش نسبح الله فسبحت الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله آدم
عليه السلام بألفي عام ، فلما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام أمر الملائكة أن يسجدوا له
و لم يؤمروا بالسجود إلا لأجلنا ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبي أن يسجد ،
فقال الله تبارك و تعالى : يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت
من العالين . قال من هؤلاء الخمسة المكتوب أسماءهم في سرادق العرش . فنحن باب الله
الذي يؤتى منه . بنا يهتدي المهتدون ، فمن أحبنا أحبَّه الله و أسكنه جنته ، و من أبغضنا
أبغضه الله و أسكنه ناره ، و لا يحبنا إلا من طاب مولده .

تفصيل مسائل عن خصوصيات الانسان التي يجدها في سكرات الموت ،
وعن كيفية عالم البرزخ و الانتقال منه الى القيامة الكبرى ، و عن اجتماع
الخلائق في الحشر و النشر ، و السؤال ، و الميزان ، و العرض ، و الصراط ،
و الشفاعة ، و الأعراف ، و الكوثر ، و الجنة و النار .

يبتين الله سبحانه في سورة التين المباركة التي تليت في مطلع
الحديث موقع الانسان من العالم العلوي الى عالم الطبع و المادة و الحياة
الدنيا و منطق الإحساس ، بأننا خلقناه في أحسن خلقه و قوام ، ثم انزلناه الى
أسفل مرتبة من الحدود و القيود و الأسر في ظلمات عالم الحس ، و البعد
عن عالم الأنس و الجمع و المعرفة ، ليعود فيرتقي بقدمه و اختياره و إرادته
الى أعلى الدرجات ، و ينال الذروة المتسامية لمدارج مقام الإنسانية
و معارجها ، فيصير في تلك الحال مقيماً عند ربه ، و ينال الأجر و الثواب
غير المقطوع .

فالإنسان ، من بين جميع الموجودات من الجماد و النبات
و الحيوان ، يمتلك شرفاً و خاصية تميزه عن الباقيين و تجعله في صف
خاص ، و هي القوى العاقلة و إدراك الكليات و إمكان العروج و الإرتقاء
الى العوالم العليا و المجزئات من النفوس القدسية العقلانية .

و بالرغم من أن العلوم التجريبية لم تستطع حتى الآن اثبات الشعور
و القدرة لجميع الموجودات ، إلا أنه قد جرى الإثبات و البرهنة في الفلسفة
الكلتية الالهية على أن كل موجود يمكن أن نسمة موجوداً - حتى لو كان
قطعة صغيرة من التبن أو ذرة لا يمكن رؤيتها - يتمتع بنعمة الحياة و العلم
و القدرة ، و على أن الوجود يتلازم مع هذه الخواص الثلاث ، غاية الأمر أن
كل موجود يمتلك تلك الدرجة من الحياة و العلم و القدرة التي تناسب
و سعته الوجودية ، الموجودات المادية بقدر سعتها ، و النباتات

و الحيوانات بقدر سعتها الوجودية ، كما يمتلك الانسان و الملائكة أيضاً هذه الخواص بحسب قابليتهم .

على أنّ الانسان يمتلك من بين جميع الموجودات قوى متضادة و غرائز مختلفة ، و يتنازعه صراع الرغبات النفسية و الشهوات من جهة ، و القوى العاقلة و المجردة من جهة أخرى .

و بينما تتحدد دائرة نشاط الحيوانات و يتحدد اختيارها و إرادتها ، فهي إنما تتحرك لاستجلاب المنافع و دفع المضار ، فتطير الطيور في الفضاء ، و تتحرك الحيوانات البحرية في البحر سعياً وراء الصيد ، كما ان الوحوش و الحيوانات البرية لا تتعدى و لا تتخطى أمر تمتع الحس و التناسل و اعمال غرائزها البسيطة و المحدودة ، إذ انها لا تمتلك هدفاً و لا أمنية الا ضمن طريق و سلوك محدود ، لذا فإن مجتمعاتها تكون بسيطة و محدودة .

أما بالنسبة للانسان فقد تحولت الحياة لديه الى شكل آخر ، حيث أدى دخول الاعتباريات في ساحة الحياة الانسانية الى توسعة دائرة نشاطاته في مختلف زوايا الحياة بصورة مستمرة .

فقد صارت الأعمال الحقيقية للإنسان مقرونة بسلسلة من الأمور الاعتبارية ، و أدت المصالح لحفظ الشأن و الحيثية ، و لتحقيق الرغبات النفسية ، و شؤون الحياة الموهومة ، و الرئاسة و المرؤسية ، و الملكية و المملوكية ، و حب الجاه و حب التفاخر و حب التكاثر ، الى ان يقوم الانسان بسلسلة واسعة من الفعاليات و النشاطات .

على أنّ النزوع الشديد و الميل الحاد لهذه الأمور الاعتبارية يبعد الانسان بطبيعة الحال عن عالم المعنى و الحقيقة ، و لا يدعه يصل الى هدفه كما ينبغي له .

و على سبيل المثال فإن الشخص يحتاج الى الغذاء لإدامة حياته ، كما أن الغذاء الذي يتكفل أمر حياته يمكن نيله بسهولة و يُسرّ كبيرين ، بيد أن مشكلات عجيبيّة من الأمور الاعتباريّة تكتنف ذلك و تحيط به .

فهو يقول : ما الذي ينبغي أن أختار من غذاء كي لا يُهدر ماء وجهي ؟ وكي لا ينتقدي عليه رفيقي لورآني في تلك الحال ، أويعاتبني فيه ضيفي الذي يأتي الى منزلي ؟

و ليست هذه الأمور الآ سلسلة من الأمور الاعتباريّة مُزجت مع ذلك الأمر الحقيقي ، فأدّت الى ان يشمل ذلك العمل كلا الوجهين : تحصيل الواقع مع لحاظ الأمر الإعتباري ، و ما أكثر ما يؤدي تزاخم وكثرة توارد الأمور الاعتباريّة الى الذهاب كلياً بذلك الأمر الواقعي و ابتلاعه و القضاء عليه .

إنّ جميع الأمور التي تحصل للانسان في الدنيا ، او التي يقوم بها الانسان نفسه ، من قبيل البيع و الشراء ، الصلح ، الهبة ، الوكالة ، الإجارة ، المزارعة ، المساقاة ، المضاربة ، النكاح و الطلاق تتضخّم بشكل جدي على أساس الإعتباريات ، بحيث يحصل كثيراً أن يدفع الانسان بنفسه الى حافة الموت والهلاك من أجل حفظ تلك الاعتبارات و صيانتها ، فيبادل حياته الغالية بتلك التضخّمات الاعتبارية و المصالح الموهومة ، و يخسر بلا عوض في لعبة شطرنج الدهر .

على أنّ عالم الأمور الاعتباريّة هذا هو أسفل السافلين ، أي أكثر العوالم انحطاطاً عن حدود الحقيقة و متن الواقع ، لأنّ الإنسان الذي يتوجّب عليه في مسيرته التكاملية أن يطابق بشكل تام و كامل بين وجوده و بين الحقائق ، و أن يحرز الرقي المتزايد كلّ يوم في حركته للإفادة من مواد العالم الحقيقيّة والوصول للواقعيات في سلّم الرقي و التعالي ، قد انحطّ به

الأمر حتى صار يصرف جميع عمره و ثروته الوجودية من العقل والعلم والحياة والقدرة في الحديث عن أساطير و خرافات زيد و عمر ، و يؤمل نفسه و يتعلق - من أجل الشأن و الحيثية - بسلسلة أمنيات بعيدة لا يعلم أحد هل سيصل إليها أم لا .

إنغماس الإنسان في الأمور الاعتبارية:

و من أجل نيل و تحقيق تلك المُنَى والآمال الخيالية يقوم الانسان بنشاطات جادة و سريعة ، فتكون النتيجة هي رحيله عن الدنيا بأيدي ضفر خالية ، لم يتمتع بعدُ بثمرات الحياة ، و لم يدرك بعدُ ثمار عمره الفجّة أو ان نضجها وحلاوتها ، فيتأمل عمره المنقضي بحال انكسار وفتور ، و تتملكه الحسرة والندامة وتملأ كيانه، إذ ما العمل أمام عمر ضائع وملفّ مطوي و مُنادٍ يهيب بالرحيل مُعجلاً؟

لقد جاء الدين من قِبَل الله تعالى ليشخص و يعين سلسلة اعتباريات الانسان في حدود معينة بحيث تكون نافعة للانسان ، و غير معيقة لرقية و تكامله ، كما جاء ليبعد عن الانسان الكثير الذي لا ينفعه منها ، بل الذي يجزه الى جهنّم ، و ليعلمه سلسلة تعاليم تقوده الى عالم الوجود و الحياة . وبلا شك فإن أولئك الذين يقتفون اثر هذه التعاليم ستدرك ثمرة وجودهم مرحلة كمالها، وسيقومون بالاستفادة القصوى من القوى و الإمكانيات التي أعطيت لهم لدفع قواهم الوجودية الى مرحلة الفعلية . لذا يواجهون الموت في هذه الحالة ببشاشة ، لأنّهم تخطّوا المراحل الابتدائية للتكامل و وصلوا الى سرّ العالم ، وانكشفت لهم الحقائق جلّية ، و ارتبطوا بالله ربّهم وضمّوا وجودهم الجزئي الى كليّة هذا العالم ، وانغمروا و فنوا في العلم و الحياة و القدرة الكليّة ، فلم يبقَ لهم أيّ حال منتظرة لم يدركونها .

هؤلاء لا يخشون الموت بل يعشقونه ويهيّمون به ، من أجل ان يروا أمامهم تلك العوالم التي لم يشاهدوها هنا ، والتي أخفيت وسُتِرت عنهم لمصلحة ما .

أما أولئك الذين يُعرضون عن هذه التعاليم صفحاً ، وينشغلون باللعب و اللهو طيلة أعمارهم ، ولا يتخطّون دائرة الاعتبار خارجاً ولو بقدم واحد، فإنّ حركتهم إلى العالم الأخير ستكون قهراً مقرونة بضعف ونقص وجودهم ، و سيرحلون عن هذا العالم في حال انكسار وهم و غم و حسرة و غصة ، عطاشى لم ينالوا مراماً أو يدركوا هدفاً ، و ذلك لأنّ الباطل كان قد سخر قلوبهم ، والحقيقة التي تلبّست بالباطل بصورة المزيّنة الخيالية قد شغلت أفكارهم ، ففقضوا حياتهم بلا نيل لثمرات عالم الوجود المانحة للحياة ، و بلا إدراك لمقصد الخلقة وسرّها ، وبلا ألفة بالوطن الأصلي ، و لا ارتباط بالعالم الكلي ، و لا المناجاة و الأنس بربّهم .

الفرق بين المؤمن و الكافر :

رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تَجَرَّةً وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّيَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ١

ان اشعاع نور الحقيقة و التجلي الالهي سيضي قلوب رجال لم تصرفهم التجارة و لا البيع و الشراء عن ذكر الله وإقامة الصلاة و الزكاة ، و لم تشغلهم الأمور الاعتبارية بهذا العالم عن ذلك المقصد و المقصود و عن

١- الآية ٣٧ - ٣٩ ، من السورة ٢٤ : التور .

معرفة المعاد (١)

في الحقائق و الاعتباريات

ذلك الهدف والمعبود ، بل كان هؤلاء في خوف وفزع من العاقبة الوخيمة للأعمال القبيحة التي تجعل القلوب والأبصار تتقلب .

بلى ، ان الله سبحانه سيجزيهم ويكافئهم بأحسن الثواب و الجزاء الذي يفخرون به ، و سيزيدهم من فضله ورحمته ، و سيرزقهم بمئه من رزقه الوافر بلا حساب .

أما الذين كفروا بربهم فان أعمالهم وسلوكهم قد جعل مقصدهم و هدفهم كالسراب ، ذلك الماء الخيالي و غير الواقعي الذي مهما سار المرء اليه ليجد الماء فإنه لن يناله ، لأنه ليس إلا سراباً نشأ من انعكاس أشعة الشمس المتلألئة على الرمل والحصى ، فصار يُرى من بعيد كمنظر الماء فيحسبه الإنسان الظمآن ماءً ، وهكذا حال الكافر المتعطش للرغبات ، الذي يسعى الى الماء في الصحراء القاحلة المحرقة لعالم الإعتبار من أجل ان يرتوي من الماء ، فلا يصل الى الماء و لا يرتوي منه أبداً ، ثم ينقضي عمره و يخسر نعمة الحياة .

و ذلك لأن هذا الكافر لم يتحرك في الصراط المستقيم ، و لم يرمم نقاط وجوده الضعيفة ، و لم يبدل نقصان وجوده الى الكمال ، فبقي ظمآنً لم ينهل من ماء الحياة . وعلى العكس فقد سعى لاهناً خلف السراب و فقط السراب الذي لا يروي الإنسان ، فخسر في النتيجة عمره ، و سيبقى مخزياً في محضر الله و عالم الحقيقة ، و سيحاسب و يؤاخذ على أعماله تلك .

و يُستفاد هنا أن الكفار يسعون هم أيضاً في طلب الماء ، الكفار يسعون هم أيضاً الى الله ، فهم كذلك يسعون الى شي يفقدونه ، فهم في حركة و تفتيش و بحث للحصول عليه ، و هم في سعي و تنقيب لنيل ذلك الشي . بيد ان هؤلاء قد ضلّوا الطريق ، و كان عليهم ان يسلكوا سبيل الماء لا طريق السراب .

المؤمن يسعى الى الماء ، و يسلك سبيل الماء فيصل نبع الحقيقة و ماءها الزلال الهائئ فيرتوي منه ، في حين ينسى الكافر طريق الماء في سعيه لنيل الماء و يرتي عطشه ، فيلتزم طريق السراب ، ثم يزداد عن طريق الحقيقة بُعداً و من السراب قُرباً كلما زاد سعيه لزيادة اعتباريات الدنيا من الجاه و الزوجة و الولد و الرياسة و الحكومة ، فتلهب حرارة الشمس و لظى الصحراء القاحلة كبده من الظمأ ، و ينقضي العمر فتمحي كل طرق العودة ، ثم يُدفن منكوباً مصاباً في آماله ، و يُقبر في خيالاته وأفكاره الباطلة .

و ما أبدع التشبيه الرائع الذي ذكره القرآن الكريم لهذا الأمر :

حقيقة الدنيا وأسر الإحساسات :

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ^١

فتأملوا كيف يجسد العليّ الأعلى الحقيقة للإنسان فيقول : ان هذه الحياة الدنيا ، هذه الحياة التي يقضي البشر عمره - بهذه المساحة الواسعة من الاعتبارات والرغبات والآمال - على أساسها ، ويطابق ساعاته و دقائقه معها، ثم يرحل عنها أخيراً بلا زاد صفر اليدين، هذه الدنيا لا تخلو من أحد أمور خمس.

هذه الحياة التي لا تعدو في الحقيقة عن دورة حياة الحيوانات والبهائم، وهذه الاعتباريات التي أشغلت البشر وأبعدتهم عن الحقائق،

١- الآية ٢٠ ، من السورة ٥٧ : الحديد

معرفة المعاد (١)

في الحقائق والاعتبارات

وانحطت بهم إلى أسفل من حياة الوحوش. مركبة من لعب يقوم به المرء دون الرغبات النفسية؛ ولهو يقوم به الانسان تبعاً لرغباته ونوازعه النفسية ولا يترتب عليه غرض عقلائي صحيح، و زينة، اي تمويه وجه الباطل والاعتبارات بلباس الحقيقة، و اظهار الأمور الفانية في هيئة الأمور الباقية؛ وَتَفَاخَرُ بَيْنَكُمْ وَ غرور، و ادارة أمور الحياة على أساس الفخر والمباهاة؛ وَتَكَاثَرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالسَّعْيِ وَاللَّهْثِ الدَّائِمِي لزيادتها وللمرحوم الشيخ بهاء الدين العاملي (ره)^١ كلامٌ لطيف في تفسير هذه الآية يقول فيه: انّ الخصال الخمس المذكورة في الآية مرتبة بحسب سير عمر الانسان و مراحل حياته، فهو يُولع أولاً باللعب وهو طفل أو مراهق، ثم اذا بلغ واشتدَّ عظمه تعلّق باللهو والملاهي، ثم اذا بلغ أشدّه اشتغل بالزينة من الملابس الفاخرة والمراكب البهية والمنازل العالية وتولّه بالحسن والجمال، ثم اذا اكتهل أخذ بالمفاخرة بالأحساب والأنساب، ثم اذا هَرِم سعى في تكثير المال والولد.

بلى، ان الانسان يجد الرغبة بعد انقضاء فترة صباه و بلوغه الى تزيين نفسه؛ فيعمد الى ترتيب لباسه و عمله و حياته و مكانه، و أخيراً جميع الأمور المتعلقة به على نحوٍ يجعل نقش البقاء والعيش على نحو الحياة الأبدية يغطيان وجه حقيقة الفناء، فيختفي واقع الأمر و حقيقته و يضيعان تحت هذه النقوش الزائفة الباطلة.

١- نقل هذا المطلب عن الشيخ البهائي، العلامة الطباطبائي مدّ ظلّه العالی* في حاشية الرسالة المخطوطة «الانسان في الدنيا»، كما نقلها عن المرحوم الشيخ بواسطة في «تفسير الميزان»، ج ١٩، ص ١٨٨ ضمن تفسير هذه الآية من سورة الحديد.
* ألف هذا الكتاب في زمن حياة العلامة قدّس سرّه، فأثرنا إبقاء التعبير كما ورد في المتن (م).

و اذا تخطيتنا هذه المرحلة فانه يقول في مرحلة التفاخر والمباهاة : انّ قدرتي كذا ، و علمي كذا ، حتى انه يرتجز و يفخر بجرأة كبيرة بالعظام النخرة المهترئة لآبائه و أسلافه ، و بالنقوش البالية و الأطلال و الخرائب ، فيضعها في المتاحف المجلّلة العظيمة ، و ينشد فيها الأشعار الحماسية ، و أخيراً فانه يركّز طاقته الوجودية في آخر مراحل حياته في زيادة المال و الولد .

و بالطبع فانّ الانسان كلّما زاد عمره زاد حرصه معه ، فهو يمتنع الآن من الانفاق في سبيل الله ، ذلك الانفاق الذي كان يفعله في شبابه ، حتى انه صار يفتقد الآن الإيثار و المسامحة و العفو .

انّ الطبيعة البشرية تقوم على انّ النفس اذا ما ربيت على أساس معين فانّها تتحجّر على ذلك الأساس و ترسخ عليه ، و ان الحالات المؤقّنة لها تصير ملكات ثابتة ، و بالطبع فانّ الانسان ان لم يربّ نفسه على محور قانون الدين و الحقّ ، فان نتيجته و عاقبته النفسية ستكون آخر العمر تراكم تلك الأحوال و الطبائع و تحجّر تلك الخواطر و الأفكار .

قصّة الرجل المعجوز الحريص مع هارون الرشيد :

قيل انّ هارون الرشيد قال يوماً لخواصه وندمائه : أرغب أن أزور شخصاً قد تشرف بإدراك الرسول الاكرم (صلى الله عليه و آله) وسمع منه حديثاً ، لينقل لي عنه بلا واسطة .

و باعتبار انّ خلافة هارون كانت سنة مائة و سبعين هجرية ، فقد كان من الجلي - مع هذه المدة الطويلة - انّ أحداً لم يبق من زمن النبيّ ، و إن وجد فانه سيكون في غاية الندرة . لذا فقد سعى رجال هارون و ملازموه في العثور على شخص بهذه الأوصاف و قتشوا الأطراف و الأكناف ، فلم

يعثروا الآ على رجل عجوز متداعٍ مهالك في غاية الضعف والوهن ، لم يبقَ منه الآ أنفاس تتردد في كومة عظام بالية ، فوضعه في زنبيل وجاءوا به الى بلاط هارون في غاية العناية و أدخلوه عليه فوراً ، فسّر هارون بذلك كثيراً ، لأنه شاهد شخصاً أدرك رسول الله و سمع منه .

ثم قال له : أيتها العجوز ! رأيت النبي الأكرم ؟ قال : بلى .
فقال هارون : متى رأيته ؟

قال العجوز : أخذ أبي بيدي يوماً في طفولتي واصطحبني الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ثم لم أدرك محضره حتى رحل عن الدنيا .
قال هارون : أفسمعت من رسول الله شيئاً ذلك اليوم ؟

أجاب : بلى ! سمعتُ من رسول الله ذلك اليوم أنه قال : يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَ تَشْبُ مَعَهُ خِصْلَتَانِ : الْحِرْصُ وَ طُولُ الْأَمَلِ فسّر هارون كثيراً بسماعه رواية على لسان رسول الله بوساطة واحدة فقط ، و أمر فأعطوا

١- أورده في كتاب أربعين جامي ، طبع العتبة الرضوية المقدسة (آستان قدس رضوى) بهذا اللفظ : يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَ تَشْبُ فِيهِ خِصْلَتَانِ الْحِرْصُ وَ طُولُ الْأَمَلِ .
و يقول في مجموعة ورام ابن أبي فراس بإسم «تَنْبِيهُ الْخَوَاطِرِ وَ نُزْهَةُ النَّوَاطِرِ» ، الطبعة الحجرية ، ص ٢٠٤ : و قال صلى الله عليه و آله و سلم : يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَ تَشْبُ مِنْهُ اثْنَتَانِ (خِصْلَتَانِ) نَسَخَهُ لَ الْحِرْصُ وَ طُولُ الْأَمَلِ .

و أورد الصدوق في الخصال ، طبع الاسلاميه سند ١٣٨٩ ، باب الاثنين ، ج ١ ، ص ٧٣ بسند واحد عن أنس : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله قَالَ : يَهْلِكُ - أَوْ قَالَ يَهْرَمُ - ابْنُ آدَمَ وَ يَبْقَى مِنْهُ اثْنَتَانِ : الْحِرْصُ وَ طُولُ الْأَمَلِ .

و أورد بسند آخر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :
يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَ يَشْبُ مِنْهُ اثْنَتَانِ : الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ وَ الْحِرْصُ عَلَى الْعُمْرِ . و قد ذكر هاتين الروایتين الأخيرتين المحدثين النوري في كتاب مستدرك وسائل الشيعة ، الطبعة الحجرية ١٣١٩ ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ ، عن نوادر السيد فضل الله الراوندي بإسناده المتصل .

العجوز كيساً من الذهب جائزة له ، ثم أخرج عنه . وحين أرادوا اخراج العجوز من البلاط رفع صوته في أنين واهن ضعيف قائلاً : ردوني الى هارون فلديّ معه كلام .
قالوا : لا إمكان في ذلك .

قال : لابدّ من رجوعي اليه ، فلديّ سؤال ينبغي أن أسأله منه ثم أخرج . وهكذا أعادوا الزنبيل وفيه العجوز الى هارون ، فقال : ما الأمر ؟ قال العجوز : لديّ سؤال .

قال هارون : قل . فقال : أيتها السلطان ! أعطائك الذي تفضلت به عليّ اليوم لهذه السنة فقط أم هو عطاء يتجدّد كلّ عام ؟ فتالت قهقهة هارون و قال متعجباً :

صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ؛ يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَ تَشُبُّ مَعَهُ خِضْلَتَانِ الْحِرْصُ وَ طَوْلُ الْأَمَلِ .

إنّ هذا العجوز لا رفق له ، و لم أكن لأظنّ انه سيبقى حيّاً حتّى خروجه من البلاط ، وها هو يقول : أهذا العطاء مختصّ بهذه السنة أم انه عطاء لكلّ سنة . لقد أوصله الحرص على زيادة المال و طول الأمل الى أن صار يتوقع لنفسه عمراً فهو في صدد أخذ عطاء جديد .

بلى ، هذه هي نتيجة عدم تربية النفس الانسانية بالأدب الالهي ، ممّا دعى بالحرص و الأمل الى بسط نفوذهما في وجود الانسان في طيف واسع متزايد لا حدّ له ليقف عنده .

أما أولئك الذين ترخلوا بمتاعهم الى العالم الباقي ، و أمّلوا قلوبهم بالكليّة و الأبدية ، و ذلك بإيمانهم بالمبدأ الأزلي الأبدي و النزوع الى الوجود السرمدى لحضرة ذي الجلال و الإكرام ، أولئك الذين يضعون - بالعمل الصالح - اسلوب حياتهم على أساس العدل و الإنصاف ، فإنّ

أجرهم عند الله ، أجر غير ممنون لا انقطاع له ولا أمد .

إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ^١.

ذلك الأجر والجزاء الذي لاحد له ولا حساب ، وهؤلاء سينعمون

في الجنة الخالدة وعالم الأبدية والخلود بأفضل النعم المعنوية والحقيقية :

فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ^٢.

يصلهم فيها رزقهم من ربهم صباحاً ومساءً :

وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ^٣.

وبعد بيان الله سبحانه لهذه المراحل الخمس من الحياة الدنيا التي

ينقضي كل منها ويزول ويتصير ويمر من السحاب فلا يعود من ذات

هذه المراحل حقيقة الى الانسان ، يقدم الله تعالى تمثيلاً لها فيقول :

كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يُكُونُ

حُطَمًا ^٤.

تمثيل الدنيا بالنبات المخضر اليناع الذي يصفر ثم يكون حطاماً وهشياً :

هذا اللعب و اللهو و الزينة ، وهذه المرحلة في التفاخر و التكاثر

في الأموال و الاولاد ستزول جميعاً ، كما ان طراوة الشباب و نضارته

و غرور الجمال و عزّ الجلال ستعصف به الطوفانات فلا تذر له أي أثر ،

تماماً كالغيث المنهمر من السماء بقطراته المنعشة الباعثة على الحياة ،

ينهمر فيروي الأرض العطشى فتتشق عن يانع الثبت و طريه مما يُحار

لرونقه و جماله الزراع ، ثم تتبدل تلك الطراوة و النضارة بحركة واحدة

الى الإصفرار و الجفاف ، فتتحول تلك اللطافة خشونة ، فيصير النبات اليناع

١- الآية ٢٥ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق . ٣- الآية ٦٢ ، من السورة ١٩ : مريم .

٢- الآية ٤٠ ، من السورة ٤٠ : غافر . ٤- الآية ٢٠ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

يابساً يتحول إلى هشيم و حطام و رماد .

هذا هو مثال و انموذج الحياة الدنيا التي يتصاعد فيها العلم و القدرة و الحياة و سائر الثروات الانسانية و ترقى إلى أوجها و غايتها ، و تظهر فيها القابليات و تتخايل في مرحلتها القصوى من الفعلية ، فتغتر النطف الباردة الى إنسان ملئ بالنشاط مشحون بالحرارة و الحماس كالنار الملتهبة في الموقد ، ثم تتنازل فجأة من نقطة الذروة و القمة متهاوية الى الحضيض ، فتتناقص جميع هذه الصفات و تتضاءل ، و يتهدد الضعف و الخمول الانسان من كل صوب ، حتى يرد به شيئاً فشيئاً الى مشارف الموت و العبور من عالم الطبع هذا و تخطيه . بيد انه ينبغي العلم ان هذه المرحلة ليست المحطة الأخيرة للحياة ، و أن مراحل الحياة لن تنتهي عند هذه النقطة ، بل :

وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَيَوةُ
الدُّنْيَا إِلَّا مَتَّعٌ الْعُرُورِ^١

انّ الناس ينقسمون في عالم الروح والحقيقة ، عالم الآخرة الذي يمثل نتيجة هذا العالم و عاقبته ، الى قسمين و مجموعتين :

المجموعة الأولى : أولئك الذين قنعوا بهذه الأمور الظاهرية ، فلم يتخطوا زينة الدنيا و غرورها ، و لم يتجاوزوا الإعتباريات و اللذائذ المؤقتة ، و لم يرتووا من معين الحياة الأبدية الخالدة ، أو يحظوا بلقاء ربهم أو يفيدوا من اشعاع صفات جماله و جذباته الربانية ، فلم يكن كل ما نالوه إلا سراباً . ثم زالت اللذائذ الفانية و تصرّمت ، و لم يكونوا قد تزودوا من اللذات الدائمة ، لذا فان نصيبهم في الآخرة لن يكون غير الحرمان

١- الآية ٢٠ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

و الخسران .

كما إن عاقبة الإنغماس في اللذات الإعتبارية و الانصراف عن مقام العدل و العبودية للحق جلّ و علا ، و التمرد على تعاليم العقل و الفطرة و الشرع ، و الإعتماد على النفس الأتارة سيكون ذلك العذاب الأليم يوم الجزاء .

أما المجموعة الثانية فهم الذين لم يمنحوا لأمر هذه الدنيا الظاهرية عنوان العالم الأبدى ، و لم يفنوا أنفسهم في المقصد المخوف للاعتباريات ، و لم ينفقوا جميع وجودهم و قواهم في اللذات المؤقتة الأمانية ، و لم يكتفوا بالسراب عن الماء المعين بدلاً ، بل كان لهم في موازنة طي هذه الحياة نظراً الى باطن هذا العالم ، و كان لهم نصيب في الحياة الأبدية المثمرة ، و نصيب في الارتباط بالله تعالى ، و أمل التطلع إلى الجمال الأزلي ، و عقد الأمل على الأنوار السرمدية .

و هكذا فان عاقبة الاستقامة و الثبات من أجل نيل مقام العظمة ، و الرسوخ و التحمل في المقام المتين للصدق و الحقيقة هو رضوان الله و التمتع بصفاته الحسنی و أسمائه العليا و التمتع بمقام المغفرة .
يقول الأستاذ الجليل العلامة الطباطبائي مدّ ظلّه العالی في رسالة «الإنسان في الدنيا» التي لم تُطبع بعد ، و هي مجموعة مع رسائل ست أخرى تعدّ من بين آثاره النفيسة غير المطبوعة .

من الممكن أن تكون هذه الفقرة في الآية المباركة «و فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ» معطوفة على كلمة لعب ، فيصبح المعنى على ذلك : إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ ؛ أي أنّ هذه الحياة الدنيا الظاهرية المتشكّلة من المراحل الخمس لها باطن سيظهر و يتجلّى في هيئة عذاب شديد أو مغفرة من الله .

استنباط لطيف للعلامة الطباطبائي من القرآن في أنَّ الآخرة هي باطن الدنيا المجلس الأول

و عليه فإنَّ عالم الآخرة هو باطن الدنيا ، و الدنيا هي ظاهر الآخرة ، يشهد على هذا المعنى قول الله سبحانه بعد هذه الآية مباشرة : سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ^١.

فالسبق الى المغفرة و الى جنة الله أمر موجود في هذه الدنيا ، و حاصل في هذه الحياة اذا ما كان نظر الانسان الى باطن الدنيا و سلسلة نشاطاته و مساعيه منظمه على أساسها .

على أنَّ جميع الأمور الدنيوية التي تشكّل الأساس لمعيشة البشر و حياته في هذا العالم ، كالمعاملات ، التجارات ، الزراعات ، الصناعات ، النكاح و الطلاق و غيرها هي أمور مشتركة بين المؤمن و الكافر . فالمؤمن يحصل منها على نتيجة حقيقية لأنّه يتوجّه الى أصلاتها ، و الكافر يحصل على نتيجة إعتبارية لأنّه يتوجّه الى ظاهرها بصورة محضه .

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يمسك بالمسحاة ، فيبذر البذور و يزرع الأرض و يزرع النخل فيوجد بساتين النخل ، و كان يحفر الأرض و يجري قنوات الماء الجاري ، كما كان الكفرة يعملون نفس هذه الأعمال ، فما الفارق يا ترى ؟! فهذه هي الغفلة و تلك هي اليقظة و الصحو ، فهذا كان ينقب و يبحث بأمل التمتع من هذه اللذات و الإفادة على أساس حب النفس و زيادة الثروة و المال و الأولاد ، و ذلك لإعانة المساكين و الفقراء و مد يد المساعدة اليهم ، و كان يفعل ذلك من أجل العدل و الرحمة ، و من أجل رضا الخالق ، و سعياً لعالم أبدية المعنى و الروح و أصلاتها .

لماذا كان أمير المؤمنين يحفر الآبار و يجري القنوات ؟ لماذا كان

١- الآية ٢١ ، من السورة ٥٧ : الحديد

يخطب في الناس ؟ ولماذا كان يحمل سيفه بيده و يجهد في الحرّ و القتر في مواجهة آلاف المشاكل ؟ أكان ذلك لزيادة المال ، أو لحب الرئاسة ، أو للاختيال بمظاهر كماله و جماله ؟!

أبداً أبداً ، بل أنه كان يعمل ذلك ببصيرة نافذة ، و بعين تتطلع الى ربّها ، كان يعمل لأن نفس العمل كان مطلوباً ، في حين كان الآخرون يعملون للمقاصد الجزئية . وهذا - لا غير - هو الفاصل و الفارق بين الطريقتين و الأسلوبين .

إنّ المؤمن و الكافر يطويان عمرهما بموازاة أحدهما الآخر ، يلهوان و يلعبان و ينعمان بالدنيا ، و ينشغلان بالتجارة و الزراعة و الصناعة ، و ينكحان و يتزوجان و يُنجبان ، بيد أنّ المؤمن يقوم بتلك الاعمال مستنداً الى أساس أصالة الإيمان بالمعنى و الروح و مظاهر الله ، و اعتماداً على البقاء ، في حين يفعل الكافر ذلك على أساسٍ واهٍ من الدعاوى النفسية و اللذائذ الفانية و الشهوات و مظاهر الزينة الخادعة .

الكافر ينظر الى الظاهر ، و المؤمن ينفذ بنظره الى أعماق الظاهر فينظر الى الباطن .

مسيرة المؤمن الحقيقة و الواقع ، و طريق الكافر الزينة و الغرور .

معنى الزينة و الغرور في الدنيا :

الزينة هي ما ينزع بالانسان من الحقّ الى الباطل ، و يُظهر الباطل للانظار في هيئة الحقّ ، و القبح بصورة الجمال و الفتنة . فالشخص الذي يتزين يفعل ذلك ليظهر نفسه جميلاً ، و المرأة حين تتزين فتجمل ظفائرها و طلعتها و ترتدي السوار و القلادة و القرط فانما تفعل ذلك لتغطي عيوبها و تظهرها في هيئة جميلة ، أو كي تزيد من حسنّها إن خلت من العيوب .

وباعتبار ان الشخص الذي يتزين لا يمتلك جمالاً و حسناً حقيقياً ، و ان الزينة تمتلك الجمال ، فانّ هذا الشخص يقوم بتزينه بصرف نظر الناظر من قبحه و جماله الناقص الى حسن الزينة و جمالها ، فيكون نظر الشخص الناظر في النتيجة مصروفاً من صاحب الزينة و إدراك قبحه الى حُسن الزينة ، فيحس نتيجة انّ صاحب الزينة حَسَن و جميل .

و لو كانت يد امرأة ما جميلة و حسنة بحيث لا تحتاج معها الى زينة السوار و الخاتم ، فانّ تلك المرأة لن تعتمد مطلقاً الى لبس سوار في يدها ، او خاتم في اصبعها ، و لن تزين صدرها و عضدها و أذنيها بالقلادة و الدُّمْلُج و الأقراط . و ذلك لأن أمثال هذه الزينة ستمنع في هذه الحالة من تجلّي حسننها و نضارتها التي وهبها الله ، و ستحدّ من بروز حُسنها ، و حينذاك فانّ الزينة ستفقد عنوان الزينة .

لذا فان استعمال جميع أنواع الزينة هو من أجل صرف النظر الصائب عن واقع الأمر و متنه الى جهات إعتباريّة و نسب مجازيّة غير صحيحة ، و في الحقيقة فانّ الزينة تعني الخداع و لتحایل و التمويه و نصب الحباثك و واسعة لصرف الافكار و عطفها الى المحاسن المجازيّة ، و هذا هو معنى الغرور .

الدنيا دار الزينة و الغرور ، أي أنّها تغرّ الانسان و تخدعه فتُظهر الاعتبارات الفانية في نظره على هيئة حقائق واقعيّة ، فيقع الانسان في حباثل الهوس و الهوى من أجل الحصول على تلك الحقائق المتخيّلة ، و ينشغل دوماً بالزينة و الغرور ، فيخسر في مقامرة العشق مع هذه الأمور الاعتباريّة الخياليّة ، و يوثق عقد حبّه و هيامه لهذه الصور القبيحة المُنفرة من الفناء و الزوال و البوار و العدم ، حتى يخسر في عاقبة الأمر ثروة وجوده بلا عوض .

أما رجل الصدق و الاستقامة فلا يعير زينة الدنيا أدنى اهتمام ،
و ينظر الى حقيقتها بعين بصيرته النافذة المضاءة ، فلا يمنح الأمور
الاعتبارية و اللذائذ الفانية عنوان البقاء و الدوام ، و لا يخدع نفسه فيعقد
عقد نكاحه على عجوز شمطاء قد تجملت للأنظار و جرت آلاف الأزواج
الى الموت في أحضانها بآلاف الخدع و الأحاييل .
إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا * وَإِنَّا
لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا .^١

إنّا جعلنا ما على الأرض زينة و جمالاً لها لنختبر أهلها ونبلوهم أيهم
يملك ميلاً أشد الى الحقيقة و عملاً أحسن و أجمل ، ثم اننا في عاقبة الأمر
سنجعل ما على الأرض صعيداً و تراباً خالصاً لا خاصية له و لا أثر .
فالماء الجاري على الأرض زينة ، و النباتات و الاشجار و المناظر
الغلاية من الجبال و الشلالات زينة كلّها ، الطيور و الدجاج زينة ، و الأنعام
و الدواب زينة ، النساء و الأولاد ، الأرحام و العشيرة ، الأصدقاء و الإخوان
هم زينة كلّهم . جعلهم الله جميعاً زينة للمادة و للهوى التي لا شكل
و لا لون و لا رائحة و لا جمال و لا فتنة لها ، و ذلك من أجل أن يبلو الناس
و يختبرهم فيما سيفيدونه من هذا العمر و من سني الحياة المتوالية ، و كيف
سيجتازون هذا الاختيار ، و كيف سيصيرون خالصين منزهين .

فهذه الأشكال و الصور ستتبدل جميعاً في موقد الدهر الى رماد ، كما
ستتحول هذه الطراوة و الجمال الى أشكال كريهة و مناظر عجيبة ،
و ستنتهي الأرض الخضراء البانعة قفراً قاحلة .

فالله سبحانه يختبر بهذه الأمور عباده ليعلم أيهم لا ينخدع في هذه

١- الآية ٧ و ٨ ، من السورة ١٨ : الكهف

إِغْلُمُوا أَنَّمَا الدُّنْيَا تُطَلَّبُ لِثَلَاثٍ : لِلْعِزِّ وَالْغِنَى وَالرَّاحَةِ
المجلس الأول

المعمعة من المناظر الخداعة و الفخاخ الكثيرة المنصوبة ، و أتيهم لا يتخطى
قوانين الفطرة و العقل و الاخلاق الفاضلة و العمل الصالح و الايمان بخالق
هذا العالم الغريب ، و لا يتجاوز العبودية في فنائه المقدس الخارج
من الشكل و اللون و الرائحة ، و الذي لا يخل بالانفاق و الايثار المقرون
بالإلتفات الواعي الى الواقعية و الحقيقة ، الذي لا يعقد آماله و لا يمتي قلبه
بهذا اللون و تلك الرائحة فيفسد قلبه بضياها و يُدفن في ديار الهلاك
و الفناء والبورار .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام ضمن الخطبة ١٥٥ من نهج البلاغة :
فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ ، وَارْتَبَكَ فِي
الْهَلَكَاتِ ، وَمدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ ، فَالْجَنَّةُ
غَايَةُ السَّابِقِينَ ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفْرَطِينَ .^١

و يقول في موضع آخر :

الدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ وَ فَنَاءٍ ، وَ مُلْتَقَى سَاعَةٍ وَ ودَاعٍ ، وَ النَّاسُ مُتَصَرِّقُونَ
فِيهَا بَيْنَ وَرْدٍ وَ صَدْرٍ ، وَ صَائِرُونَ خَبْرًا بَعْدَ أَثَرٍ ، غَايَةُ كُلِّ مُتَحَرِّكِ سُكُونٍ ،
وَ نِهَايَةُ كُلِّ مُتَكُونٍ أَنْ لَا يَكُونَ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَلِمَ التَّهَالُكُ عَلَى
هَالِكٍ ، وَاعْلَمُوا أَنَّمَا الدُّنْيَا تُطَلَّبُ لِثَلَاثٍ : لِلْعِزِّ وَالْغِنَى وَالرَّاحَةِ ، فَمَنْ قَنَعَ
عَزًّا ، وَ مَنْ زَهَّدَ اسْتَغْنَى ، وَ مَنْ قَلَّ سَعْيُهُ اسْتَرَاحَ .

فما الذى يعنيه الإمام في قوله «صائرون خبراً بعد أثر» ؟ أي لا أثر
بعد من وجودهم ، و من قدرتهم و علمهم ، و من حياتهم الدنيوية ، و لا أثر
من جميع صفاتهم و مخلفاتهم ، فلقد صاروا خبراً مضى و انقضى . كانوا
بالأمس أثراً فصاروا اليوم خبراً ، و تبدلت هوياتهم ، فمن كان يُذكر

١- نهج البلاغة شرح عبده ، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ، ج ١ .

بـ«السيد ... أيده الله» صار يذكر اليوم بـ«المرحوم ... رحمه الله». اليوم يقولون : شافى الله فلاناً ! اقرأوا له سورة الحمد ؛ و سيقولون غداً : رحمه الله ! اقرأوا له الفاتحه . أين صار إخوتنا ؟ و آباؤنا ؟ و أجدادنا ؟ أين ذهب أجدادنا ؟ لقد صاروا جميعهم خبراً ، و كانوا يوماً ما أثراً ، و أي أثر مهم ! كانت الدنيا تهتز تحت أقدامهم ، و آذان الأفلاك تصم من صراخ أنانيتهم ، كان ذلك جميعه أثراً . كانوا يأتون الى المساجد فيجلسون و يصغون الى النصائح و المواعظ ، لكن ذلك كله كان أثراً ، و صار أولئك اليوم خبراً بأجمعهم . و نحن أيضاً اليوم أثر ، نتحدث و نسمع و نتحرك بحيوية و نشاط ، و صائرون في الغد خبراً ، و سيقال عنا : رحمهم الله ، كانوا بالأمس أثراً و صاروا اليوم خبراً .

بيد ان هذه القرعة لا يخرج سهمها بإسمهم فقط ، بل انها كالجمل الذي سيرك على عتبة كل دار ، و الذي سيستقبل كل شخص .

ان نهاية كل متحرك الى السكون ، و عاقبة كل من ارتدى لباس الحياة و الوجود أن لا يكون . و حين يكون الأمر كذلك فبأي دليل و بأي مجوز عقلي يُلقى الشخص بنفسه في فم الهلاك الفاجر من أجل نيل أشياء فانية تالفة ، و يتسابق في التهالك و إلقاء النفس في التهلكة للوصول الى هذه الأمور الفانية الزائلة ؟

اعلموا ايها الناس ان الدنيا انما طلبت لثلاثة أمور : للعزة و للغنى و للراحة ؛ فمن زهد في الأمور الدنيوية و لم يرغب فيها استغنى دوماً ، و من سلك سبيل القناعة عزّ دوماً ، و من قلل سعيه و مجهوده للوصول الى الدنيا كان في راحة .

لقد جاء الدين من قبل الله تعالى ليقول للإنسان : أيها الانسان لست مُهْملاً مغفولاً عنه ، و لست موجوداً متفرداً معزولاً عن جميع الموجودات ،

لست متفرّقا مشتتاً ، بل متصل بجميع العالم ، و مرتبط بإلهك . أنت جزء و فرد من مجموعة عالم الكون ، جئت لهدف معيّن ، و تعيش في هذه الدنيا لمقصد خاصّ ، و ستذهب من هنا الى مكان آخر .

رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً عَلِمَ مِنْ أَيْنَ وَ فِي أَيْنَ وَ إِلَى أَيْنَ .

و قد جاء في الرواية أنّ امير المؤمنين كان يقرأ هذه الآية (الآية ٣٦ من السورة ٧٥) : أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى .^١

فكان يكرّرها و دموعه تنساب جارية من عينيه .^٢

إنّ جميع فيض و رحمة الخالق من عوالم الغيب تشمل حال الفرد الذي لا يرى نفسه مهماً و مخلوقاً عبثاً في عالم الوجود و ساحة الخلقة ، بل يرى أنّه قد جاء من عند الله و ورد هذه الدنيا لمهمة معيّنة وفق برنامج معيّن ينبغي العمل به و تطبيقه ، فهو يتحرّك في هذه الدنيا صوب خالقه سعيداً مبتهجاً ، و يرحل عنها يئس و شوق و لهفة قاصداً مقام رضوان ربه .

و اذا ما أدرك الانسان هذا المعنى جيّداً ، و وضع أعماله و سلوكه وفق هذا الأساس و الفكر المتين الراسخ ، فإنّ موته و رحيله سيكون من اليسر و السهولة بحيث يفوق في سهولته سحب شعرة من اللبن .

و حين يقدم عزرائيل لقبض روح العبد المؤمن ، فيراه مثاقلاً

١- الآية ٣٦ ، من السورة ٧٥ : القيامة

٢- الغدير ، المطبعة الاسلامية ، الطبعة الثانية ١٣٧٢ ، ج ٦ ، ص ١٧٢ ، ضمن قصّة

ينقلها عن كنز العمال ، ج ٣ ، ص ١٧٩ ؛ و عن مصباح الظلام للجرداني ج ٢ ص ٥٦ .

كما ينقل الشيخ محمد تقي الشوشتری هذه القصّة بجميع تفاصيلها في كتاب (قضاوتهای أميرالمؤمنین علیه السلام) ص ١٤٧ و ١٤٨ ، عن كتاب (التشريف باليمن في التعريف بالمحن) للسید عليّ بن طاوس ، الذي طُبِع في النجف بإسم (الملاحم و الفتن) و وردت في كتاب (الملاحم و الفتن) ص ١٥٤ و ١٥٥ .

معرفة المعاد (١)

في الحقائق و الاعتباريات

في حركته الى ذلك العالم لأنسه بأولاده و أرحامه و أقاربه و متعلقاته ، و يلحظ في المؤمن قدراً من التأني و التأمل في استقبال الموت ، فإن ذلك الملك المقرب يعود الى الرب الودود و يعرض له علة تأني المؤمن ، فيأتي الخطاب : اكتب على راحة يدك بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . و أرها إياه .

فيكتب عزرائيل على راحة يده اليمنى بسم الله الرحمن الرحيم و يُريها للمؤمن ، فيرى المؤمن نفسه فجأة في عالم آخر يرتع في بحبوحات الجنة و النعيم ، و لا يدرك كيفية حركته و موته ، هذه هي حال المؤمن . ولكن ، و العياذ بالله من سكرات موت الكافر الذي أنفق عمره كاملاً في جهة معاكسة لعالم الحياة ، و الذي أفسده في اللهات المحموم وراء زخارف الدنيا و زينتها و زبرجها ، و قضى ساعات عمره ودقائقه وراء الجاه و الاعتبار ، متناسياً ربه الرحيم الرؤف ، فخسر لذلك رصيده عمره في صفقته مع أعدائه الذين ينزعون به الى عالم الاعتبار و العدم ، و صارت كل واحدة من هذه المتعلقات في حاله تلك أشبه بسلسلة فولاذية أو ثقت قلبه فصارت تجرّه صوبها .

فكيف سيتأني الرحيل يُسر مع آلاف التعلقات و آلاف السلاسل ؟ و هكذا فإن ذرات جسد هذا الكافر لو مُزقت كل ممزق فانه لن يختار الرحيل بإرادته . و يأتي الخطاب هنا أن :

خُذُوهُ فَعْلُوهُ * ثُمَّ الْبَحِّيمَ صَلُّوهُ .^١

وما أن يدرك مغزى النداء حتى يُساق مدهوشاً مذعوراً الى عالم الغربة و الظلمات .

لقد وعظ رسول الله صلى الله عليه و آله الناس في خطبته التي ألقاها

١- الآية ٣٠ و ٣١ ، من السورة ٦٩ : الحاقة .

أفضل الأعمال الإجتنب عن المحرمات ؛ و خطبة رسول الله في شهر شعبان المجلس الأول

في آخر جمعة من شهر شعبان ، بأنّ هذا الشهر المقبل عليكم هو شهر البركة والرحمة ، و شهر المغفرة والدعاء والإجابة ، شهر الصلاة وشهر تلاوة القرآن ، شهر الصدقة و صلة الرحم والإيثار ، شهر أداء الفرائض والصيام والإنفاق ، و ربيع المغفرة والعفو والتخفيف على المستخدم والعطف على الصغير وتوقير الكبير ، و ذلك في بيان مفصل بيّنه صلوات الله وسلامه عليه .

و معنى ذلك أنّ المؤمن لا ينبغي عليه فقط أن يجتنب في شهر رمضان الآداب السيئة التي ذكرها الفقهاء في كتبهم العلية ، بل عليه في شهر الرحمة هذا أن يستجلب الرحمة بكلّ أرجاء وجوده ، و أن يتحلّى بالخشوع والخضوع و يشتغل على الدوام بذكر الله سبحانه ، و أن يسابق الى كلّ ما يقربه الى الله زلفى ، و ان يفرّ من كلّ ما يبعده عن الله ، و أن يعمل بما أمر الله و يجتنب ما نهى عنه ، و أن يغضّ بصره عمّا لا يحلّ له النظر اليه ، و ان يجتنب سماع ما نُهي عن سماعه . و خلاصة الأمر فقد بيّن الرسول بكلامه في خطبته ذلك الصراط المستقيم الذي يمثل الفاصلة القصوى بين الإنسان و بين الله .

ثم يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهاية هذه الرواية التي نقلها عن الرسول :

فَقُمْتُ وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ ؟
فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ! أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْوَرَعُ
عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ! ثُمَّ بَكَى فَقُلْتُ : مَا يُبْكِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ !
فَقَالَ : أَبْكِي لِمَا يُسْتَحَلُّ مِنْكَ فِي هَذَا الشَّهْرِ ، كَأَنِّي بِكَ وَأَنْتَ
تُصَلِّي لِرَبِّكَ وَقَدْ أَنْبَعَثَ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، شَقِيقٌ عَاقِرٍ نَاقَةٍ تُمُودُ
فَضْرَبَكَ ضَرْبَةً عَلَى قَرْنِكَ فَخَضِبْتَ مِنْهَا لِحْيَتَكَ !

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِي ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلِهِ وَسَلَّمَ : فِي سَلَامَةٍ مِنْ دِينِكَ .
ثُمَّ قَالَ : يَا عَلِيُّ مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَنِي ، وَ مَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي
لَأَنَّكَ مِنْ نَفْسِي وَطَيْبَتِكَ مِنْ طَيْبَتِي وَأَنْتَ وَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِي أُمَّتِي^١ .

١- يروي أصل هذا الحديث الشريف مع تَمَتُّه التي سَتَذَكَّرُ فيما بعد ، الصدوق في
كتاب «عيون أخبار الرضا» ، الطبعة الحجرية ، الباب ٢٨ ، ص ١٩٢ ، وفي «الأمالي» ، ص ٥٧
و ٥٨ . وقد رواه أيضاً صاحب الوسائل في «وسائل الشيعة» عن العيون الى لفظ «الورع
عن محارم الله» ، إلا أنه قام بتقطيع الحديث باعتبار أن باقيه لا يتعلّق بالأعمال المستحبة
والاجتهاد في الصلاة . لكن السيد ابن طاوس يرويه بتمامه في أوّل كتاب «الإقبال»
عن محمد بن أبي القاسم الطبري في كتاب «بشارة المصطفى لشيعة المرتضى» ، باسناده
عن الحسن بن علي بن فضال ، عن الامام علي بن موسى الرضا عن آبائه الكرام الواحد
تلو الآخر الى أمير المؤمنين عليه السلام . كما يرويه الشيخ بهاء الدين العاملي في الحديث
التاسع من كتابه «الأربعين» الطبعة الحجرية ، ص ٨١ - ٨٣ عن المرحوم الصدوق محمد بن
علي بن الحسين ابن بابويه القمي ، و يرويه كذلك المرحوم الفيض القاساني في كتاب
الوافي ، باب فضل شهر رمضان ، عن كتاب عرض المجالس للصدوق ، و هو نفس كتاب
الأمالي ، عن أحمد بن الحسن القطان ، عن أحمد بن محمد بن سعيد . و تتمّة الرواية : إن الله
تبارك وتعالى خلّقي وإياك ! فاختارني للنبوّة ، واختارك للإمامة . فمن أنكر إمامتك فقد
أنكر نبوّتي ، يا عليّ أنت وصيّ و أبو ولدي ، و زوج ابنتي ، و خليفتي على أمتي في حيوتي
و بعد موتي ، أمرك أمري ، و نهيك نهبي ، أقسم بالذي بعثني بالنبوّة و جعلني خير البرية أنّك
لحجّة الله على خلقه ، و أمينه على سرّه و خليفته على عبادته . انتهى .

و قد روى هذه التتمّة المحدث العظيم السيد هاشم البحراني في «غاية المرام» الطبعة
الحجرية ص ٢٩ ، عن ابن بابويه باسناده عن الأصمغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام ،
و رواها الشيخ القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة» طبع اسلامبول ، سنة ١٣٠١ ، ص ٥٣ ،
عن كتاب المناقب .

الجلس الثاني

في الحياة المؤقتة والحياة الدائمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(أُقيمت هذه المطالب في اليوم الثاني من شهر رمضان المبارك)

والحمد لله ربّ العالمين ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم
وصلّى الله على محمّد وءاله الطاهرين
ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن الى يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ *
أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا
بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ١

يمكن الاستنتاج من جعل ظاهر الحياة الدنيا في الآية الاولى في
مقابل الآخرة أنّ الآخرة هي باطن الدنيا وحقيقتها، وأنّ الحياة الدنيا لها
ظاهر وباطن، وذلك بقرينة تقابلهما وكون أحدهما قسيماً للآخر.

وكما أُشير في المجلس السابق فإنّ من الممكن ان تكون عبارة
«و في الآخرة عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان» الواردة في الآية
مورد البحث معطوفة على لفظ لعب ؛ اي أنّ الحياة الدنيا هي في الآخرة
عذاب شديد و مغفرة من الله و رضوان . فالحياة الدنيا ظاهرها تلکم
المراتب الخمس : لهو ، و لعب ، و زينة ، و تفاخر بينکم ، و تكاثر
في الأموال و الأولاد ، و باطنها - أي الآخرة - عذاب شديد و غفران الرب

١- الآية ٧ و ٨ ، من السورة ٣٠ : الروم .

الودود و رضوانه .

و عليه فإن هذه الآية التي نببحثها في هذا المجلس تأييد لمعنى الآية السابقة في سورة الحديد .

و يشهد على هذا المعنى ان الآية التي تلتها و عطف عليها ، و القائلة : **أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى** تفيد هذا المعنى ، و ذلك لأن خلق السموات و الأرض و ما بينهما بالحق و أجل مسمى هو نفسه واقعية الدنيا و حقيقتها التي غفل عنها الناس ، فاكثفوا بظاهر الدنيا و غصوا طرفاً عن لقاء الله و عن الآخرة . بلى ، يمكن الافادة من هذه الآيات ، و من آيات كثيرة أخرى وردت في القرآن الكريم بهذا البيان و التعبير ، ان خلق السموات و الأرض و ما فيهما له أجل معين و مدة محدودة ، و أن عمرها سينقضي بحلول ذلك الأجل و تصرم تلك المدة .

و لكن ، ما حكم غير السموات و الأرض و الموجودات التي فيها ؟ أهي الأخرى تمتلك أجلاً مسمى و مدة حياة معينة تؤول بعدها الى الفناء و الزوال أم لا ؟ ليس هناك آية من آيات القرآن تناولت بصراحة و تفصيل خصوصياتها و كيفية مبدأها و منتهائها ، مع انه يمكن -إجمالاً- إفادة دوامها و بقائها من آيات مباركة عديدة :

مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۚ^١

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۚ^٢

فقد بينت هاتان الآيتان لنا ان حقائق موجودات الدنيا و عالم الطبع

١- الآية ٦٦ ، من السورة ١٦ : النحل .

٢- الآية ٢١ ، من السورة ١٥ : الحجر .

و المادّة لها خزائن عند الله المتعال موجودة على الدوام ، لا يطرأ عليها الفناء و الزوال ، بالرغم من ان هذه الحقيقة يمكن فهمها من نفس الآية مورد البحث . فهي تقول : مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى و يمكن من هذا القول إدراك ان نفس الحق و الأجل المسمى لا يندرجان تحت حق و أجل مسمى آخر ، و أن لا زمان لها هي الأخرى ، و الآ لزم التسلسل و الدور ، فهي فوق الأجل و التدرج الزمني . و سيأتي هذا البحث - ان شاء الله تعالى - في بعض المباحث القادمة تحت عنوان : الموجودات الخالدة عند الله تعالى ؛ أما بحثنا الفعلي فهو عن السموات و الأرض و ما بينهما ، و من جملتها الإنسان .

و باعتبار ان الله سبحانه يقول اننا خلقنا السموات و الارض بأجل مسمى و زمان معين مشخص ، فإنه يتضح لنا ان مدتها جميعاً - و من بينها مدة حياة الإنسان - معلومة و محدودة ، فلا يمكنها ان تعيش و تبقى بعد ذلك الأجل و الزمن الذي قُدر لها .

على ان كمال الإنسان و كمال موجودات عالم الطبع هو في تكاملها في هذا الزمن المعلوم و الأجل المسمى المقدر لها ، فهي أعجز من أن تتخطى دائرة هذا الزمن فتسبق أجلها و تتعذاه ، أو أن تطيله أو تؤخره .

إن الموجودات المادية و الطبيعية التي تمتلك المادّة و الطبع لا تستطيع أبداً و في أي وقت من الاوقات الخروج على هذا القانون العام و تبديل زوالها و فنائها و محدودية أجلها و مدة حياتها الى حيث البقاء و الدوام و الاستمرار و الخلود ، و هذه الحقيقة مستفادة من الآيات القرآنية الصريحة . أما في خصوص الإنسان فتقول :

و لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً

وَلَا يَسْتَفِيدُونَ^١

و نظير هذه الآية :

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ^٢.

إنّ مسألة الموت تعدّ من المسائل المستعصية ، فقد بذل أفراد البشر الجهود المضنية و تحمّلوا المحن و المشاق ليتمكنهم جعل الحياة في هذه الدنيا خالدة دائمة ، وليحلّوا مسألة الموت و يفكّوا رموزها فيزيلوا هذه المشكلة ، بيد أنّ أحداً لم يوفق في مسعاه هذا .

و لقد بذل أكثر السلاطين اقتداراً ، و العظماء ، و العلماء و الحكماء و الفلاسفة و المفكّرون طيّ القرون المتطاولة قصارى و سعيهم و جهدهم و طاقتهم المادية و المعنوية و الفكرية عسى ان يفلحوا في فهم أسرار هذا اللغز و فكّ طلاسمه ، من أجل أن يتمكن البشر من العيش في الدنيا أبداً ، و أن لا ينتظر ورود الموت المريع و المخيف ولكنهم فشلوا .

و من بين الأشعار المعروفة و المشهورة لفيلسوف الشرق و مروج مدرسة المشائين الشيخ الرئيس أبي علي سينا قوله :

از قعر گِلِ سیاه تا اوج زحل

کردم همه مشکلات گیتی را حل

بیرون جستم ز قید هر مکر و حیل

هر بند گشاده شد مگر بند اجل^٣

١- الآية ٣٤ من السورة ٧ : الأعراف .

٢- الآية ٥ من السورة ١٥ : الحجر .

٣- أورد هذا الرباعي في «لغت نامه دهخدا» من بين الأشعار الفارسيّة لأبي علي سينا في مائة «أبو علي سينا» ، ص ٦٥٤ ، و وردت كذلك في المجلّد الاول من كتاب «جشن نامه ابن سينا» انتشارات جمعيت دار الآثار ، سنة ١٣٧١ : تأليف الدكتور ذبيح الله صفا ، ص ١١٤ هـ

وكذلك يقول الحكيم الخيام الذي يعدّ نفسه كاشف المعضلات
و مبين غوامض العلوم :

خيّام كه خيمه هاى حكمت مى دوخت

در كوره غم فتاد و ناگاه بسوخت

مقراض أجل طناب عمرش ببريد

دلال أمل براى گانش بفروخت^١

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الأيّام التي ضُرب فيها الضربة
التي استشهد بها ، ضمن خطبة له :

أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ ، وَ الْأَجَلَ مَسَاقُ
النَّفْسِ إِلَيْهِ ، وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ ، كَمْ اطَّرَدَتِ الْأَيَّامُ أَبْحَثُهَا
عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الْأَمْرِ ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ ، هَيْهَاتَ عِلْمٍ

من جملة أشعاره بالفارسية و يقول في ص ٢١٧ من نفس الكتاب : كتب هذا الرباعي
بالخط «النستعليق» على صخرة رخاميّة من يزد في الكتابات المنقوشة أعلى بوابة مقبرة ابن
سينا ، و لكن نُقل هذا الرباعي في ص ٩٧ من كتاب «رباعيات الخيام» تقديم الدكتور فريد رخ
روزن و المطبوع في برلين سنة ١٣٠٤ شمسية و نُسب الى الخيام :

أز جرم حضيض خاك تا اوج زحل كردم همه مشكلات گردون را حل
بيرون جستم ز بند هر مكر و حيل هر بند گشاده شد مگر بند أجل
يقول :

حللت كلّ مشكلات الكون من قعر الصلصال المسود إلى أوج زحل .

و تخطيت قيود كل مكر و حيله ، فأنحل أمامي كلّ قيد إلا قيد الأجل .

١- «ديوان رباعيات خيام» ، ط برلين ، ١٣٠٤ شمسية ، ص ٢٠ .

يقول :

إنّ الخيام الذي كان يخطط خيام الحكمة قد سقط فجأة في موقد الغم فاحترق .

فقد قطع حبل عمره مقراض الأجل ، و باعه مجاناً دلال الأمل .

مَعْرُوفٌ ١.

و العجب كيف انّ الانسان يقترب من الموت بفراره منه ! فهو يُسرع راكضاً في عبور الشارع لثلاث تصدمه سياره ، فتسبب سرعته نفسها اصطدامه و موته ، فهو في ظاهره فرار من الموت و في واقعه و حقيقته استقبال له . و ما أكثر ما راجع مريضٌ طبيياً ليعالج له مرضه فمات من اشتباه بسيط للطبيب ! أو ذهب الى مستشفى لاجراء عملية جراحية تمكنه أن يعيش قدراً أكثر في الدنيا فمات تحت مبضع الجراح !

و ما أكثر الأمثلة في هذا الأمر ! بل يمكن القول انّ الإنسان يسعى في جميع الساعات و اللحظات التي تمرّ عليه ليُنْجِي نفسه من براثن الموت و ليحفظ وجوده مُصاناً ، فيفعل ما يفيد له لإدانة حياته و يحترز عما يسبب قطعها و زوالها . هذه هي غريزة جميع أفراد البشر ، بيد أنّه مع وجود هذه الغريزة التي تجعل سعي الانسان منصّباً بشكل كامل على بقائه ، حتّى أنّه يمتلك في النوم كذلك حسّ تمالك و حفظ النفس هذا ، فإنّه - في متن الواقع و الحقيقة - يقترب بنفسه من الموت كلّ لحظة ، و يتقدّم بها بهذه النشاطات التي تقترن بانقضاء الزمن و طيه ، و التي تخرج عن دائرة إرادته و اختياره شاء أم أبى ، يتقدّم بها لحظةً بعد لحظة لاستقبال أجله و الاقتراب منه ، و هذا هو معنى قول المولى عليه السلام : **وَالْهَرَبُ مِنْهُ مَوَافَاتُهُ** .

قصة النبي سليمان (ع) مع الرجل الخائف وعزرائيل:

قيل انّ رجلاً فزعاً جاء صباح يوم عند سليمان على نبيّتنا و آله

١- الخطبة ١٤٧ من نهج البلاغة ، شرح محمّد عبدة ج ١ ، طبع مصر ، عيسى البابي الحلبي ، ص ٢٦٨ . و قد أورد المجلسي الجملة الاولى للإمام الى لفظ «موفاته» في بحار الأنوار ، كتاب العدل و المعاد ، ص ١٢٦ من الجزء السادس لطبعة الآخوندي .

و عليه الصلاة و السلام ، فلما شاهد سليمان اصفرار وجهه و ازرقاق شفاهه من شدة الخوف و الهلع ، سأله : ما بالك ايها المؤمن و ما علة خوفك و فزعك ؟!

أجاب الرجل : لقد نظر اليّ عزرائيل نظرة غضب و حقد فأفزعني ذلك كما ترى .

فقال سليمان : و ما هي حاجتك الآن ؟

قال : يا نبي الله الريح طوع أمرك ، فمرها لتأخذني الى الهند ، لعلني أنجو هناك من براثن عزرائيل .

فأمر النبي سليمان الريح لتحمله على وجه السرعة الى الهند . و في اليوم التالي جلس سليمان في مجلسه فجاء عزرائيل لرؤيته ، فقال له : يا عزرائيل ! لماذا نظرت الى ذلك العبد المؤمن نظرة مغضب حاقد فدفعت بذلك المسكين الفزع إلى الفرار من أهله وبيته إلى ديار الغربة؟

فقال عزرائيل : لم انظر اليه قط نظرة مغضب، ولقد أساء الظن بي ، فقد كان الرب ذو الجلال أمرني بقبض روحه في الهند في الساعة الفلانية ، فوجدته هنا قريباً من تلك الساعة ، فغرقتُ لذلك في دنيا من العجب والدهشة و تحيرت في أمري ، فخاف ذلك الرجل من تحيري و ظن خطأ أنني أريد السوء به . لقد كان الاضطراب من جهتي أنا ، و كنتُ أحدث نفسي : لو امتلك هذا الرجل ألف جناح لما أمكنه الطيران بها و الذهاب الى الهند في هذا الزمن القصير ، فكيف سأنجز هذه المهمة التي أوكلها الله لي ؟

ثم قلتُ لنفسي : فلاذهب كما أمرت فليس ذلك من شأني . و هكذا فقد ذهبتُ بأمر الحق الى الهند ففوجئتُ به هناك فقبضتُ روحه ^١.

١-الدفتري الأول للمثنوي ، طبع ميرخاني ، ص ٢٦ .

أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ امْرِئٍ لَأَقِي مَا يَفْرُ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ .

فهو في فراره من الموت يستقبله و يسقط بين أحضانه ، و انما الفرار عين الاستقبال . و ليس من أحد قادر على الفرار ، لأن أتي فرار مهما كانت كَيْفِيَّتُهُ و صورته : هو نفسه غوص في فم الموت الفاجر .

و للأجل معنيان : أحدهما بمعنى المدة و الزمان ؛ فالتعبير بأن أجل فلان خمسون سنة معناه ان مدة عمره هي هذا المقدار ، و تعبير لكل أمة أجل يعنى ان لكل أمة و جماعة مهلة و زمن خاص معين . و المعنى الآخر للأجل هو الحين و الموعد ، فأجل الدين يعنى حلول الموعد الذي ينبغي قضاؤه فيه و استيفائه ، و في التعبير فإذا جاء أجلهم ، يعنى اذا جاء الزمن الذي يحين فيه حينهم و تنتهي فيه حياتهم . و قد ورد في سورة سبأ (٣٤) ، الآية ٣ :

قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ .

و الميعاد هنا بمعنى رأس المدة و زمن حلول الوعد ، فقل أيها النبي ان لكم موعداً لا يمكنكم التعجيل فيه ساعة ، و لا دفعه و تأخيريه حين حلوله ساعة واحدة .

الفرق بين الأجل و الأجل المسمى في القرآن الكريم :

حين يحل ذلك اليوم ، فان العمر سيكون قد انقضى و الأجل قد حل ، بيد ان نكتة ظريفة وردت في القرآن الكريم في هذا الشأن تستلفت الاهتمام و العناية ، و هي قوله في احدى الآيات :

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ .^١

حيث يستبين هنا ان لدينا أجلين ، أحدهما أجل عيّنه الله لنا ،

١- الآية ٢ ، من السورة ٦ : الأنعام .

و الآخر أجل مسمّى عند الله .

و باعتبار علمنا وفق الآية ٩٦ ، من السورة ١٦ : النحل ، القائلة :
مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ . انّ ما لدينا ينفد و يفنى ، و أنّ ما عند الله
يبقى ، فإنّ الأجل المسمى سيكون - باعتبار كونه عند الله - من الأمور التي
ستبقى و لا يطرأ عليها العدم و الفناء . و عليه فإنّ مدّة عمرنا (أجلنا)
ستنقضي إلّا أنّ الأجل المسمى سيبقى .

و علينا ان نرى كيف أنّ لدينا أجلين ؟ و ما هو الفرق بينهما ؟
و كيف أنّ أحدهما فإنّ و الآخر باقي ؟

لتحليل هذا الموضوع نقول بأنه جاء في الآية ٢٤ من السورة ١٠ :

يونس :

إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعَامُ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا
وَ أَزْيَنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَيْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا
حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ .

فهذه الآية تبين أنّ حياة الإنسان في الدنيا على هذا النحو ، أي
أنّ النطف الباردة تستقرّ في مجمرة أصلاب الآباء ، ثمّ في أرحام الأمّهات ،
و تقضي دورة تكاملها في الرحم في منتهى الدفّ و الحرارة ، ثمّ يقدم
الإنسان الى الدنيا و يسعى وراء العلم و القدرة و الجاه و المال و الولد
و أنواع التعيّنات و الاعتباريات و أقسامها ، من أجل أن يمتلك العلم
و التجربة و قوّة التشخيص و الإدراك و المعرفة من مختلف وجوهها ،
و ليقدر على القيام بجميع النشاطات في هذه الأرض ، و إجمالاً : ليصل الى
الأوج و الذروة من جهة الحياة الدنيوية ، ثمّ يفاجئه الموت بغتةً من حيث لم
يخطر له على بال ، و يأتي عزرائيل فيطوي ملفّ حياته و يُلاشي آثاره

و خصائصه لتصبح كلها فانية كأن لم يكن من قبل شيئاً ، كأن لم تغن بالأمس وكأنه لم يقم في الارض أو يسكن فيها .
يقول الله تعالى في هذه الآية المباركة : أُنْثِيَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ،
فيتضح أنّ نهاية الحياة في الدنيا بأمر الله سبحانه ، و أمر الله بيده و عنده ،
و هو الأجل المستمى الذي ذكرناه .

و عليه فإن انقضاء العمر و مجيئ الأجل مترتب على الأجل المستمى
والأمر الالهي الذي يأتي فيختم هذا الأجل فلا تبقى معه للانسان مهلة .
و يتضح هنا كيفية و نحو هذين الأجلين : أجل دنيوي زماني يمثل
المدة التي تشكل مرحلة عمر الإنسان ، و التي تطوى و تنقضي بطي
الزمان ، و محو وجودها تدريجي ، ثم تزول في النهاية فيحل حين الانسان
و تنتهي مهلته بشكل متزامن مع وفاته . و أجل مستمى عند الله . أمر الهي
لا ينتمي الى عالم الزمان و لا يطرأ عليه الهلاك و الفناء ، بل هو عند الله
ثابت على الدوام . و انما ينظم و يضع أساس هذا الأجل الدنيوي . فنحن -
مثلاً - قد أدينا الصلاة أول الظهر ثم دعونا ، ثم انقضت تلك الأزمنة و أحالتنا
الى هذا الزمن الفعلي الذي نشتغل فيه بالتحدث الى الأصدقاء الأعزاء ،
و هذا الزمن ينقضي هو الآخر بدوره و يدفعنا لحظة بعد لحظة الى الأمام
في دائرة طي الزمان و تدرجه ساعات و أياماً و شهوراً و سنيناً ، حتى
يوصلنا الى آخر نقطة الأجل التي تمثل يوم الميعاد و الميقات . أما الأجل
المستمى الالهي فهو ثابت لا يطوى بطي الزمان و مروره ، و ذلك الأجل
المستمى هو عمر الإنسان من أوله الى آخره الذي عُيّن له في عالم المعنى
و الملكوت ، لا تجاوز و لا تخط فيه ، و على ذلك الأساس و الأصل الثابت
يخطط أساس مشروع العمر الدنيوي و الزماني . فذلك الأجل موجود
في عالم فسيح أوسع من نشأة الدنيا ، و في عالم الملكوت الذي توجد على

أساسه جميع موجودات عالم المادّة و الطبع التي نزلت الى هذا العالم . ذلك العالم هو عالم القدوة و النموذج و الحقيقة ، و هذا العالم عالم المثال و المجاز و نقصان ، فانقضاء العمر الذي نراه زائلاً من وجهة نظر تدريج المادّة لدرجة أنه اذا ما نظرنا اليه بفهم و إدراك أفضل و أعمق ، او اذا ما أدركنا عالم الملكوت بالحسّ و المشاهدة ، فاننا سنجد ذلك الأجل الثابت و المسمى موجوداً هناك و ثابتاً لا يفنى و لا يزول أبداً . يشهد على هذا المعنى قوله تعالى :

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ^١

و أجل الله هو الأجل المسمى ، و هو نفسه الأمر الالهي .

اي أنّ أولئك الذين يحدوهم الأمل بقاء الله ، ينبغي أن يصلوا الى عالم الملكوت ليدركوا ذلك الأجل المسمى و خصوصياته من البداية الى الخاتمة ، او ينبغي أن يعبروا الأجل الدنيوي - بالموت الاختياري او الاضطرابي - ليصلوا الى عالم الملكوت ، لأنّ لقاء الله بدون طي عالم الملكوت و إدراك الثابتات - و من جملةتها الأجل المسمى - من الأمور المستحيلة .

و يمكن القول بتعبير آخر أنّ الأجل المسمى و الأجل الدنيوي حقيقة واحدة و أمر واحد ، غاية الأمر أنّ النظر اليها يجري من زاويتين مختلفتين ، فإحدى وجهتي هذه الحقيقة و أحد أطرافها عالم الطبع و المادّة و هو قضاء العمر ، و وجهتها و طرفها الآخر عالم الملكوت الثابت ، و هو طريق العبور الى أسماء الربّ الودود و صفاته ، و الفناء أخيراً في الذات المقدسة الربوبية ، و سيكون الأجل المسمى الموجود في عالم الملكوت من منازل طريق الوصول الى ذلك الأمل و هو لقاء الله تعالى .

١- الآية ٥ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

و قد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم لها دلالة على عودة
الانسان و جميع الأشياء الى الله سبحانه :

أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ .^١
وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ .^٢
وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ .^٣
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ .^٤
ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ .^٥
إِنَّ إِلَى رَبِّكَ أَلُّجَعَى .^٦
إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ .^٧
ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ .^٨
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .^٩
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ .^{١٠}

فرجوع نفس الانسان ، و حلول الأجل الدنيوي ، و الوصول للأجل

-
- ١- الآية ٥٣ ، من السورة ٤٢ : الشورى .
 - ٢- الآية ٤٢ ، من السورة ٢٤ : النور ؛ و الآية ١٨ من السورة ٣٥ : فاطر .
 - ٣- الآية ١٢٣ ، من السورة ١١ : هود .
 - ٤- الآية ٤ ، من السورة ٣٥ : فاطر ؛ و الآية ٥ ، من السورة ٥٧ : الحديد .
 - ٥- الآية ١١ ، من السورة ٣٢ : السجدة ؛ و الآية ١٥ ، من السورة ٤٥ : الجاثية . - الآية ١ ، من السورة ٣٢ : السجدة ؛ و الآية ١٥ ، من السورة ٤٥ : الجاثية .
 - ٦- الآية ٨ ، من السورة ٩٦ : العلق .
 - ٧- الآية ٤٨ و ١٠٥ ، من السورة ٥ : المائدة ؛ و الآية ٤ ، من السورة ١١ : هود .
 - ٨- الآية ١٦٤ ، من السورة ٦ : الأنعام ؛ و الآية ٧ ، من السورة ٣٩ : الزمر .
 - ٩- الآية ١٥٦ ، من السورة ٢ : البقرة .
 - ١٠- الآية ٦ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق .

المستقى ، و الانتقال من المادة الى عالم المثال و الصورة ليست الآ الموت ، و بالطبع فإن حقيقة الموت ليست امراً محسوساً يمكن لمسه أو إدراكه بالحواس ، لأنّه انتقال من عالم الطبع و الحس الى عالم ما فوق الحس الذي يُقال له عالم البرزخ و المثال ، و هو - لهذا - لا يُدرك بالحس ، لأن الموت حركة من عالم الطبع و المادة و أنّى له أن يُدرك بالحس و هو نفسه من الطبع و المادة ؟

و للشيخ الرئيس أبي علي سينا مطالب بشأن حقيقة الموت و علّة الخوف منه وردت في كتاب «الشفاء» نوردها هنا :

«و أمّا من يجهل الموت و لا يعرف حقيقته فأبيّن له أنّ الموت ليس أكثر من ترك النفس الإنسانية لآلاتها التي تستعملها ، أي أعضائها التي يُسمّى مجموعها بالبدن ، كما يترك الشخص الصانع آلات عمله .

و ذلك لأنّ نفس الانسان جوهر غير جسماني ، و ليست عرضاً من الأعراض ، و لا تقبل الفساد و التلف ، و حين يفارق هذا الجوهر البدن فإنّه سيبقى ببقاءٍ يُناسبه ، و يصفو من أكار عالم الطبيعة و ينال سعادته التامة ، فلا سبيل الى زواله و فناءه و انعدامه ، لأنّ الجوهر لا يفنى و لا تبطل ذاته ، و ما يبطل هو تلك النسب و الإضافات و الأعراض و الخواصّ و الأمور التي بينه و بين الأجسام و الرابطة بينهما .

أمّا الجوهر الروحاني فلا يقبل أبداً الاستحالة و الانقلاب ، و لا يتغير في ذاته ، بل يقبل كمالات و تماميّة صورته فقط ، فكيف يُتصور انعدامه و تلاشيّه ؟

و أمّا من يخاف من الموت فلأنّه لا يعلم أين ستكون عودته و رجوعه ، أو لأنّه يظنّ أنّ ذاته ستنحلّ ، و نفسه و حقيقته ستبطل بانحلال بدنه و بطلان تركيبه ، فهو يجهل بقاء نفسه و لا يعلم كيفيّة المعاد ، فهو

في الواقع لا يخاف من الموت بل يجهل أمراً كان حريّاً به أن يعلمه . و علّة خوفه أنّما هي جهله ، هذا الجهل الذي دفع بالعلماء الى طلب العلم و مشقّة سبيله ، و جعلهم يتركون لذات الجسم و راحة البدن في سبيله»^١.

و بناءً على هذه الحقيقة فإنّ الموت سوف لن يوجد الاضطراب و لا الحيرة و الفزع للعارف و المؤمن ، بل أنّه سيُثير فزع الافراد الذين ابتعدوا عن تجرّد النفس بالانغماس في عالم المادّة و الشهوات ، والذين لم يعرفوا ربّهم بسبب عدم معرفة عوالم القرب و عدم الأُنس بها ، اولئك الذين يجعلهم جهلهم في فزع و اضطراب دائمين .

أمّا المؤمن الذي لم يتخطّ طريق الحقّ قدماً واحداً ، و الذي وافق بين عمله و صفاته و بين الحقّ و أمر الحقّ ، فطوى كشحه في هذه الدنيا عن عالم الغرور و تجافى عنه ، و مال الى دار الخلود و الأبدية ، و كان عاشقاً و محبّاً للقاء الله ، فهو كذلك عاشق للموت ، عاشق للتجرّد ، لأنّه محبّ لله مؤمن بفردانيّته ، فهو يتمنّى كلّ يوم أن يخلع لباس البدن و يرتدي خلعة التجرّد و زيّه ، بل أنّه يسعى على الدوام ليقبّل كلّ يوم درجةً من غروره و مجازه ، و يقترب كلّ يوم درجةً من إدراك المعنى و الحقيقة ، حتّى يصل الى الحد الذي تصبح لديه جميع الأمور الدنيويّة الفانيّة مدفونة في سراب البطلان و العدم ، و حتّى يتحقّق لديه تجلّي عالم الأنوار و الحقيقة .

يقول الباري عزّوجل في خطابه لليهود :

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ

١- كتاب الشفاء ، مجلّد الالهيات ، و قد حُطّطت عين عبارة أبو علي العربيّة حول الأطراف الأربعة لصندوق قبره الموضوع على محلّ دفنه في همدان .

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ^١

يا أيها النبي قل لليهود (الذين يدعون أنهم مقربون عند الله ، و أنّ الآخرة و الجنة ملكهم المنحصر بهم) قل : إن كانت الجنة و المنزل الخالد عند الله لكم فقط لا يستفيد منه الآخرون ، و إن صدقتم في ادعائكم هذا فتمتوا الموت . و لن يتمنونه أبداً بسبب أساليبهم و أعمالهم الظالمة التي اجترحوها و قدموها قبلهم ، و الله سبحانه عليم بالظالمين .

أي أنّ من عمل صالحاً ، و لم يتجاوز على حرق الآخرين ، و لم ينحرف عن مقام عبوديته لله سبحانه ، سيكون قد وجد الارتباط بالله و المعرفة به ، وهذا الأنس و العلاقة سيوجبان محبته و نزوعه إلى لقاءه و النظر إليه عزوجل ، و باعتبار أنّ الموت يمثل جسر العبور للقاء و الوصال ، فإنّ المؤمن ينبغي أن يكون عاشقاً للموت ، لأنّ عاشق الحبيب يعشق أيضاً الطريق الذي يقوده الى حبيبه .

و يقول تعالى أيضاً :

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ^٢.

أنّ من يعقد آماله على عالم الغرور ، فينحصر نظره الى عالم الوجود من نافذة الشهوة و الغضب و الاستثمار و التعين و الحكومات غير اللاتقة ، أي أنّ من انغمس في عين الجهل وابتعد عن عالم الحقيقة المائل في متن الواقعية ، و ابتعد عن الله سبحانه و لم يُبدِ خضوعاً في مقام العبودية له ، فهو

١- الآية ٩٤ و ٩٥ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- الآية ٦ و ٧ ، من السورة ٦٢ : الجمعة .

معرفة المعاد (١)

في الحياة المؤقتة و الحياة الدائمة

ليس عاشقاً لله أبداً، بل هو مُدَّع كاذب و ليس من أولياء الله ، لأنّ الولي عاشق لمولاه، كما انه ليس محبّاً لأنّ المحب مشتاق لزيارة و لقاء حبيبه .
انّ اليهود يدّعون أنّهم النخبة و الصفوة من ولد آدم ، و أنّهم لن يحترقوا في نار جهنّم يوم القيامة الاّ أليماً معدودات هي الأربعين يوماً التي تمرّدوا فيها على هارون و صيّي موسى فعبدوا العجل ، و هم كاذبون في ادّعائهم هذا، لأنّ آثار المحبّة لا تتبين في هيكّل وجودهم و في أرجاء عملهم و اسلوبهم و سلوكهم المعرّف بصفاتهم و ذواتهم و طريقة تفكيرهم .
اولئكم عشاق الدنيا ، المتلهّفون لكنز المال و الثروة ، و هم لذلك يعشقون ايّ سبيل ينهج بهم الى معشوقهم و معبودهم ، و لو كان قتل النفوس البريئة و نهب الأموال المحترمة . اولئكم عشاق حياة عالم الغرور لا عشاق الأبدية و السرمديّة .

آزمودم مرگ من در زندگی است

چون روم زین زندگی پایندگی است

أقتلونني أقتلونني يا إلقاء

إنّ في قتلتي حياة في حياة^١

و في رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى قَبْضَ رُوحِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَهْبَطَ مَلَكُ

الْمَوْتِ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ !

قَالَ : وَ عَلَيكَ السَّلَامُ يَا مَلِكَ الْمَوْتِ . أَدَاعِ أَمْ نَاعِ ؟

قَالَ : بَلِ دَاعٍ يَا إِبْرَاهِيمَ ، فَأَجِبْ .

١- يقول : وجدت في حياتي موتي ، ادركت أنّ الخلود في رحيلي عن هذه الحياة ٥

اقتلونني اقتلونني ...

قال ابراهيم : فَهَلْ رَأَيْتَ خَلِيلًا يَمِيتُ خَلِيلَهُ ؟

قال : فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله جلّ جلاله فقال :

الهي قد سمعت ما قال خليلك ابراهيم .

فقال الله جلّ جلاله : يا ملك الموت اذهب اليه و قل له : هَلْ رَأَيْتَ

حَبِيبًا يَكْرَهُ لِقَاءَ حَبِيبِهِ ؟ إِنَّ الْحَبِيبَ يُحِبُّ لِقَاءَ حَبِيبِهِ ^١ .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول :

وَاللَّهِ لَا بُدَّ لِي أَبِي طَالِبٍ أَنَسَ بِالْمَوْتِ مِنَ الطُّفْلِ بِئَدْيِ أُمِّهِ ^٢ .

وجملة الإمام هذه من بين فقرات خطبة ألقاها بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله حين التفت حوله الزبير و أبوسفیان و جماعة من المهاجرين يحرضونه على النهوض و المطالبة بحقه ^٣ ، و كان عليه السلام خبيراً بنواياهم ، و كان يعلم أنّ الهَمَّ الوحيد لأكثرهم كان في الحكومة الظاهرية و الرئاسة الدنيوية ، لذا فقد رذهم جميعاً و قال في خطبته أنّ الأرضية لم تمهّد لي بعدُ لتشكيل حكومة إلهية ، و أنّ الأمور لم تستوسق بعدُ ، شأنها كلقمة اعترضت في الحلق ، او كفاكهة فجّة تقطف من الشجر في غير أوانها . و لست أحكم للحصول على تاج المفاخرة و الغرور الدنيوي ، و لست أحكم طمعاً بالملك ، كما ليست التقية و السكوت نابعة من خوفاً من الموت ، ثمّ أنشأ الجملة الغراء السابقة ،

١- بحار الانوار طبع الاسلامية ، ج ٦ ، ص ١٢٧ ، نقلاً عن أمالي الصدوق ، عن الدقاق ، باسناده عن ابن ظبيان ، عن الصادق عليه السلام عن آبائه الواحد تلو الآخر الى أمير المؤمنين عليه السلام كما يرويه في ج ١٢ ، ص ٧٨ بنفس السند عن الأمالي و علل الشرايع .

٢- نهج البلاغة ، شرح محمّد عبده ، ط مصر ، ص ٤١ ، الخطبة ٥ .

٣- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ، المجلد الأول ، ص ٢١٨ و ٢١٩ من الطبعة ذات العشرين مجلداً .

و قال بعدها :

بَلْ اَنْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونٍ عِلْمٌ لَوْ بُحِثَ بِهِ لَأَضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ
الْأَرْضِيَّةِ فِي الطُّوَى الْبَعِيدَةِ.^٢

كان حب أمير المؤمنين لله و شوقه اليه يجعله مشتاقاً للموت ، وكان
عشقه للقاء الله يجعله يأنس بالموت أشد من أنس الطفل بثدي أمه ، لذا فقد
نادى حين هوى سيف ابن ملجم المرادي على فرقه الشريف :

بِسْمِ اللَّهِ وَ بِاللَّهِ وَ عَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ فُزْتُ وَ رَبِّ الْكَعْبَةِ .
يروى ابن الأثير الجزري في كتاب (أسد الغابة) بسلسلة سنده عن
عثمان بن صهيب ، عن أبيه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم: مَنْ أَشَقَى الْأَوَّلِينَ؟
قُلْتُ: عَاقِرُ النَّاقَةِ. قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فَمَنْ أَشَقَى الْآخِرِينَ؟
قُلْتُ: لَا عِلْمَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: الَّذِي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذَا،
وَ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى يَأْفُوحِهِ.

وَ كَانَ يَقُولُ: وَ دَدْتُ أَنَّهُ قَدَانْبَعَثَ أَشْقَاكُمْ فَخَضَبَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ.
يَعْنِي لِحِيَّتَهُ مِنْ دَمِ رَأْسِهِ.^٣

و يروي ابن الأثير أيضاً بسنده المتصل عن أبي الطفيل: إِنَّ عَلِيًّا

١ - الجبال.

٢ - طوى : جمع طوية ، كثرى و قرية ، و هي البثر ؛ و يمكن ان تكون العبارة هكذا :
في الطوى البعيدة ، كعلني ، و الطوى بمعنى السقاء و القرية ، و في هذه الحال تكون «البعيدة»
صفة تتعلق بموصوفها «الطوى» ، أي : في الطوى البعيدة محلها و مقرها ، أي كالسقاء
المستقر في أعماق البثر البعيدة القعر .

٣ - اسد الغابة ، طبع الاسلامية في احوال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - ج ٤ ،
ص ٣٤ و ٣٥ . وكذلك ذكرت هذه الرواية في الصواعق المحرقة ص ، ٧٤ . طبع المكتبة
المرتضوية ، طهران .

معنى أنشأ الآخرين ، و إخبار الإمام عن شهادته على يد ابن ملجم المرادي المجلس الثاني

جَمَعَ النَّاسَ لِلْبَيْعَةِ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ الْمُرَادِيُّ فَرَدَّهُ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ قَالَ عَلَى: مَا يَحْبِسُ أَشْقَاهَا فَوَاللَّهِ لَيُخْضِبَنَّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ؟ ثُمَّ تَمَثَّلَ:

أَشْدُّ حَيَازِيْمَكَ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيَمَكَ
وَلَا تَجْزِعَ مِنَ الْقَتْلِ إِذَا حَلَّ بِوَادِيكَ^١

و يقول مالك الأشتر: كنتُ ألحظ أمير المؤمنين عليه السلام دوماً ، فكان لونه يتغير عند الصلاة ، و روحه تذهب الى الملاء الأعلى ، فيلقي ربه . ولم أره يتزلزل أو يخاف في شيء من الحروب والأهوال، حتى كأن الموت لم يكن له عنده من معنى^٢.

و يقول الأصْبَغُ بن نباته: لَمَّا ضُرِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَ أَكْبَيْتُ عَلَيْهِ فَقَبَّلْتُهُ وَ بَكَيْتُ . فَقَالَ لِي: لَا تَبْكِي يَا أَصْبَغُ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ الْجَنَّةُ . فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ إِنِّي أَعْلَمُ وَاللَّهِ إِنَّكَ تَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ وَ إِنَّمَا أَبْكِي لِفَقْدَانِي إِيَّاكَ^٣.

و لقد كان قرة عينه و قرة عين الزهراء: سيد الشهداء المولود بحب الله و العاشق للاقائه يقول في تلك الساعات الأخيرة في مناجاته مع ربه:

إِلَهِی رِضِی بِقَضَائِكَ تَسْلِيْمًا لِأَمْرِكَ لَا مَعْبُودَ سِوَاكَ يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ .

تَرَكْتُ الْخَلْقَ طَرًّا فِي هَوَاكَ
وَ أَتَيْتُمُ السَّيَالِ لِكَيِّ أَرَاكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا
لَسَا حَنُّ الْفُؤَادِ إِلَى سِوَاكَ

١- أسد الغابة، ج ٤، ص ٣٥.

٢- لم نعثر على أصل الرواية، فترجمنا النص الفارسي (م).

٣- بحار الأنوار المطبعة الحيدرية، ج ٤٢، ص ٢٠٤.

الجلس الثالث

في علّة الخوف من الموت

بسم الله الرحمن الرحيم

(أُقيمت هذه المطالب في اليوم الثالث من شهر رمضان المبارك)

والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وصلّى الله على محمد وءاله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ^١

لقد انتهى بنا البحث الى ان الموت عبارة عن انتقال نفس الانسان من
نشأة الدنيا وتعلق عالم المادة الى الآخرة وعالم البرزخ والصورة ، ومن
ثم الى القيامة الكبرى ، وذلك لأن النفس ليست مادية ولا من آثار
المادة ، بل هي جوهرية مجردة و لطيفة ربّانية .

و سواء قلنا الآن بأن اصل خلق الروح كان من عالم التجرد في حين
كان البدن من عالم المادة ، فأنزل الله الروح من العالم العلوي وأسكنها
في البدن ، فاستخدمت الروح آلات البدن وأعضائه بعنوان أدوات
و وسائل للعمل ، ثم انها تتركها عند الموت كما يترك الصانع آلاته وأدواته
التي كان يعمل بها ، كما اعتقد بذلك الشيخ الرئيس ابوعلى سينا في قصيدته
العينية ، على الرغم من انه وضع قواعد مباحث النفس في آثاره وكتبه

١- الآية ٧ و ٨ ، من السورة ١٠ : يونس .

الأخرى على أساس آخر.^١

و ذلك لأنّ الشيخ يقول في أشعاره المعروفة المشهورة التي تعدّ من قصائده الرائعة في باب النفس :

- ١- هَبَطْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَحَلِّ الْأَرْفَعِ
وَزَقَاءُ ذَاتِ تَعَزُّزٍ وَ تَمَنُّعٍ
- ٢- مَحْجُوبَةٌ عَنْ كُلِّ مُقَلَّةٍ عَارِفٍ
وَهِيَ الَّتِي سَفَرَتْ وَ لَمْ تَتَبَرَّعِ
- ٣- وَصَلْتُ عَلَى كُرْهِ إِلَيْكَ وَ رُبَّمَا
كَرِهْتُ فِرَاقَكَ فَهِيَ ذَاتُ تَفْجَعِ
- ٤- أَنْفَتُ وَ مَا أَنْسْتُ فَلَمَّا وَاصَلْتُ
أَلِفْتُ مُجَاوِرَةَ الْخَرَابِ الْبَلَقِ

الى قوله :

- ١٨- وَ تَعُودُ عَالِمَةً بِكُلِّ خَفِيَّةٍ
فِي الْعَالَمِينَ فَخَرَّتْهَا لَمْ يُرَقِعِ
- ١٩- وَ هِيَ الَّتِي قَطَعَ الزَّمَانُ طَرِيقَهَا
حَتَّى لَقَدْ غَرَبَتْ بِغَيْرِ الْمَطْلَعِ
- ٢٠- فَكَأَنَّهَا بَرَقَ تَأَلَّقَ بِالْحِمَى
ثُمَّ انْطَوَى فَكَأَنَّهَا لَمْ يَلْمَعْ^٢

١- اختار الشيخ الرئيس في آثاره الاخرى كالشفاء و النجاة القول بتزامن النفس و البدن ، لكن نظريته في قصيدته العينية المذكورة اقتربت من حكمة الإشراق .

٢- وردت هذه القصيدة بأكملها في «لغت نامه دهخدا» ، مادة أبوعلى سينا ، ص ٦٥٣ .
و أوردها كذلك الدكتور ذبيح الله صفا في كتاب (جشن نامه ابن سينا) ، * المجلد الاول ،
ص ١١٦ و ١١٧ . و يقول في ص ١١٦ : و هناك في اليد شروح متعدّدة لهذه القصيدة ، مثل :-

و قد شبه الشيخ في قصيدته هذه الروح الانسانية و النفس الناطقة باليمامة الوراق ذات التحليق البعيد و الوجود العزيز و المحل المنيع ، التي هبطت من عشها العالي ذلك الى قفص البدن و سجنه . فيقول في وصفها :
١ - لقد هبطت و رقاء الروح ذات المقام العزيز و المحل المنيع من ذراها و محلها الرفيع السامي و اتجهت نحو بدنك .

٢ - و لقد كانت لطيفة الروح تلك محتجبة عن أنظار كل عارف و خبير مع أنها - و يا للعجب - لم تسدل على طلعتها نقاباً ، بل برزت سافرة أمام أنظار الجميع .

٣ - و لم يكن اتصال تلك الروح و اللطيفة الناطقة و اقترانها بالبدن

شرح تلميذ الشيخ : عبدالواحد بن محمد الجوزجاني ، و شرح عفيف الدين التلمساني (المتوفى سنة ٦٩٠ هجرية) و اسمه الكشف و البيان في علم معرفة الإنسان، و شرح سليمان الماحوزي البحراني ، و شرح داود الأنطاكي ، و شرح سديد الدين المنائي ، و شرح محيي الدين ابن العربي ، و شرح ميرسيد شريف الجرجاني ، و شروح أخرى للمتأخرين .
و يقول أيضاً : و قد طبعت هذه القصيدة أيضاً في «طبقات الأطباء» لابن أبي صبيحة (ج ٢ ، ص ١٠ - ١١) ، و كتاب «نامة دانشوران» ، و «كشكول الشيخ البهائي» (طبع مصر ، ص ١٨٦) ، كما قام كاردفكس Baron Carrade Vaux بترجمتها الى الفرنسية و نشرها في المجلة الآسيوية (الدورة التاسعة ، ج ٤ ، ص ١٥٧ - ١٧٣) . و في اليد أيضاً ترجمتها باللغة التركية للسيد حريمي ، و كذلك فان ترجمتها الفارسية موجودة ، انتهى . ثم ذكر بعد القصيدة العربية قصيدة بالفارسية كشرح لها و لا يعلم اسم الشارح فقد كتب في نهاية الشرح : كتبت على يد أضعف عباد الله أقل الطلبة غلام حسين الطيب في شهر شعبان المعظم من شهر سنة تسع و تسعين و مائتين بعد الألف من الهجرة . و يمكن ان يكون الشارح هو غلام حسين الطيب نفسه أو شخص آخر غير غلام حسين بكتابة الشرح نقلاً عنه ، حيث جمع ذلك الشرح مع أصل القصيدة العربية و رسالة حي بن يقظان و تفسيرها عن أبي منصور بن رتليه في مجموعة واحدة ضمها كتاب واحد .

* - مهزجان ابن سينا

طوعياً ، بل كان اقتراناً أُكْرِهَتْ عليه و أُجبرت على قبوله ، بيد أنّها - و يا للعجب - صارت بعد وصولها للبدن تأبى مفارقتها ، و لا ترضى بمغادرة قفص البدن و سجنه ، فهي تتفجّع و تئنّ في مأتمها لفراقه ، و تنهمك محزونةً في الغمّ و الغصّة الشديدين .

٤- لقد شُغِلَتْ تلك النفس الناطقة في مقامها بنفسها فأُنْفِتْ أن يكون لها ارتباط بعالم المادّة ، كما أنّها لم تأنس بالطبع ، لكنّها بمجرّد اتّصالها ببدن الانسان أُلْفَتْ دير الخراب و الصحراء القفر القاحلة للجسد بواسطة علاقة المجاورة معها .

١٨- و ستعود هذه النفس الناطقة الى محلّها الأوّل و قد صارت عالمةً بخفايا العالم و أسرار هيكل الوجود الشامخ ، لذا فقد جبرت بذلك ذلّة انكسارها و هبوطها ، و رقعت الخرق الذي أصابها بهبوطها ، بل أنّها قد سمت بامتزاجها بنور العلم و معرفة أسرار الخلقة فكأنّها لم تهبط قبلاً و لم يصيبها خرق و انكسار أبداً .

١٩- و لطيفة الروح هذه هي التي قطع الزمان طريقها ، فقد جاءت و ذهبت بسرعة بحيث غربت قبل طلوع و بروز مقاماتها و كمالاتها و درجاتها في هذا العالم ، فكأنّها اختفت في مغربها قبل طلوعها .

٢٠- و لقد كان تعلّقها بعالم المادّة و البدن الإنساني كالبرق الذي لمع فجأة فأضاء الحمى ، ثم اختفى و تلاشى بسرعة ، حتّى كأنّه لم يلمع و لم يبرق . و هذه هي عقيدة أبي علي سينا و مذهبه في خلقة الروح و كيفية تعلّقها بالبدن و مفارقتها له .

أو إذا قلنا بأنّ أساس تكوّن النفس الناطقة كان جسمانياً ثم صار اثر الحركة الجوهرية و طيّ مدارج الكمال و معارجه روحانياً ، فتجسّم على هيئة موجود مجرّد ، كما اعتقد بذلك المرحوم صدر المتألّهين الشيرازي

نتيجة واحدة لكلتا النظريتين في انتقال الروح بعد الموت الى عالم الملكوت المجلس الثالث

و قام بوضع هوية النفس و موجوديتها على هذا المبنى ، فقال :
النَّفْسُ جِسْمَانِيَّةُ الْحُدُوثِ وَ رُوحَانِيَّةُ الْبَقَاءِ .

و قد تابع المرحوم الحاج المولى هادي السبزواري هذا النهج و سار عليه ، فقال في غرر الفرائد :

النَّفْسُ فِي الْحُدُوثِ جِسْمَانِيَّةٌ وَ فِي الْبَقَاءِ تُكُونُ رُوحَانِيَّةً
و بالطبع فاننا لو لاحظنا النفس في الحركة و الاستهلاك - لا في مرحلة
الوقوف و الفعلية - لوجدناها تمتلك مراحل كهذه ، و قد عمدوا - توضيحاً
للأمر - الى تشبيه النفس في مراتب و درجات حيازتها لكمالاتها بمراتب
و درجات الحرارة التي تنبعث في الفحم . فلو وضع الفحم بجوار النار
لسخن أولاً و ارتفعت حرارته ، ثم يحمرّ و يتوهج في المرحلة الثانية ، ثم
يشتعل و يلتهب في المرحلة الثالثة ، و يصل في المرحلة الرابعة الى الإضاءة
و بعث النور . و على هذا الأساس قال العطار :

تن زجان نبود جدا عضوی ازوست

جان زكل نبود جدا جزوی ازوست^١

وبناءً على كلا المنهجين فإن الموت عبارة عن انتقال الروح
عن البدن و ترك تعلقها بالمادة و آثارها ، فذلك الجوهر المجرد سينتقل الى
محله المنيع ودرجته الرفيعة تاركاً قالب البدن و قفصه الذي حُبس فيه .
روى المرحوم الصدوق و غيره عن الرسول الأكرم صلى الله عليه
و آله أنه قال :

١- يقول : أنَّ البدن ليس منفصلاً عن النفس بل هو عضو منها ، كما ان النفس ليست
منفصلة عن الجمع بل هي جزء منه .
أورده الحكيم السبزواري في شرح المنظومة في هامش غرر النفس الناطقة ؛ طبع
ناصرى ، ص ٢٨٩ .

مَا خُلِقْتُمْ لِلْفَنَاءِ بَلْ خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ وَإِنَّمَا تَنْتَقِلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ^١.
و روى في علل الشرايع ضمن حديث ، باسناده عن السكوني ، عن
الامام الصادق عليه السلام قال :

فَهَكَذَا الْإِنْسَانُ خُلِقَ مِنْ شَأْنِ الدُّنْيَا وَ شَأْنِ الْآخِرَةِ فَإِذَا جَمَعَ اللَّهُ
بَيْنَهُمَا صَارَتْ حَيَوَتُهُ فِي الْأَرْضِ لِأَنَّهُ نَزَلَ مِنْ شَأْنِ السَّمَاءِ إِلَى الدُّنْيَا ، فَإِذَا
فَرَّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا صَارَتْ تِلْكَ الْفُرْقَةُ الْمَوْتُ تُرَدُّ شَأْنُ الْآخِرَى إِلَى السَّمَاءِ ؛
فَالْحَيَوَةُ فِي الْأَرْضِ وَ الْمَوْتُ فِي السَّمَاءِ ، وَ ذَلِكَ أَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ
وَالْجَسَدِ فَرَدَّتْ الرُّوحُ وَ النُّورُ إِلَى الْقُدْرَةِ الْأُولَى وَ تَرِكَ الْجَسَدُ لِأَنَّهُ
مِنْ شَأْنِ الدُّنْيَا ... الحديث^٢

و من هنا كان التعبير عن الموت في القرآن المجيد بالحق ، اي أنه
أمر واقعي حقيقي وليس حادثة تخيلية و موضوعاً توهمياً .
وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ^٣

و يقول في الآيات ١٦- ٢٢ ، من السورة ٥٠ : ق
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ *

١- رسالة (الانسان بعد الدنيا) للعلامة الطباطبائي ، مخطوطة ، ص ٢ ، و أصل هذا
الحديث في رسالة عقائد الصدوق ، حيث أورد المجلسي في بحار الانوار ، الطبعة الكمباني ،
المجلد ١٤ ، ص ٤٠٩ : قال الصدوق رضي الله عنه في رسالة العقائد :

قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : مَا خُلِقْتُمْ لِلْفَنَاءِ بَلْ خُلِقْتُمْ لِلْبَقَاءِ وَإِنَّمَا تَنْتَقِلُونَ
مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ وَ إِنَّهَا فِي الْأَرْضِ غَرِيبَةٌ وَ فِي الْأَبْدَانِ مَسْجُونَةٌ .

٢- علل الشرايع ، ط النجف سنة ١٣٨٥ ، ص ١٠٧ ، الباب ٩٦ ، علّة الطبايع
و الشهوات و المحبّات .

٣- الآية ١٩ ، من السورة ٥٠ : ق .

بيان معنى رواية : أكيس المؤمنين أكثرهم ذكراً للموت و أشدهم استعداداً له المجلس الثالث

مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَ جَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَ شَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمْ فَبَصَرُكُمُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ .

و لذلك فإن من الكياسة و الفطنة أن يدرك الانسان معنى الموت و مفهومه الحقيقي و يستعد له .

روى المجلسي رحمة الله عليه في كتاب «العدل و المعاد» عن كتابي الحسين بن سعيد ، و هو من كبار المحدثين ، مسنداً عن الامام الباقر عليه السلام قال :

سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ : أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ ؟
قَالَ : أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ وَ أَشَدَّهُمْ اسْتِعْدَادًا لَهُ .^١

و قد وردت أيضاً رواية في كتاب «روضة الكافي» عن رسول الله صلى الله عليه و آلِهِ ، و في أمالي الشيخ الصدوق عن الامام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آلِهِ و سلم^٢ انه قال :
أَكْيَسُ النَّاسِ مَنْ كَانَ أَشَدَّ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ .

و اذا ما كان الموت بمعنى هذا الأمر المعلوم و المشهود ، من تلف البدن و فساد و انقطاع سلسلة الفعالية و النشاط ، فإنه سيكون أمراً لا ريب و لا شك فيه لأحد من جميع أصناف الناس و طبقاتهم ، و سيكون من أوضح الواضحات و البديهيات .
فأي موت - ترى - يكون ذكره و الاستعداد له مفيداً و مؤثراً ، و يعدّ

١- بحار الانوار ، ج ٦ ، طبعة الآخوندی ، ص ١٢٦ .

٢- المصدر السابق ، ص ١٢٥ .

٣- المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

معرفة المعاد (١)

في علّة الخوف من الموت

الإيقان به من فضائل الإنسان وكمالاته ، و خاصة من قبل المؤمنين بالله و عدله ؟!

من البين أنّ المراد بذلك هو المنازل و المراحل التي يطويها الانسان بعد الموت ، حيث يحصل الانسان على نتيجة عمله ، فهي التي توجب الشكّ والتردد، وهي التي عهد من أجلها للأنبياء و الأولياء بالمهام الشاقة و الابلاغات الصعبة ، و التي يقيم من أجلها الحكماء و الفلاسفة الالهيتون البراهين و الأدلة لإثبات تجرّد النفس و بقائها ، و يوصلون الأمر الى مرحلة الاثبات و القطع و اليقين .

و علّة هذا الشكّ والتردد أنّ الانسان يريد أن يحسّ جميع تلك المنازل و المراحل و عواقب أعماله في هذه الدنيا ، و يلمس حقيقتها بأعضائه وقواه المادّية الحسيّة، ولإستحالة هذا الأمر فإنّ الشكّ والتردد سيطراً على هذا الأمر.

أما استحالة ذلك فسيبها أنّ تلك المنازل و المراحل ينبغي - حسب الفرض - ان تأتي بعد الموت لا قبله ، و الّا لما كانت معاداً ، و لما كانت منازل متحققة بعد الموت ، بل منزلاً من منازل الدنيا كسائر الأمور التي تتكرّر يومياً و تواجه الانسان في تاريخ حياته و الحوادث التي تصادفه في معيشته .

و الآخر أنّه وفقاً للأدلة المتقنة لتجرّد النفس الناطقة و بقائها ، فإنّ ما يدركه الانسان بعد الموت لا يحصل بحواسه الظاهرية و قواه المادّية التي يستعملها في الدنيا و في عالم البدن ، بل أنّه ادراك يحصل بالقوى المجرّدة بعد تلف البدن و بقاء النفس . فكيف يمكن آنذاك تصوّر أنّ ما ينبغي ادراكه بالقوى المجرّدة الفعلية بعد الموت و تلف البدن و خرابه سيمكن ادراكه بالحواس الظاهرية و القوى المادّية ، و أنّه سيمكن وجدانه بشكل

ملموس و مشهود . و لهذا فإنّ البشر يسعى لفهم أسرار ما بعد الموت (اي الأسرار التي ينبغي ان توجد حقيقتها بعد الموت) في زمن حياته (أي قبل الموت) ، بيد أنّه لن يفهمها .

كما أنّ البشر يحصل له شكّ و تردّد في الذات المقدسة للحضرة الأحدثية جلّ و عزّ ، لأنّه يريد أن يدرك بالحنس ذلك الوجود السامي الرفيع ، مع أنّ المفروض في الأمر أنّ ذلك الوجود المقدس ليس موجوداً محسوساً ، فكيف - على هذا - يمكن لمسه و مشاهدته بالحنس ؟!

كما أنّ البشر يريد أن يدركه بالقوى المفكّرة و المختيلة ، والمفروض في الأمر أنّ ذلك الوجود السبحاني خالق أزليّ سرمدى غير متناه ، فكيف يتصوّر أن يسعه الذهن أو تتسلّط عليه أو تقتيده قوى الفكر البشري و هو خلاف الافتراض ؟

و هكذا فكما انه ينبغي الاعتقاد اجمالاً بوجود الله مع عدم حصول حقيقة المعرفة بساحة قدسه الآ بعد مرحلة الفناء و الانعدام في ذاته ، فكذلك ينبغي الاعتقاد - اجمالاً - بوجود عوالم ما بعد الموت ، تلك العوالم التي يشهد على وجودها القلب و الوجدان ، مع ترك حقيقة المعرفة و العلم بخصوصيّاتها و كيفيّاتها الى ما بعد الموت ، و هو أمر لا مناص منه .

و ذلك لأنّ معنى الموت العبور من عالم الطبيعة الى عالم التجرّد الذي هو ما وراء الطبيعة و المادّة ، و هذا المعنى لا يحصل الآ بزوال حركة الحواس الظاهريّة و الباطنيّة و تعطلّها ، و عليه فإنّ هذا الأمر لا يمكن إدراكه بالعين الماديّة و الحركات الماديّة ، بينما نريد نحن ان نرى الموت و نشاهد الورود في عالم آخر بهذه العين ، و ندركه بهذا البدن الماديّ و الفكر الماديّ .

و باعتبار أنّ هذا المعنى معنّى غير مقبول و غير ممكن التحقق ، فإنّ

أفراد البشر يصيبهم الشك والتردد في ما سيحدث بعد الموت ، و فيما اذا كان هناك حساب بعد الموت ، و يتساءلون فيما اذا كان الانسان هو هذه المجموعة المادية ، و أنه سيتلاشى بمجيء الموت فلا روح له و لا نفس ، و الذي سينعدم كأن لم يكن شيئاً مذكوراً .

يروى الشيخ الصدوق في كتاب «الخصال» ، عن أبيه ، عن سعد بن عبدالله ، عن أحمد بن محمد البرقي ، عن ابن أبي عمير ، عن حمزة بن عمران ، عن الامام الصادق عليه السلام انه قال :

لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ يَقِينًا لَأَشْكُ فِيهِ أَشْبَهَ بِشَكِّ لَا يَقِينُ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ .^١ و قد روى المرحوم السيد ابن طاوس نظير هذه الرواية بتفصيل أكثر في كتاب «فلاح السائل» عن كتاب «الأشعثيات» لمحمد بن محمد بن الأشعث ، باسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام .^٢

انّ الموت حق و يقين لا شبهة فيه و لا شك ، بيد انه أشبه بأمر

١- «الخصال» ، المطبعة الحيدرية ، طبع سنة ١٣٩٨ هجرية ، ص ١٤ . و قد أوردها أيضاً في كتاب «من لا يحضره الفقيه» ، باب النوادر ج ٣٨ ، من كتاب الأموات ، المجلد الاول ، ص ١٢٤ ، ط النجف .

٢- و قد أورد اليعقوبي في تاريخه ، طبع دار صادر - بيروت سنة ١٣٧٩ ، ج ٢ ، ص ١٠٠ ، في فصل خطب و كلمات رسول الله صلى الله عليه و آله :
خطب رسول الله على ناقته فقال :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إَكْأَنَّ الْمَوْتَ عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِينَ يُشَيِّعُونَ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، يُبَوِّئُهُمْ أَجْدَانُهُمْ ، وَنَأْكُلُ تُرَائِهِمْ ، كَأَنَّا مُخْلَدُونَ بَعْدَهُمْ . قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ وَ أَمْنَا كُلَّ جَائِحَةٍ ؛ طَوَّيْ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْنُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ وَ اتَّفَقَ مِنْ مَالٍ قَدْ اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَغْصِيَةٍ ، وَ رَجِمَ وَ صَاحَبَ أَهْلَ الدَّلِّ وَ الْمَسْكَنَةِ ، وَ خَالَطَ أَهْلَ الْفَقْرِ وَ الْحِكْمَةِ ، طَوَّيْ لِمَنْ أَدَلَّ نَفْسَهُ وَ حَسَنَتْ خَلِيقَتُهُ وَ صَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَ عَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرُّهُ وَ وَسَعَتِ السَّنَةُ وَ لَمْ يُبْعِدْهَا إِلَى الْبِدْعَةِ .

٣- بحار الانوار ، ج ٦ ، ص ١٣٧ ، طبعة الآخوندي .

لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ يَقِينًا لَأَشْكُ فِيهِ أَثْبَتَ بِشَكِّ لَا يَقِينُ فِيهِ مِنَ الْمَوْتِ

المجلس الثالث

مشكوك بحيث أن الكثير من أفراد البشر يتعاملون معه بموازين الأمور المشكوكة و المشتبهة ، لكأنه لا يمتلك أبداً أساساً من اليقين و جذوراً من الحقيقة و الواقعية .

و ليس هناك من موجود كالموت ، مع أن جميع أفراد البشر يرونه أمام أعينهم رأي العين يختطف اخوتهم و أخواتهم و آباءهم و أمهاتهم و أولادهم و أرحامهم و أصدقاءهم و رفقاءهم و أشباههم ، و يلحظون كيف أن جميع الأتعاب و المساعي و المحن التي تحملها أولئك قد ضاعت من أيديهم فلم يبق منها أثر ، و أن أولئك قد رقدوا لوحدهم في طيات التراب ، الآ أن هؤلاء أيضاً يكررون نفس أعمال و تصرفات أولئك ، ثم يرحلون مثلهم الى تلك الديار ، حتى كأن الله سبحانه قد كتب الموت على أولئك لا على هؤلاء ، و لكأن الموت أمر مختص بأولئك الذين ماتوا و رحلوا ، و كأنه لم يكتب على الأحياء .

و هكذا تخيل أولئك الذين ماتوا و بنوا افتراضاتهم في معيشتهم ، فكانوا يقولون أن الموت مختص بالذين ماتوا و رحلوا ، لكن هذا الحكم لم يكن صائباً لأولئك ، كما أنه لن يكون صائباً للأحياء الحاليين .

هذا هو اليقين الذي هو بالشك أشبه ، فهو في شبهه الى الحد الذي يُخال للمرء أن الموت اليقيني لم يقع أساساً في العالم ، و أن جميع الأفراد الذين ماتوا كان موتهم مشكوكاً لا يقين فيه .

بينما كان الأمر على العكس تماماً ، فقد كانت جميع تلك المرات يقينية ، و ليس هناك من فرد واحد كان موته مشكوكاً فيه ، و يقال في المثل عن الموت : أنه كالجمال الذي سيبرك على عتبة كل بيت .

العلّة الحقيقية لفرار الناس من الموت :

و علينا أن نرى لماذا تظهر مسألة الموت معكوسة في أذهان الناس فيتبادل اليقين و الشك فيها مواقعهما لديهم .
إن الحياة الدنيا لها وجه و ظهر يعبر عنهما بلسان العلم و القرءان بالظاهر و الباطن .

فظاهر الدنيا الطراوة و الجمال مع الركون اليها و تعلق القلب بها والاستغراق في اللذات و الشهوات ، و لو اقترن ذلك بالصحة و السلامة ، أما باطنها فالأخلاق و الوجدان و النية السليمة و النظر النزيه و القول الصالح و الخدمة و ايثار عبودية الله و العلم و التقوى و معرفة الأسرار .

فأولئك الذين يعيشون في هذه الدنيا ، و يركنون الى ظاهرها معرضين عن الباطن تماماً ، لا يستمدون العون و القوة من وجدانهم المرتبط في حقيقة الأمر بالله تعالى ، و لا يهتمون بسلوكهم ، بل يعيشون مرخي العنان بلا مسؤولية و لا التزام و لا محاسبة للنفس ، سيغمر قلوبهم على الدوام حب الدنيا و آثارها ، ذلك الحب المتزايد كل آن ، حتى يصبح محبوبهم و مقصودهم الوحيد الذي لا يتخيلون محبواً سواه .

كما ان الموت سيكون غاية في الصعوبة بالنسبة لهؤلاء الافراد الذين عاشوا عمراً كان كل ثروتهم الوجودية ، و قضوا ساعاته في السعي وراء الأمور الدنيوية من المال و الجاه و الاعتبار ، و لم يذخروا وسعاً من أجل ترسيخ مكانتهم و وجودهم في قلوب الناس ، و تحمّلوا المحن و المشاكل من أجل أولادهم حتى جمعوا ثروة من المال صارت مورد اعتمادهم و محط آمالهم ، أولئك الذين صرفوا ايام البرد و الحرّ و ساعات عمرهم للحصول على هذه الأمور .

و اجمالاً فقد قضى هؤلاء جميع مراحل عمرهم المنطبقة على المقاطع الزمنية من السنين و الشهور و الأيام و الساعات و الدقائق

و اللحظات للحصول على مثل هذه الأمور ، لذا فإنّ المحبّة و التعلّق بكلّ واحد من هذه الأشياء سينشأ لديهم قهراً ، فيصبح كلاً منها قيداً يقيّد قلوبهم و رغباتهم و يشدّها اليه . و هاهو أحدهم يريد الرحيل عن هذه الدنيا ، فيرى قلبه موثقاً بالآلاف السلاسل و القيود تشدّه من كلّ صوب و حذب الى هذه الأمور .

كلّ قسم من أمواله يجزّ بقلبه اليه ، أصدقاؤه و أحبّاءه يجزّونه اليهم ، أولاده و زوجته و عشيرته يجزّونه اليهم ، الآمال الطوال التي تعاهدها في خياله فصار لها - اثر التوقّم و التخيّل - موجوديّة تخطيطيّة و موهومة ، هذه الآمال تجزّه اليها هي الأخرى ، و ها هو هذا الشخص يريد الرحيل و يحاول الحركة . فما الذي يعنيه ذلك ؟ أي أنّه قد حزم أمتعة السفر الى الآخرة ، فهو يريد التوديع الى حيث لا رجعة و لا عودة ، الى حيث لن يرى وجه هذا العالم من جديد و لو للحظة واحدة ، الى حيث تودع كلّ هذه الذخائر و الأحبّة و المقاصد في زاوية النسيان ، حتّى أنّه يلحظ بأنّ عينيه إنّ بدنه - مع العشق الذي كان يمتلكه له ، و يجعله يتوسّل بالطبيب لعلاج خدش في جلد يده - ينبغي أن يُقبر في التراب أمام أنظاره ، فيصبح طعاماً لحيّات الأرض و ديدانها ، و يصبح محلّ دفنه مكاناً لتجوال الزواحف الأرضيّة ، و تستحيل مسارب بدنه محلّ ترّدّد الحيات و العقارب ، و يرى أنّ التراب الثقيل سيُهاك أكداً على جثته فتتبدّل في طياتها الى تراب و رماد . يرى كلّ ذلك مجسّماً أمام ناظره .

و من جهة أخرى فإنّه لم يتحرّك على أساس من منطق الوجدان و العقل ، و لم يسعَ لإزالة طريق آخرته ، و لم يتعرّف على ناموس الله ، بل كان على الدوام في حال نزاع و جدال و خصومة مع العلوم الباطنيّة و عوامل تجرّد النفس ، و كان منحرفاً عن سبيل العدالة ، متعدياً على حقوق نفسه

و حقوق سائر أفراد الناس المحترمة عند الله سبحانه المبدء الأصيل للعالم ،
و خارجاً عن مقام العبوديّة لله ، لم يُحنِ رأسه في سجود التسليم و التذلل أمام
مُظهر هذه المظاهر العجيبة و المناظر المدهشة في العالم ، و لم يؤثر على نفسه
أحداً ، و لم يُعن بائساً أو ضعيفاً ، و لم يُحيي روحه بحياة ذلك العالم بأعماله
الصالحة و لم يشعل قبساً للظلمات و العقبات و طرقات الطبع المتعرجة .

و ها هو يريد الذهاب من الدنيا على هذا الحال و بهذه الكيفيّة ، و مع
هذه المشكلات التي تعترضه من كلّ حدب ، و تحيط به و تكتنفه من كلّ
صوب ، فهو حائر مدهوش ، و مفلس خسران ، يريد الهجرة مع الخسارة ،
و الندم و الحسرة التي تغمر كيانه و تتقاطر من وجوده ، و قد نودي بالرحيل
فلا وقت للتأخير و لا لتدارك الأمر و تلافيه .

و على الأخصّ لو كان هذا الشخص قد نال هذه الأمور الفانية الدنيوية
بتحمّل المحن و بالسعي الدؤوب ، و حصل عليها بمشقة و جهد ، إذ ستكون
علاقته بها إذ ذاك أشدّ ، و قطع تعلق قلبه بها أصعب و أقسى ، لأنّ هناك
نسبة موازية بين ميزان الجهد و السعي و المشقة التي يتحمّلها المرء في
سبيل الحصول على شيء ما مع ميزان شدّة المحبة لذلك الشيء و التعلق به
و صعوبة مفارقتها و قطع الأمل منه .

و لو قال أحد لهذا الشخص مع هذه الخصوصيّات : إنّك ستموت بعد
سنة ، أو بعد عشرة سنين مثلاً ، لأظلمت الدنيا في عينه ، و كأنّ جميع أنواع
العذاب و المحن قد صبّت عليه ، و كأنّ الجبال قد هُدت على أمّ رأسه .

أمّا لو قيل للمؤمن الذي ارتبط بربه و الهه ، و وصل الى المدينة
الفاضلة إثر تهذيب النفس و تزكية الأخلاق ، و هاجر من ظاهر عالم
الغرور الى باطن دار الخلود ، و ارتبط مع موجودات عالم التجرّد و المعنى
في عبوديته لله ، المؤمن الذي لم يقصّر في إطاعة أوامر الله ، فصقل نفسه

الأمانة بصقل العفو والإيثار والإنفاق والإطعام والجهاد والصلاة والصيام
والإنصاف مع الخلق والإحسان إليهم وإعانة الضعفاء والمساكين وأمثال
ذلك ؛ لو قيل له : أنك ستموت بعد يوم أو بعد ساعة مثلاً ، لقال مجيباً :
الحمد لله ، سأحزم أمتعتي من هنا إلى ملك الخلود ، ومن الغرور إلى عالم
الأبدية ، ومن الكوخ المحدود إلى عوالم لا تنتهي ، ومن خارج الحرم
إلى داخله ، وها أنا أرتدي لباس الإحرام وأفدي روحي لتفنى في
قدم المحبوب الأزلي وخلوده .

این جان عاریت که به حافظ سپرده دوست

روزی رخس بیینم و تسلیم وی کنم^۱

* * *

همه روز حرف من اینست و همه شب سخنم
که چرا غافل از احوال دل خویشتم
از کجا آمده‌ام ، آمدنم بهر چه بود
به کجا می‌روم آخر ننمائی وطنم
من به خود نامده‌ام تا که به خود باز روم
آنکه آورد مرا باز برد در وطنم
مرغ باغ ملکوتم نیم از عالم خاک
چند روزی قفسی ساخته اند از بدنم
چه خوش آن روز که پرواز کنم تا بر دوست
به هوای کویش پر و بالی بزنم^۲

۱- يقول : هذه الروح عارية اودعها الحبيب لحافظ و سأرى وجهه يوماً من الايام
فأردّها اليه .

۲- يقول : حديثي طوال نهاري و ليلي : لماذا أنا غافل عن أحوال قلبي .

معرفة المعاد (١)

في علّة الخوف من الموت

هنالك حيث عالم الفضاء الفسيح الواسع ، عالم عظيم لاهتم فيه ولا تعب ولا نصب ، لمرض أعصاب ولا خوف ولا قلق ولا تهديد ، هناك عالم الحياة والهداية المحضة ، ومركز نشر الحياة الى العوالم ، حيث الجمال المطلق وتلاؤل نورانية الموجودات المنزهة المجردة ، و حيث الأرواح المطهرة للملائكة والأنبياء والأئمة وأولياء الله ، و حيث معدن العظمة وعزّ القدس والنور المحض والعرفان الخالص .

لذا فإنّ المؤمن لا يحسّ بالقلق والاضطراب ، بل يتلقّى هذا الموت برحابة صدر ، ويخطو لاستقباله في ابتهاج .

و لو افترضنا أنّ المؤمن كان قد عاش في الدنيا في منتهى الراحة والأبهة والعظمة ، وكان ميسورا له فيها التمتع بجميع أنواع الجمال وأقسام اللذائذ المشروعة ، فإنّه مع ذلك كلّه سيفرح لو قيل له أنك ستموت ، لأنّه يقول : **وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى^١**

منزل الآخرة هو المختار ، وهو منزل الأبدية والبقاء ، وهو عالم اللقاء والعرفان ، حيث هناك محلّ ادراك الحقائق وكشف الدقائق بلا ساتر ولا حجاب ، لذا فإنّ المؤمن سيسرع بالحركة عند اخباره بالموت ، ويسعى اليه خفيفاً نشطاً .

و لو افترضنا في المقابل أنّ الكافر الذي قطع علاقته مع الباطن

من أين جئت ؟ وما علّة مجيئي ؟ وأين سأذهب ؟ فوطني لم يتّضح لي أخيراً .
و لم أت بطوع إرادتي لأذهب بمشيئتي ، بل أنّ من جاء بي سيردني الى وطني .
فأنا طائر روضة الملكوت و لست من عالم التراب ، و لقد صنعوا لي قفصاً من بدني لأتّام معدودات .

فما أسعد ذلك اليوم الذي ساحلّ فيه الى الحبيب ، و أخفق بأجنحتي بهوى دياره .

١- الآية ١٧ ، من السورة ٨٧ : الأعلى

و المعنى كان قد صَبَّت عليه جميع أنواع المحن و المصائب و الأمراض ، و تحمّل صنوف الفقر و الفاقة ، بيد أنه لو قيل له أنك سترحل فإنه لن يرضى بذلك ، فهو يعلم أن المكان الذي سيذهب إليه أكثر ضيقاً و عُسراً ، و أشدّ ظلمةً و إزعاجاً ، لأنه سيكون غريباً في تلك العوالم ، غريباً محضاً لامؤنس له ، باطن المؤمن أفضل من ظاهره ، و باطن الكافر أسوأ من ظاهره و أشدّ تلوثاً .

اشتياق المؤمن للموت :

المؤمن يؤمل لقاء الله تعالى ، و الطريق أمامه سالك معتد ممهد ، لأنه يرى ان نتيجة أتعاب عمره في هذا السبيل لم تضع هدراً في ناموس عالم الوجود ، و ها هو يخطو بقدمه خارج هذه المرحلة فيجد كلّ شيء جاهزاً و معدّاً أمام عينيه ، الأجر و الثواب ، الجنة و الرضوان ، و لقاء المحبوب ، يجدها جميعاً حاضرة أمامه ، و لقد تجلّى هنا أمامه مشهوداً ما كان خافياً عنه في هذه الدنيا .

سيزول عنه ستار البدن و حجاب الذي كان يحجبه الى حِدِّما و يمنعه إجمالاً من الوصول الى منتهى مراتب التجرد و غايتها ، و سيجد بموته أنه صار يرتفع في أحضان السعادة و التنعم بجمال الحضرة الازليّة ، فيبقى في ذلك اللقاء و الوصال الممتد السرمدي ، لذا فإنّ موته أشبه بليلة زفاف و وصل . يقول حافظ :

روز هجران و شب فرقت یار آخر شد

زدم این فال و گذشت اختر و کار آخر شد

آن همه ناز و تنعم که خزان، میفرمود

عاقبت در قدم باد بهار آخر شد

شكر ايزد كه باقبال كُله گوشه گل
نخوت باد دی و شوكت خار آخر شد
صبح اميد كه بُد معتكف پرده غيب
گو برون آي كه كار شب تار آخر شد^١

قصّة الحاج مؤمن الشيرازي و أحد الأولياء في طريق مشهد :

كان لي صديق من أهل شیراز يُدعى الحاج مؤمن التحق بالرحمة
الأبدية قبل حوالي خمس عشرة سنة ، وكان رجلاً مُشرق القلب صافي
الضمير مؤمناً متقياً ، وكان الحقير قد عقد معه عهد الأخوة ، ولي في أدعيته
و الاستشفاع به كبير الأمل .

كان يقول: لقد نلتُ الشرف تكراراً بقاء الحجة بن الحسن العسكري
عجل الله فرجه . وكان ينقل الكثير من المطالب و يأبى الإفصاح
عن بعضها الآخر . وكان يقول في جملتها : قال لي يوماً أحد أئمة الجماعة
في شیراز : تعال نذهب معاً الى زيارة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ؛
وكان قد استأجر سياره خاصه و في معيته عدّة من التجار .

و هكذا فقد تحرّكنا في سفرنا حتّى وصلنا مدينة قم ، فتوقّفنا هناك
ليلةً أو ليلتين لزيارة السيّدة المعصومة عليها السلام ، فحصلت لي حالات
عجيبه و انكشف لي الكثير من الحقائق . هذا و قد التقيت عصر أحد الأيّام

١- يقول : انقضى نهار الهجر و ليل الفراق ، فلقد تفألّت بذلك و صار الأمر وفق
مرادي .

و لقد أنهت قدم نسيم ربيع الوصل بخطوتها الميمونة دلال خريف الهجر و تنعمه .
فشكراً لله ! فقد انكسرت نخوة ريح الشتاء و عنفوان الأشواك ببزوغ طلائع الورد من
أكمامها .

فقل لصباح الأمل المعتكف خلف ستار الغيب : أسفِرْ فقد لفظ الليل البهيم أنفاسه !

قصة المرحوم الحاج مؤمن الشيرازي و ملاقاته لأحد الأولياء في طريق مشهد المجلس الثالث

بشخص جليل في الصحن المطهر للمعصومة سلام الله عليها و وعدني بأمور .

ثم تحرّكنا صوب طهران ، و منها في اتجاه مشهد المقدسة ، و حين اجتزنا مدينة نيشابور شاهدنا رجلاً في هيئة عوام الناس يسير بمحاذاة الطريق متّجهاً الى مشهد و هو يحمل جراباً على ظهره ، فقال ركّاب السيارة : دعونا نحمل معنا هذا الرجل ، ففي ذلك ثواب لنا ، كما أنّ في السيارة مكاناً له .

توقفت السيارة و ترجل منها عدّة أشخاص و كنتُ في جمّلتهم ، فدعونا ذلك الرجل للركوب معنا في السيارة فلم يوافق ، ثم قبل بعد إلحاح شديد و اشترط عليّ أن يركب الى جانبي ، و أن أطيعه فيما يقوله فلا أخالف له أمراً .

ركب الرجل السيارة و جلس الى جانبي ، فكان يتحدثُ معي طيلة الطريق و يُخبر عن كثير من الوقائع و يصف حالاتي واحدةً واحدة الى آخر العمر ، و كنتُ أجد في نصائحه و مواعظه لذة كبيرة و أعدّ لقائي بشخص كهذا من مواهب الخالق السنية و من كرم ضيافة الإمام الرضا عليه السلام .

و هكذا سرنا حتّى وصلنا الى منطقة «قدمگاه» ، ذلك المكان الذي كان معاونو السواق يأخذون نقوداً من المسافرين عند وصوله كبشارة لرؤية القبة المقامة هناك .

فترجلنا جميعاً من السيارة . و كان قد حلّ وقت تناول الطعام ، فأردت الالتحاق برفقائي الذين جثت معهم من شيراز ، و الذين كنت حتى الآن أتناول معهم الطعام على مائدة واحدة .

فقال الرجل : لا تذهب هناك ، و تعال لنأكل معاً !

فاستحييتُ أن أنصرف عن رفقائي الشيرازيين الذين كنت حتّى الآن أشاركهم الطعام بشكل منتظم ، بيد أنّي كنتُ مُلزماً بعدم مخالفة كلامه ، لذا فقد أجبرت على الموافقة ، فذهبتُ معه الى حيث جلسنا في زاوية ما ، وقام الرجل بإخراج منديل من الجراب الذي معه ففتحه ، فكان فيه خبز طازج و قدر من الزبيب الأخضر ، فشرعنا بتناول الطعام حتّى اكتفينا ، وكان طعاماً لذيذاً هائلاً .

ثمّ قال لي ءانذاك : إن أحببت الآن أن تذهب لتري رفقاءك و تتفقدهم فلا ضير في ذلك . فنهضتُ و ذهبتُ اليهم و رأيتُ - و يا للهول - أنّ الإناء المشترك الذي يأكلون منه كان مليئاً بالدم و الأقدار ، و أنّهم كانوا يتناولون منه فيأكلون ، كانت أيديهم و أفواههم ملوثة هي الأخرى ، و لم يكونوا يعلمون أبداً بما كانوا يفعلون ، و بأيّ ذائقة كانوا يأكلون .

لم أنبس ببنت شفة ، لأنّني كنت مأموراً بالسكوت في جميع الأحوال ، ثم عدتُ الى ذلك الرجل فقال : اجلس ! رأيتَ ما كان يأكل رفقاؤك ؟ لقد كان طعامك أنت الآخر من هذه الأشياء ابتداءً من شيراز الى هنا ، لكنك لم تكن تعلم ، فالأكل الحرام و المشتبه حاله هكذا . لا تتناول من أغذية المقاهي فإنّ طعام السوق مكروه !

قلت : سأفعل إن شاء الله تعالى ، أعوذ بالله و أستكفيه .

قال الرجل : ايها الحاج مؤمن ! لقد حان موتي ، و سأذهب الى أعلى هذا التلّ فأموت هناك ، فخذ هذه الصرّة فإنّ فيها نقود عليك أن تنفقها في تغسيلي و تكفيني و دفني ، و عليك ان تدفني حيثما أشار السيد هاشم . (السيد هاشم هو إمام الجماعة الشيرازي الذي قدم الجماعة في معيته الى مشهد) .

قلتُ : يا للويل ! أتريد أن تموت ؟!

قصة المرحوم الحاج مؤمن الشيوازي و ملاقاته لأحد الأولياء في طريق منهج المجلس الثالث

قال : صَـة ! انني سأموت ، فلا تخبر بذلك أحداً .

ثم وقف مستقبلاً المرقد المطهر للإمام عليه السلام فسلم عليه و أكثر من البكاء ، ثم قال : لقد جئت الى هنا للشم أعتابك ، بيد انه لم يكتب لي من السعادة أكثر من ذلك بحيث أحظى بالتشرف بالوصول الى مرقدك .

ثم ارتقى ذلك الرجل التل ، و كنت حائراً مدهوشاً ، لكأن عنان تفكيري و إرادتي قد خرج من يدي .

ثم ارتقيت التل ، فرأيتته مستلقياً على ظهره مستقبلاً القبلة بوجهه و قدميه ، و قد فارق الحياة باسماء ، يُخال للمرء ان ألف سنة قد مرّت على موته .

هبطت الى الأسفل و توجهت نحو السيد هاشم و سائر الرفقاء و أخبرتهم بالأمر ، فتأسفوا لذلك كثيراً و لا موني قائلين : لِمَ لم تخبرنا بذلك و تطلعنا على هذه الوقائع ؟

قلتُ : لقد أمرني نفسه بذلك ، و لو كنت أعلم أنه لا يرضى بذلك بعد موته ، لما أظهرته لكم الآن . فأظهر سائق السيارة و معاونه و السيد و سائر الرفقاء أسفهم ، ثم ارتقينا الى أعلى التل فأنزلنا الجنازة و وضعناها داخل السيارة و اتجهنا نحو مشهد المقدسة .

و كان السيد (هاشم) يقول : لقد كان هذا الرجل حقاً من أولياء الله ، و قد جعل الله شرف صحبته من نصيبك ، و ينبغي أن تُدفن جنازته باحترام . و ردنا مشهد المقدسة فذهب السيد على الفور الى أحد العلماء هناك و أطلعه على هذه الواقعة ، فجاء ذلك العالم مع جماعة كثيرة للتجهيز و التكفين ، فغسله و كفنه و صلى عليه ، ثم دُفن في إحدى زوايا الصحن المطهر ، و كنت أنفق على مصارف ذلك من الصرة ، حتى إذا فرغنا من الدفن نفذت نقود الصرة ، لم تنقص و لم تزد شيئاً ، و كان مجموع نقود

تلك الصّرة اثني عشر تومناً .

قصّة الحكيم الهيدجي و الموت الاختياري :

كان المرحوم الشيخ محمّد الحكيم الهيدجي من علماء طهران ، و قد بقي الى آخر عمره يقطن غرفة في المدرسة المنيرية المتصلة بقبر ذريّة الامام : السيد ناصر الدين (الذي يرجع نسبه الى أحد الأئمة الأطهار) . و قد هُدمت تلك المدرسة فيما بعد بسبب تعريض الشارع و توسعته .

و كان رجلاً حكيماً و عارفاً منزهاً عن طريقة أهل الغرور ، و كان مراقباً ذا ضمير صاف و قلب مشرق مُضاء و فكرٍ سام .

و قد اشتغل الحكيم الهيدجي بالتدريس الى آخر عمره ، فكان يشرح لأيّ طالب من طلبة العلوم الدينيّة ماشاء من الدروس ، ابتداءً من شرح المنظومة السبزواريّة ، و أسفار الملائّ صدرات ، و الشفاء ، و الإشارات ، وصولاً الى دروس العريّة التي تدرس في البدايات ، كجامع المقدمات . كان يشرح ذلك كلّهُ بلا إباء ، و كان يستقبل الجميع في تعليم الدروس الدينيّة لا يستثني منهم أحداً .

و من بين تلامذة المرحوم الهيدجي : الآخوند المولى علي الهمداني ، العالم المتقي الذي يعدّ حالياً من علماء همدان البارزين ، حيث درس لديه الحكمة و تتلمذ فيها عنده .

قليل أنّ المرحوم الهيدجي كان يُنكر حصول الموت الاختياري ، و يعدّ الخلع و اللبس الاختياري أمراً محالاً ، و يتصوّر هذه الدرجة و الكمال أمراً بعيد المنال عن الناس ، و كان يُنكر ذلك و يرفضه بشدّة في بحثه مع تلامذته .

و حصل ليلةً أن كان في غرفته مشغولاً بورده بعد فراغه من فريضة

العشاء ، فدخل عليه فجأة رجل قروي عجوز فسلم و وضع عصاه في زواية الغرفة و قال : ما شأنك يا سماحة الشيخ و هذه الأمور ؟

رد الهيدجي : أي أمور ؟!

قال الرجل العجوز : الموت الاختياري و إنكاره ، فما علاقتك أنت بمثل هذه الكلام ؟

قال الهيدجي : هذا واجبنا . البحث و النقد و التحليل عملنا : فنحن ندرس و لدينا مطالعات حول هذه الأمور بذلنا فيها جهوداً و أتعاباً ، نحن لا نقول شيئاً من عندنا !

قال العجوز : ألا تقبل بالموت الاختياري ؟

قال الهيدجي : كلا !

فمد العجوز رجليه تجاه القبلة أمام أعين الهيدجي ، و استلقى على قفاه و قال : إِنَّا لِلّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، و رحل عن الدنيا لكأنه توفي منذ ألف سنة .

فاضطرب الحكيم الهيدجي أن : يا الهي ، ما هذا البلاء الذي حل بنا الليلة ؟ ماذا ستفعل الحكومة بنا ؟ سيقولون : أخذت رجلاً غريباً الى غرفتك فقتلته سماً أو خنقاً .

يقول الهيدجي : هُرعْتُ بلا شعور فأخبرت الطلاب ، فجاءوا الى الغرفة و تحيروا بأجمعهم و لفهم القلق من هذه الحادثة . ثم صار الاتفاق على ان يقوم خادم المسجد بجلب تابوت لينقلونه ليلاً الى ساحة المدرسة المسيجة ، على ان نقوم غداً بأمور تجهيزه و اعداد الاستشهادات المطلوبة . و فجأة نهض الرجل من مكانه جالساً و قال : بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ثم التفت الى الهيدجي و قال ضاحكاً ، أصدقت الآن ؟

رد الهيدجي : نعم ! صدقتُ ، بالله لقد صدقتُ . لقد زعزعتني الليلة

وأهلكتنني .

فقال : العجوز : أيتها العزيز ، ليس الأمر بقراءة الدروس فقط ، عبادة نصف الليل هي الأخرى واجبة . التعتد أيضاً مطلوب ، الأمر الفلاني مطلوب ومطلوب ومطلوب ... إلخ . أنك تقرأ وتكتب وتحديث فقط ، أفهذا وحده كافٍ للأمر ؟!

و هكذا فقد غيّر الحكيم الهيدجي طريقته منذ تلك الليلة ، فصار يصرف نصف ساعاته للمطالعة و الكتابة و التدريس ، و النصف الآخر للتفكير و الذكر و عبادة الله جلّ و عزّ ، و صار يتجافى عن المضجع اذا جته الليل ، و مجمل الأمر أنّه وصل الى حيث ينبغي له أن يصل ، فصار قلبه منوراً بنور الله ، و تنزّه سرّه عن غير الله سبحانه ، و صار له الأُنس و الألفة برّبّه في كلّ حال . و يمكن فهم حالاته و أطواره من ديوان شعره بالفارسية و التركية ، كما أنّ له حاشية على شرح المنظومة السبزواريّة في غاية الفائدة .

هذا و قد طُبعت وصيّته آخر ديوانه ، و هي وصيّة جميلة تستحق المطالعة ، فقد كتب بعد حمد الله و بيان الشهادتين و تقسيم أثاثه و كتبه يقول : «و أرجو من الرفقاء أن لا يضعوا عمامتي عند موتي على التابوت ، فليس هناك من داع لإثارة الضجّة ، و ان لا يكون مجلس الفاتحة عليّ مدعاةً لإزعاج أحد ، فقد خُتم عمري و خُتم عملي ، فليفرح أصدقائي لأنّي أنجو من سجن الطبيعة و أذهب الى المقصود و أحصل على عمر دائمي . و اذا ما كان الأصدقاء مغتربين للفراق ، فإنهم سيأتون إن شاء الله فنزور بعضنا البعض هناك . و لقد كان بوّدي أن يكون لديّ نقود لأعطيها للرفقاء ليعتدوا مجلس فرح و سرور في ليلة رحيلي لبيع ذلك على السرور ، وذلك لأن تلك الليلة كانت ليلة وصالي . و قد كان المرحوم الرفيق الشفيق السيد مهدي

قصة المرحوم الحاج هادي الأبهري و المرحوم آية الله الشيخ مرتضى الطالقاني المجلس الثالث

رحمة الله عليه و عدني أن يضيفني و سَيفي بوعده إن شاء الله تعالى .
كان جميع طلاب المدرسة المنيرية يقولون أن المرحوم الهيدجي قام
عند حلول الليل بجمع الطلاب جميعاً فنصحبهم و وعظهم و دعاهم
الى التحلي بالأخلاق ، و كان يضحك و يمزح كثيراً ، و كنا نعجب : لماذا
يمزح الليلة كل هذا المزاح هذا الرجل الذي طالما شغل بالعبادة ليلاً ؟!
و لماذا يشغلنا بعبارات النصائح ؟ بيد اننا لم نكن نعلم بحقيقة الأمر .
و لقد صلى الهيدجي صلاة الصبح أول حلول الفجر الصادق ثم دخل
غرفته فأخلد للنوم ، ثم دخلوا عليه الغرفة بعد ساعة فوجدوه نائماً مستقبلاً
القبلة و قد أسلم الروح ، رحمة الله عليه .

قصة الحاج هادي الأبهري و الشيخ مرتضى الطالقاني :

كان لي فيما مضى صديق يمتلك ضميراً حياً و قلباً مضاعاً ، و كان
متقياً مخلصاً و لهاً من العشاق الحسينيين الحقيقيين ذا فهم واسع يدعى الحاج
هادي خان صنمي الأبهري . و قد عاش ٨٢ سنة و رحل عن الدنيا منذ
خمس سنين . و قد دامت رفقتي له ما يقارب الثمان عشرة سنة ، و كنت قد
عقدتُ معه عهد الأخوة و آمل في شفاعته لي .
و قد نقل لي هذا الشخص : حصل في أحد أسفاري التي تشرفت فيها
بزيارة العتبات المقدسة ، أن بقيت للزيارة في النجف الأشرف عدة أيام ،
فلم أجد أحداً أجالسه و أبته همتي عسى أن يجد قلبي الولهان برد الراحة
والاطمئنان .

ثم تشرفت يوماً بالذهاب الى الحرم المطهر ، فأديت الزيارة
و جلستُ مدة في الحرم فلم أعثر على أحد . فالتفتُ الى أمير المؤمنين
عليه السلام و قلتُ : فديتك يا مولاي ! نحن ضيوفك ، و أنا أدور في النجف

منذ عدّة أيام فلا أجد أحداً، حاشى لكرمك !
ثم خرجتُ من الحرم ووردتُ بلا اختيار منّي في سوق الحُوَيْش ، حتى
وصلتُ الى مدرسة المرحوم السيد محمّد كاظم اليزدي ، فجلست في ساحة
المدرسة على منصّة تقابل احدى الغرف .

ثم حلّ الظهر فشاهدت أمامي في الطابق العلويّ شيخاً قد خرج من
غرفته ، وكان مشرق القلب و في غاية الوسامة و النظارة ، فذهب الى سطح
المدرسة فأذن للصلاة و عاد ، و حين أراد الدخول الى غرفته سقط بصري
على وجهه فرأيت عارضيه يتألّآن إثر الأذان كسفطي نور ، ثم دخل الشيخ
الغرفة و ردّ الباب .

شرعتُ بالبكاء و قلتُ : يا أمير المؤمنين ، وجدتُ رجلاً بعد عدّة
أيام ، لكنّه لم يعرني اهتماماً .

و فجأة فتح الشيخ باب الغرفة و التفت اليّ و أشار : تعال الى فوق .
نهضتُ و صعدتُ الى الطابق العلوي و دخلتُ غرفته فاعتنقنا و بكينا مدّة ،
ثم جلسنا صامتين ننظر الى بعضنا ، ثم انفصلنا عن بعضنا . وكان ذلك الشيخ
ذو الضمير المشرق هو المرحوم الشيخ مرتضى الطالقاني أعلى الله مقامه
الشريف ، الذي كان يمتلك ملكات نفسيّة فاضلة ، و الذي عاش
في المدرسة الى آخر عمره ، و كان يشتغل بالتدريس شأنه شأن الحكيم
الهيديجي ، فكان يشرح لكل فرد من الطلاب ما يشاء من الدروس ، من
جامع المقدمات ، و المغني ، و المطول ، و شرح اللمعة ، و مكاسب الشيخ ،
و شرح المنظومة ، الى الأسفار . وكانت طريقته في التدريس انّ الطلاب
يقرأون المتن فيشرح لهم و يفسر المعاني .

و ينقل طلاب مدرسة السيّد «اليزدي» بأجمعهم : جمع المرحوم
الشيخ مرتضى جميع الطلبة ليلة رحلته ، و كان مبتهجاً سعيداً طوال الليل ،

يمزح مع الجميع و يذكر النكات المضحكة ، وكان كلما أراد طلاب المدرسة الذهاب الى غرفهم يقول لهم : ان ليلة واحدة غنيمة . و لم يكن لأحد منهم خبر عن موته .

و عند طلوع الفجر الصادق ذهب الشيخ الى سطح المدرسة فأذن ، ثم نزل و ذهب الى غرفته ، ثم وجدوه و الشمس لم تبتغ بعد نائماً في غرفته مستقبلاً القبلة و قد وضع على بدنه ملاءة و أسلم الروح .

يقول خادم مدرسة السيد «اليزدي» : صادفني الشيخ في ساحة المدرسة عند عبوره عصر اليوم الذي سبق وفاته ، فقال لي :
(أَنْتَ تَنَامُ اللَّيْلَةَ وَ تَقْعُدُ بِالصُّبْحِ وَ تَرْوَحُ إِلَى الْخُلُوةِ وَ تَجِيءُ بِمِ الْخَوْضِ تَتَوَضَّأُ ، يَقُولُونَ شَيْخٌ مُرْتَضَى مَاتَ) .

- و قد تكلم المرحوم بهذه العبارات باعتبار ان خادم المدرسة كان عربياً - يقول الخادم : لم أدرك قصده أبداً ، و تلقيت هذه الجملات باعتبارها كلاماً بسيطاً مقروناً بالمزاح و النكتة ، لكنني نهضت صباح اليوم التالي و كنت مشغولاً بالوضوء جنب حوض الماء حين سمعت طلبة المدرسة يقولون : مات الشيخ مرتضى . رحمة الله عليه رحمة واسعة .

مرگ اگر مرد است گو نزد من آي

تا در آغوشش بگيرم تنگ تنگ

من ز او جانى ستانم پر بها

او ز من دلقي ستاند رنگ رنگ^۱

يروى الشيخ الصدوق في كتاب «معاني الأخبار» ، عن محمد بن ابراهيم ، عن أحمد بن يونس المعاذي ، عن أحمد بن محمد بن سعيد

۱- يقول : لو كان الموت رجلاً فأخبره ليأتيني ، فسأضمه بشدة الى صدري .
فسأستعيد منه روحاً ثمينة غالية ، و سيستعيد مني خرقه ملونة بالية .

معرفة المعاد (١)

في علّة الخوف من الموت

الكوفي ، عن محمد بن محمد بن الأشعث ، عن موسى بن اسماعيل ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الامام جعفر الصادق عليه السلام : قال :

كان للحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما صديق ، وكان مرحاً فتباطى عليه أياماً ، فجاءه يوماً فقال له الحسن عليه السلام :

كيف أصبحت ؟

فقال : يا بن رسول الله أصبحت بخلاف ما أحبّ و يحبّ الله و يحبّ الشيطان .

فضحك الحسن عليه السلام ، ثم قال : وكيف ذاك ؟

قال : لأن الله عزّ وجلّ يحبّ أن أطيعه و لا أعصيه و لستُ كذلك ، و الشيطان يحبّ أن أعصي الله و لا أطيعه و لستُ كذلك ، و أنا أحبّ أن لا أموت و لستُ كذلك .

فقام اليه رجل فقال : يا بن رسول الله ! ما بالنا نكره الموت و لا نحبّه ؟ قال : فقال الحسن عليه السلام : لأنّكم أخربتم أخبرتكم و عمّرتكم دنياكم ، و أنتم تكرهون الثقلّة من العمران إلى الخراب^١ .

و يروي الصدوق في كتاب «معاني الأخبار» أيضاً عن مفسر ، عن أحمد بن الحسن الحسيني ، عن الحسن بن علي الناصري ، عن أبيه ، عن أبي جعفر الجواد ، عن آبائه عليهم السلام ، عن علي ابن الحسين عليهما السلام :

لَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَظَرَ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، فَإِذَا هُوَ بِخِلَافِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ اشْتَدَّ الْأَمْرُ تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهُمْ ،

١- معاني الأخبار ، المطبعة الحيدرية ، سنة ١٣٧٩ ، باب نوادر المعاني ، ص ٣٨٩ ، و ص ٣٩ ، الرواية التاسعة و العشرون .

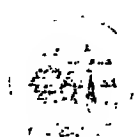
كلام الإمام السجّاد عليه السلام في كيفية إشراف سيماء سيد الشهداء عليه السلام المجلس الثالث

وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ ، وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ ، وَكَانَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَبَعْضُ مَنْ مَعَهُ مِنْ خَصَائِصِهِ تَشْرُقُ أَلْوَانُهُمْ ، وَتَهْدَأُ جَوَارِحُهُمْ ،
وَتَسْكُنُ نَفُوسُهُمْ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :

أَنْظَرُوا لَا يُبَالِي بِالْمَوْتِ !

فَقَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : صَبْرًا بَنِي الْكَرَامِ ! فَمَا الْمَوْتُ إِلَّا
فَنَظْرَةٌ تَعْبُرُ بِكُمْ عَنِ الْبُؤْسِ وَالضَّرَاءِ إِلَى الْجَنَانِ الْوَاسِعَةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمَةِ .
فَأَيُّكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سِجْنٍ إِلَى قَصْرِ ؟

وَمَا هُوَ لِأَعْدَائِكُمْ إِلَّا كَمَنْ يَنْتَقِلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى سِجْنٍ وَعَذَابٍ . إِنَّ
أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ
وَجَنَّةُ الْكَافِرِ وَالْمَوْتُ جِسْرٌ هُوَ لَاءٌ إِلَى جَنَاتِهِمْ ، وَجِسْرٌ هُوَ لَاءٌ إِلَى
جَحِيمِهِمْ ، مَا كَذِبْتُ وَلَا كَذِبْتُ .^١



GOAL

١- معاني الأخبار ، باب معنى الموت ، ص ٢٨٨ و ص ٢٨٩

لِمَجْلِسِ التَّبَرُّجِ

فِي الزَّعْمِ هُوَ الرَّأْسُ الْمَالِ الْأَفْضَلُ

لِتَكْمُلَ الْإِنْسَانُ وَرَقِيهِ

بسم الله الرحمن الرحيم

(أُقيمت هذه المطالب في اليوم الرابع من شهر رمضان المبارك)

والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

و صلى الله على محمد وءاله الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ
الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ^١

يستفاد من هذه الآية المباركة ان الدنيا هي محل الاختيار ، فقد خلق
الله سبحانه الإنسان مختاراً ، و وهبه الغرائز المختلفة من الإحساسات
و العواطف و القوى العقلية و الرغبات الطبيعية و المادية و المعنوية ، ليقوم
الإنسان بطي هذا الطريق باختياره وإرادته .

فإن كان هدفه من الحياة على ظهر الأرض ركوب الشهوات و غلبة
الإحساسات على القوى العقلية ، و في النتيجة التجاسر على حقوق الآخرين
و التعدي عليها ، فان النتيجة ستكون هذه المتع و اللذائذ الفانية و غلبة
العواطف الزائلة المؤقتة فقط ، اما اذا عتّن اسلوبه على أساس من منطق
العقل ، و عدّل مسار أحاسيسه على الدوام بتلك الطاقة العظيمة المقادرة ،

١- الآية ١٤٥ ، من السورة ٣ : آل عمران .

فأفاد من كل منها بالقدر اللازم ، و في موقع الحاجة ، فإن العاقبة ستكون أيضاً محفوظة عند الله الذي سيجزيه ثوابه وفق ذلك القانون الأصيل .

روي في كتاب «جامع الأخبار» أن رجلاً سأل أباذر الغفاري :
مَا لَنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ ؟ قَالَ : لِأَنَّكُمْ عَمَرْتُمُ الدُّنْيَا وَ خَرَبْتُمُ الْآخِرَةَ ،
فَتَكْرَهُونَ أَنْ تَتَّقِلُوا مِنْ عُمْرَانٍ إِلَى خَرَابٍ .
قِيلَ لَهُ : فَكَيْفَ تَرَى قُدُومَنَا عَلَى اللَّهِ ؟
قَالَ : أَمَّا الْمُحْسِنُ فَكَالْغَائِبِ يَقْدِمُ عَلَى أَهْلِهِ ، وَ أَمَّا الْمُسِيءُ
فَكَالْآبِقِ يَقْدِمُ عَلَى مُوَلَّاهٍ .

أي سرور و نشاط و لذة لا توصف يحس بها ذلك الغائب الذي يعود إلى بيته فيلتقي بأهله و أقاربه ؟ ذلك السرور و النشاط الذي لا حد له سيحس الغائب به حين يرد على ربه المحسن فيصبح مورداً لإنعامه و إكرامه و إحسانه الذي لا يتناهى ، و سينعم هذا الشخص بالجمال الظاهر للشاهد الأزلّي .

أما قدوم المذنب المسيء على ربه فأشبه بورود الغلام الأبى الفار على مولاه حين يُعتقل و يؤتى به ، فأَيّ حال سيتملك ذلك الغلام المتمرد المتجرب الذي يرى نفسه تحت حلول أو سلطان غضب المولي و سخطه الذي لا حدود له ؟ تلك الحالة شبيهة بحال المسيء الذي تخطى ساحة العبوديّة للخالق العزيز ، و تجاسر و تعدّى على حقوقه و مخلوقاته ، و تمرد و تهوّر و تظاهر بأكثر ممّا هو فيه من مقام ، حين يحضر عند ربه الرؤوف اللطيف المنتقم ، و تستغمره حالة من الخجل و الخزي لا نهاية لها ، و سيرى نفسه جديراً و معرضاً لأيّ نوع من العذاب و العقاب .

قِيلَ : فَكَيْفَ تَرَى حَالَنَا عِنْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِعْرَضُوا أَعْمَالَكُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى : إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَ إِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ .

قَالَ الرَّجُلُ : فَأَيْنَ رَحْمَةُ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .^١

لا أن يتصور الإنسان أنه بالرغم من اقترافه كل أنواع التعديات وكل جرم و جناية فهو في نفس الوقت موضع رحمة الله فهذا الرجاء رجاء كاذب .

و قد روى العامة و الخاصة عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال :

الْجَنَّةُ مَخْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ وَالصَّبْرِ ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى الْمَكَارِهِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ . وَ جَهَنَّمَ مَخْفُوفَةٌ بِاللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ ، فَمَنْ أُعْطِيَ نَفْسَهُ لَذَّتْهَا وَ شَهَوَاتَهَا دَخَلَ النَّارَ .^٢

و يمكن الاستفادة من هذا الحديث الشريف أن جميع الأعمال التي يقوم بها الإنسان ينبغي أن تكون على أساس الحق ، و أن العمل وفقاً للحق أمر لا يخلو من الصعوبة ، فحين يرغب الإنسان مثلاً في إطعام الفقراء و في تقديم معونة الى يتيم ما ، فإن هذا الأمر يستلزم فعالية و جهداً ، و يتطلب صرف المال ، و يستدعي فقدان الراحة و الهدوء .

و اذا ما أراد عيادة مريض ، فإنّ عليه ان يقطع الطريق اليه ، يصطحب معه هديّة له ، و أن يجلس مقابله لحظات ، فيرى المريض في حال مرضه و سقمه ، و يسمع تأوّهاته ، و يُصغي الى شكواه ، ثم يسعى الى تهدئته و مشاركته ألمه و حزنه ببيانٍ لطيف مناسب ، و الى دعوته الى الصبر و التحمل . و على هذا العائد ان يتغاضى بأنّة وكرامة إن بدرت من المريض

١- بحار الأنوار ، ج ٦ ، ص ١٣٧ ، عن كتاب جامع الأخبار .

٢- مصباح الفلاح ، تأليف الآخوند الملام محمد جواد الصافي الغلباينگاني ، ص ٣٠

معرفة المعاد (١)

العمر هو الرأسمال الأفضل لتكامل الإنسان و تساميه

عبارة خشنة لنفاد صبره اثر شدة المرض أو طوله ، و أصولاً فإن على الانسان عيادة المريض و لو باعدت بينهما سنوات طويلة من التنافر و الخصام . و هي أمور يشقّ على الانسان القيام بها ، و ينبغي عليه ان يتسلّط على رغباته و ميوله بقوى العقل و التقوى ليتمكنه فعل شيء منها .

كما انّ الانسان يرغب في أداء صلاة الليل ، فيرقد في الليل في نوم مريح هانئ ، و يضافحه النسيم العليل في رقوده ، فيصعب عليه النهوض و التجافي عن فراش الدعة و الراحة .

و كذلك يعسر الصيام في شهر رمضان في إتمام الصيف الحارة الطويلة ، و يعسر الجهاد في سبيل الله و البُعد عن الوطن و تعريض النفس للسهام و السيوف ، و يعسر القيام بالحجّ و ترك الأهل و البيت ، و الحركة حاسراً حافياً الى الكعبة الحقيقية في أرض مكة ، كما انّ الطواف و السعي و الذهاب الى عرفات و المعجىء ليلاً الى المشعر و القيام بمناسك منى هي كلّها أمور يصعب القيام بها.

كذلك فإنّ التحلي بالأخلاق الحسنة في معاشرة الناس ، و العفو و التغاضي ، و مسامحة الجاهل على جهله و تعذّيه هي الأخرى أمور يشقّ تحمّلها على النفس .

و كذلك فإنّ الرحمة بالأتباع ، و العطف على الفقراء و الضعفاء ، و معاشرتهم و مخالطتهم و مجالستهم و الأكل معهم على مائدة واحدة أمر صعب .

كما انّ التحلي بالحلم و سعة الصدر مقابل شتم الناس و سبّهم و لعنهم ، و مسالمة الجاهلين أمر شاق و صعب أيضاً .

و خلاصة الأمر انّ الإنسان اذا شاء أن يعيش في الدنيا عيشة شريفة حميدة ، و أن يجعل سلوكه على أساس من الفضيلة و النزاهة ، و أن لا يفتر

أو يتراخى في مقام عبوديته و تسليمه لأمر الحق المتعال ، و ان يشارك الرجال الالهيين في السراء و الضراء ، و أن يؤدب نفسه بالرياضات الشرعية ، فإن أرجاء حياته ستواجه العراقيل و المشاكل ، و على الرجل الالهي ان يخطو بقدم راسخة ثابتة في ميدان الجهاد هذا ، لأن هذه الأمور هي سبيل الجنة و الرضوان ، و مقدمة طهارة النفس و تهذيبها ، و ما لم تنزه النفس و تهذب ، فإن الوصول للجنة سيكون أمراً بعيداً غير ممكن .

أما جهنم فهي طافحة بالشهوات و اللذات بغير قيد و لا حساب . مشحونة بالكذب و الغيبة و الخيانة و الفسق و الفجور و القمار و شرب الخمر و التعدي على أموال الناس و نواemisهم ، و الاعتداء على حقوق الزوجة و الولد و الجار و الشريك و الرفيق و العالم و الإمام و النبي . ان العين التي لا يقيدتها شيء طامحة مفتوحة ترى ما شاءت ، كما ان القلب يتمنى من هذه النافذة ما شاء ان يتمنى ، ثم تعتمد النفس الأمانة موافقة لرغبة القلب الى أمر الإنسان بكل قبيح شاهدته العين و تمناه القلب ، وصولاً الى اشباع النفس من القبائح . و هي جميعاً من نتائج جهنم ، لأن سبيل جهنم ليس الآ سبيل إرخاء العنان و رفض القيود و الحدود ، و طريق عدم الالتزام و فقدان المسؤولية .

بلى ، ان من لم يتبع في مسيره الديني الميزان الصحيح و المقياس الصائب و لم يعمل وفق واجباته الانسانية ، و عد نفسه مهماً ، و افترض أن لا حساب عليه و لا جزاء ، و من رأى نفسه منعزلاً عن هذا العالم المدهش و الدنيا العجيبة القائمة على هذا النظام البديع ، لا تربطه به رابطة ، فتصرف كما يحلوه ، فانه سيكون مسؤولاً و محاسباً أمام الجهاز المنظم لهذا العالم ، و سيؤخذ على عمله و يلقي جزاءه و عقابه . و هذا هو معنى جهنم .

معنى الدنيا المذمومة : ورد في الأخبار أنّ الدنيا ملعونة عند الله ؛ فقد ورد أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال في جملة وصاياه لأبي ذر الغفاري :
يَا أَبَا ذَرٍّ ! إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ^١.

كما ورد ذم الدنيا في الكثير من الروايات ، و عُدّ الابتعاد عن الدنيا والإعراض عنها سبباً للسعادة ، كما عُدّ الإقبال عليها سبباً للشقاء .
و معنى الدنيا العيش على أساس التخييلات و الشهوات و اللذائذ الفانية ، و الغفلة عن البرنامج الحقيقي للإنسان ، و الجهل بالله و الغفلة عنه .
معنى الدنيا اتباع منطق الإحساس و العواطف الحيوانية و الغرائز البهيمية ، و الإعراض و الابتعاد عن منطق العقل . هذا هو معنى الدنيا ، أي الحياة المتدنية مقابل الحياة العليا ، أي المتعالية في مستوى الفضائل الانسانية .

و لذلك فقد عُدّت الحياة الدنيا في القرآن الكريم مقابل الآخرة :
يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ^٢.
الحياة الآخرة - أي باطن الدنيا - هي الحياة العليا ، حياة الإنسان العقلاني ، أما حياة الدنيا فهي حياة منطق الإحساسات و الحياة النفسانية .
و ليس المقصود بالدنيا المذمومة العيش على الأرض و التمتع بنعم الخالق الممتان ، فليس ذنباً للإنسان أن يعيش على الأرض و ينعم بالعمر الطويل و الصحة و السلامة و الأمان و راحة البال و اطمئنان القلب و سكينه خاطر ، ذلك لأننا لم نأت الى هذه الدنيا و نعيش عليها باختيارنا ، كما اننا

١- كتاب مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي ، الطبعة الحجرية ، ص ٢٥٨ ، ضمن وصية مفضلة لرسول الله صلى الله عليه وآله و سلم يوصيها لأبي ذر الغفاري ، يقول : يا أبا ذر ! إنّ الدنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ما ابتغى به وجه الله .
٢- الآية ٧ ، من السورة ٣٠ : الروم .

لا نرحل عنها باختيارنا، وهذا المجيء و الذهاب ليس هو الدنيا المذمومة .
كما ان الأرض لم تقترف ذنباً، و الجبال و المياه و الشلالات
و المراتع و المناظر العجيبة الغريبة على الأرض، و الريح و المطر و تعاقب
الفصول الأربعة و المناظر المذهلة لطلوع الشمس و غروبها، و مناظر القمر
و النجوم و المجزات لم تجترح سيئة .

لقد عاش على الأرض الأنبياء و الأئمة و أولياء الله و لا يزالوا
يعيشون و هم ليسو بملعونين ... و حياتهم على الأرض لن تكون منقصة
وذلة لهم . فهم لم يبتعدوا عن رحمة الله و لن يبتعدون ...

المقصود بالدنيا المعيشة الحيوانية، أي حين يقوم الانسان الذي
ينبغي له - بامتلاكه القوى العقلية - أن يصل الى ذروة قوس الصعود
والارتقاء الى أعلى قمم مدارج الانسانية و معارجها، بالحط من حياته الى
أسفل السافلين حيث يعيش على أساس منطق الحيوان، و يغفل
عن التفكير في عالم الخلقة العجيب هذا، و عن التأمل في برنامج الانسانية
و هدفها، فيجعل همّه منحصراً في المأكل و المشرب و موثبة الآخرين،
و هدفه و مرامه في القتل و الغارة و الاعتداء على الضعفاء، و تنظيم حياته
على أساس الخيالات الواهية و الآمال الجوفاء التي يستحيل لها اكتساب
التحقق و الواقعية .

و قد التبس هذا المعنى على الكثير من الناس الذين فهموا من معنى
الحياة الدنيا الحياة على الأرض و الحياة المادية، و لذلك فقد عدّوا المقصود
بذم الدنيا ذم الحياة المادية و ذم التمتع بالمواهب الالهية المشروعة
على الأرض، و هو توهم كبير و خاطيء جداً. لأن الحياة على الأرض و التمتع
بما انعمه الباري اذا اقترن بالتقوى و الورع و العدل و الملكات الحسنة،
و تواءم مع العبودية في محضر ذات الله المقدسة، فانه سيكون أفضل وسيلة

لنيل الجنة و الرضوان ، و حقيقته هي الحياة العليا مقابل الحياة الدنيا .
لقد كانت هذه الأرض بآثارها و خصائصها مهداً ترتبى فيه النزهاء
المخلّصون المطهرون ، أولئك الذين التحقوا بالعالم العلوي مباشرة
و لم يردوا في الحياة الدنيا طرفة عين ، بل جعل أولئك على الدوام مأواهم
و مستقرّهم في الحياة العليا بالرغم من تمتّعهم بالمواهب الالهية
على الأرض .

و ذلك لأن العيش على الأرض ، و الحياة المادية ، و سلامة البدن ،
و طول العمر و هدوء البال هي أفضل أسس الآخرة و سبل السعادة و طرق
تكامل الإنسان ، بل هي الوسيلة الوحيدة للكمال و السعادة .

و قد ورد في روايات كثيرة أنّ الأنبياء و الأئمة عليهم السلام كانوا
يعملون و يشتغلون بالتجارة و الزراعة ، و يرعون الأغنام ، و ينظّمون
الحدائق و بساتين النخيل و يعملون على سقيها بإجراء قنوات الماء .
فإن كانت هذه الأمور من الحياة الدنيا ، و إن كانت مذمومة مُستقبحة ،
فلِمَ أقدم هؤلاء على أعمال كهذه ؟!

ما أكثر قنوات الماء التي أجراها أمير المؤمنين عليه السلام ،
و ما أكثر أشجار النخيل التي غرسها ، لكنّها كانت في الحياة العليا
لا الحياة الدنيا ، فقد كان عليه السلام يوقفها على الفقراء و المساكين
و الضعفاء و ذوي القربى .

كان أمير المؤمنين عليه السلام يحمل على ظهره يوماً جراباً فيه و سق
نوى ، فسأله أحد أصحابه : ما هذا يا أبا الحسن ؟ قال : مائة ألف نخل
إن شاء الله تعالى . فغرسه فلم يغادر منه نواة واحدة^١ .

١- بحار الأنوار ، ج ٤١ ، ص ٣٢ ، ط الآخوندي .

لقاء محمد بن المنكدر مع الإمام الباقر عليه السلام :

التقى يوماً أحد الصوفيين الساكنين في المدينة ، واسمه محمد بن المنكدر بالإمام الباقر عليه السلام و هو متكٍ على غلامين له أسودين في طريقه الى بساتين النخل ، وكان بديناً .

فقال ابن المنكدر في نفسه : شيخٌ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا ، أشهدُ لأعظته .

فدنى منه فقال : أصلحك الله ، شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا ، لو جاءك الموت وأنت على هذه الحال ؟! فوقف الإمام و التفت الى ذلك الرجل و قال له :

لو جاءني - والله - الموتُ و أنا على هذه الحال جاءني و أنا في طاعة من طاعات الله تعالى أكف بها نفسي عنك و عن الناس . و اتمكنت أخاف الموت لو جاءني و أنا على معصية من معاصي الله .

فقال : يرحمك الله ، أردتُ أن أعظك فوعظتني .^١

و قد عقد في كتب الروايات بابٌ في صدقات أمير المؤمنين عليه السلام و أوقافه ، ذكر فيه جميع المزارع و الآبار التي جعلها الإمام عليه السلام في وجوه البتر المختلفة .

و قد ورد في تفسير الآية الشريفة : رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً

١- أورد المفيد هذه الرواية في كتاب الارشاد في باب محمد بن علي الباقر عليه السلام ، عن أبي محمد الحسن بن محمد ، عن جدّه ، عن يعقوب بن يزيد ، عن محمد بن أبي عمير ، عن عبد الرحمن بن الحجاج ، عن الصادق عليه السلام . و رواها كذلك الشيخ الطبرسي (ره) في كتاب «إعلام الوري بأعلام الهدى» ، ص ٢٦٣ ، في فصل مناقب الإمام و خصائصه عن محمد بن أبي عمير ، بنفس السند .

وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ ١. أَنَّ المراد بالحسنة في الدنيا المال الحلال الذي يحصل عليه الانسان ٢.

و ورد في رواية : الْكَادُّ عَلَى عِيَالِهِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٣. و مال كهذا ليس من الحياة الدنيا ، بل محسوب من الآخرة .

و ينبغي لذلك الالتفات الى هذه النكتة ، فاذا طرق سمع الانسان انّ الدنيا لا تنفع شيئاً لأنّ الإنسان سيموت في عاقبة الأمر ، فإن المعنى بذلك دنيا الشهوة و الغفلة ، فتلك هي الدنيا التي لا تنفع ، لا الدنيا الصحيحة ، فهذه الأخيرة ليست دنيا .

و إن لم يكن للإنسان دنيا صحيحة فأنه لن يكون له آخرة أيضاً ، لأنّ الآخرة قائمة على أساس الدنيا الصحيحة . كما انّ جميع الكمالات التي نحوزها نكتسبها في الدنيا ، لذا فإنّ الآخرة متوقفة على الدنيا مرهونة عليها ، يضاف الى ذلك انّ تلك الكمالات يُصار الى اكتسابها خلال مدّة العمر ، لذا فإنّ العمر من أعلى و أثمن المواهب و الثروات الالهية .

يروى المرحوم الشيخ الصدوق في كتاب «معاني الأخبار» عن أبيه ، عن سعيد بن عبدالله ، عن ابن فضال ، عن يونس بن يعقوب ، عن شعيب العقرقوفي ، قال : قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام : شيءٌ يروى عن أبي ذر -رحمة الله عليه - أنه كان يقول : ثلاثة يبغضها الناس و أنا أحبّها : أحبُّ الموت ، و أحبُّ الفقر ، و أحبُّ البلاء . فقال إنّ هذا ليس على ما يرون ، إنّما عنى : الموت في طاعة الله أحبُّ اليّ من الحياة في معصية الله و الفقر في

١- الآية ٢٠١ ، من السورة ٢ : البقرة .

٢- مجمع البيان ، مطبعة العرفان ، صيدا ، ج ١ ، ص ٢٩٧ . و يقول في ص ٢٩٨ : قيل هي المال في الدنيا ، و في الآخرة الجنة ، عن أبي زيد و السدي .

٣- وسائل الشيعة ، ج ١٢ ، ص ٤٣ ، طبع المكتبة الاسلامية - طهران .

طاعة الله أحبُّ إليَّ من الغنى في معصية الله ، و البلاء في طاعة الله أحبُّ إليَّ من الصحة في معصية الله .^١

و أورد المفيد في مجالسه باسناده عن ابن فضال رواية مثلها .^٢
و ينقل الصدوق في كتاب (عيون أخبار الرضا) عن مفسر ،
عن أحمد بن الحسن الحسيني ، عن أبي محمد العسكري ، عن آبائه
عليهم السلام قال :

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُ الدُّنْيَا ، فَأَتَمَّنْتُ
عَلَى اللَّهِ الْمَوْتَ . فَقَالَ تَمَنَّ الْحَيَاةَ لِتُطِيعَ لَا تَتَعَصَى ؛ فَلَمَّا تَعَيَّشَ فَتَطِيعَ
خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَمُوتَ فَلَا تَعَصِيَ وَلَا تُطِيعَ .^٣

و يروي المرحوم الشيخ الصدوق في كتاب (معاني الأخبار) عن أبيه
، عن سعد بن عبدالله ، عن البرقي ، عن محمد بن علي ، عن حارث بن
الحسن الطحان ، عن ابراهيم بن عبدالله ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي
جعفر الباقر عليه السلام قال :

لَا يَبْلُغُ أَحَدُكُمْ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ ، حَتَّى
يَكُونَ الْمَوْتُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْحَيَاةِ ، وَ الْفَقْرُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى ،
وَ الْمَرَضُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الصُّحَّةِ . قُلْنَا : وَ مَنْ يَكُونُ كَذَلِكَ ؟ قَالَ : كُلُّكُمْ ؛
ثُمَّ قَالَ : أَيَّمَا أَحَبِّ إِلَى أَحَدِكُمْ يَمُوتُ فِي حُبًّا أَوْ يَعِيشُ فِي بُغْضًا ؟

١- معاني الأخبار ، ص ١٦٥ .

٢- أمالي المفيد ، المجلس الثالث والعشرون ، ص ١١٢ ، عن أحمد بن محمد ،
عن أبيه محمد بن الحسن بن الوليد القمي ، عن محمد بن الصفار ، عن عباس بن معروف ،
عن علي بن مهزيار ، عن الحسن بن علي الفضال ، عن يونس بن يعقوب ، عن شعيب
العقروفي ، عن الإمام الصادق عليه السلام .

٣- بحار الأنوار ، ج ٦ ، ص ١٢٨ .

فقلتُ : نَمُوتُ و اللّهِ فِي حُبِّكُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا .

قال : و كذلك الفقرُ و الغنى و المرضُ و الصّحةُ . قلتُ : إِي واللّهِ^١ بلى ، حين يقول أبوذر أنّ الموت خيرٌ لي من الحياة ، فان مقصوده كان صحيحاً ايضاً نظير هذا المعنى ، و لم يكن ليريد القول (انني لا أريد الحياة على الأرض أصلاً) .

لقد منّ الله علينا بالعقل و العلم و القدرة ، و وهبنا الأعضاء و الجوارح من العين و الاذن و الأيدي و الأرجل ، ليتمكننا بواسطتها ان نعمل شيئاً في كلّ لحظة فنطوي درجةً نحو الكمال ، و نحوز في النتيجة مرتبة يوم القيامة . و لو مات الانسان و خسر قواه هذه ، فإنّ نفسه لن تترقى و لن تتعالى أبداً . يقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة :

وَلَوْ لَا الْأَجَالُ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ ، وَ خَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ^٢ .

و مفاد هذا الكلام يرجع الى أنّ علّة عدم التحليق الى العالم الأعلى ، عدم حلول الحين و الأجل المعهود الذي عيّنه الله لكمال الأفراد و صلاحهم ، و في هذه الحال فإنّ الحياة أفضل من الموت .

و على كلّ حال فإنّ الدنيا محلّ اكتساب مكارم الاخلاق ، و نبيل الفضيلة و الكمال ، و مادام الانسان حيّاً فان عليه ان يعرف قدر نفسه ، و مادامت أنفاسه تتردّد فان عليه ان يقول «لا اله الاّ الله» ، فاذا انقطع النّفس انقطعت معه القدرة على تلقظ حرف واحد .

١- معاني الأخبار ، ص ١٨٩ .

٢- من جملة فقرات الخطبة ١٩١ في نهج البلاغة ، و هي الخطبة المعروفة بخطبة همام .

كنونت كه چشم است اشكى ببار
 زبان در دهانت عذرى ببار
 كنون بايدت عذر تقصير گفتم
 نه چون نفس ناطق ز گفتن بخفت
 غنيمت شمار اين گرامى نفس
 كه بى مرغ قيمت ندارد قفس^١
 كان أخونا المتوفى المرحوم الحاج هادي الأبهري مريضاً ، و كنتا
 نسعى كثيراً لمعالجته و مداواته ، فقال لأحد رفقاءنا يوماً : انني سأرحل ،
 و هذا السيد محمد حسين يعلم أيضاً انني سأرحل ، لكنه يسعى بهذه الجهود
 كي يمكنني قول كلمة «لا اله الا الله» واحدة أكثر .
 و هو كلام صحيح جداً ، فتلفظ كلمة «لا اله الا الله» واحدة أكثر هو
 أيضاً في يد الله ، و سيتضح بعد قولها ان الاجل لم يكن قدحان قبلها ،
 و ان الارادة الأزلية للحضرة الربوبية لم تكن قد تعلقت بالموت بعد ، بيد ان
 هذا لا يسلب الاختيار ، و على الانسان - مادام مختاراً - أن يسعى لقول
 «لا اله الا الله» .
 إن الانسان يرتحل و ينتقل من هذا العالم الى ذلك العالم ، فيجد نتيجة
 كل عمل قام به في هذه الدنيا مُحضراً ثابتاً ، فالذين يقولون : مَنْ - ترى -

١- تفسير روح البيان ، طبع دار السعادة ، ١٣٣٠ ، في عشر مجلدات ، المجلد الثاني ،
 ص ٢١٩ . يقول الشاعر :

فلتذرف الدمع سخياً مادمت تمتلك أعيناً ، و لتعتذر مادام لسانك يدور في فمك .
 الآن عليك أن تعتذر عن تقصيرك ، لا أن تدخر ذلك ليوم تخمد فيه نفسك الناطقة
 و يُلجمها الخرس .
 فاعتنم هذه الأنفاس الثمينة الغالية ، لأن القفص الفارغ بلا طائر لا قيمة له .

ذهب الى الآخرة ليأتي بالخبر أن هناك جنة و ناراً ، و أن هناك حورالعين ، و مالك جهنم و خازن الجنة ؟! فاسعد ايها السيد بهذه الدنيا فهذه الامور بأجمعها خرافات لفقها الأنبياء ليتمكنهم السيطرة على البشر المتمرد المتعدي ، و ليقروا العدالة الإجتماعية في المجتمعات !

هذا المنطق هو منطق الأفراد السطحيين قصيري النظر ، و ذلك أولاً : إن حـس المسؤولية في الانسان العاقل المختار يعد جزء من فطرته و طبيئته ، و لا علاقة له بالأنبياء ، و هذا العالم لم يُخلق عبثاً أو باطلاً ، و هذا النظام العجيب منطبق على الحق ، كما أن الانسان جزء من هذا العالم الواسع العجيب ، فاختياره يحدده و يضعه في عالم التكوين على مفترق طريقي الخير و الشر ، و هذا هو معنى إلتزام الانسان و مسؤوليته ، شأنه في ذلك شأن كل موجود من موجودات نظام الخلقة ، بل وكل ذرة من ذراته .

أما إخراج الانسان من هذا الأمر العام و عده مهملاً و مخلوقاً عبثاً ، و تقديمه على أنه خلـق بلا هدف و غاية ، فلا يعني إلا توجيه ضربة و تفتيت و سحق أساس هذا العالم مرجعها إنكار أساس المبدأ و أصالة عالم الوجود .

و ثانياً : إن إنكار الوحي و عدم إمكان الارتباط بعالم الغيب ، و إنكار عالم ماوراء الطبيعة (الميتافيزيقيا) أمر فقد اليوم رونقه بين المفكرين ، و صار لجامعات العالم السبل الكفيلة بالوصول الى هذه الحقائق هم في صدد طيها و انتهاجها ، كما أن الاقتراب من الحكمة الالهية و العرفان الربوبي يفتح نافذة أمل لإشعاع نور الحقيقة على قلوبهم .

و لقد بُرهن في الحكمة المتعالية بالبراهين القاطعة على وجود عوالم الغيب و الملكوت ، بحيث لم تبق مجالاً للشك و الاعتراض في مدرسة الفكر و التعقل .

و لقد ذهب نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله الى المعراج وأخبر عن جميع مشاهداته العجيبة في أحوال الجنة والنار والأفراد المعذبين والمنعمين ، ولا نعرف أحداً أصدق لهجة من النبي ، فليس ما قاله إلا الحق الصريح الذي أخبرنا به ونبأنا عنه .

و بغض النظر عن ذلك ، فإن النبي حين ذهب ورأى وأخبر بالخبر اليقين ، فإنه لم ير ذلك بالعين المادية ، لأن العين الحسية المادية يمكنها فقط أن تلاحظ الأجسام وآثارها ، لا أن ترى عالم المعنى والصور المعنوية ، كما أن ادراك الجنة جهنم وأحوالها وخصائصها في المراحل والمنازل المختلفة ، و ادراك عالم القدس يحتاج الى عين القلب والبصيرة . و عليه فإن أولئك القائلين بأن أحداً لم يذهب فيخبر عما هناك ، يقصدون أن أحداً من الموتى لم يعد ليصف لنا لسانه ما شاهده بأمر عينيه ، وهو منطق خاطيء . و لو افترضنا أن ميتاً قد عاد ، فإنه سيصف ما شاهده بعين قلبه وبصيرته ، كما أن لسانه حين يتكلم فانما يحكي عن لسان قلبه . فمن المحال للميت أن ترى عينه الحسية الواقعة في رأسه ليحيى بالخبر ، و لذلك فإن الميت لو جاء فتكلم وأخبر ، فإن من المسلم أنه قد شاهد ما شاهد بعين قلبه وبصيرته ، فهو يتكلم عن لسان القلب بلسان الحس ، وهذا المعنى صادق على الأنبياء العظام ونبينا الأكرم صلى الله عليه وآله ، لأنهم ذهبوا وأخبروا بما عاينوا . كما أن المعراج يعني الحركة والسفر من عالم البرزخ هذا وعالم القيامة والأسماء والصفات الالهية والورود في حرم الحضرة الكبريائية وحريم مقام العز والعظمة . و ليس معراج رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه أمراً يعتريه الشك والتردد .

و ثالثاً : قولهم أن أحداً لم يذهب ليأتي بالخبر ؛ وهذه الجملة ليست كافية في مقام الاستدلال لرفع المسؤولية عن الإنسان ، كما أنها لا تدع

الانسان حرّاً طليقاً ليفعل ما يحلوه .

و ذلك لأنّ أحداً لم يذهب ليأتي بالخبر ، لا أنّ أحداً قد ذهب ليأتي بالخبر أنه ليس هناك من شيء ، و بين هذين المعنيين فارق كبير .
فلو كان أحداً ما قد ذهب و جاء بالخبر أن ليس هناك من جنة و لا نار لكان ذلك كافياً ، لكنّ عدم ذهاب أحد و عدم جلب الخبر لا يدلّ على عدم وجود تلك الأمور ، لأنّ من المحتمل في مقام الإمكان أن تكون أمور كهذه موجودة في الواقع ، و مع ذلك فإنّ من ذهب أو رحل عن الدنيا لم يأت بالخبر عنها .

لقد ذهب أبائنا و أمهاتنا و أرحامنا و أصدقائنا و لم يأتوا بخبرٍ ما ، لا عن وجود تلك الأمور و لا عن عدمها ، فمن أين سيُعلم أنّها ليست موجودة حقاً ؟

و لهذا فإنّ أصل تحقّق القيامة و الحساب و الكتاب أمر ممكن ، كما أنّ الدليل و البرهان لم يقم على عدمه ، فبأيّ مجوّز عقلي يحقّ للإنسان ان يرى نفسه متروكاً و مهملاً ؟!

يقول أبو علي سينا :

كُلَّمَا قَرَعَ سَمْعَكَ مِنَ الْغَرَائِبِ فَذَرَهُ فِي بُقْعَةِ الْإِمْكَانِ مَا لَمْ يَذُدْكَ عَنْهُ قَائِمُ الْبُرْهَانِ^١.

١- هذه عبارة الشيخ المعروفة التي نُقلت عنه في الكثير من الكتب ، و المراد بالإمكان هنا الاحتمال العقلي لا الإمكان الذاتي . يقول الحكيم السبزواري في شرح المنظومة ، ص ٤٦ ضمن شرح غرر المعدوم «لُعَاد بَعِينُهُ» : و معنى الإمكان خلاف الاعتقاد الجازم ، اعني احتمال في مثل قولهم «ذر في بقعة الامكان» ما موصولة «لم يذده» أي لم يدفعه «قائم البرهان» اشارة الى جواب دليل آخر اقناعي لهم ، و هو أنّ الأصل فيما لا دليل على امتناعه و وجوبه هو الإمكان كما قال أحد الحكماء : «كُلَّمَا قَرَعَ سَمْعَكَ

كلام أبي علي سينا في وجوب جعل المسموعات ممكنة لحين إقامة البرهان العقلي المجلس الرابع

و باعتبار إمكان تحقق القيامة هنا - ناهيك عن ان الصادق الشاهد ، و المصدق المؤيد رسولنا الأكرم و نبينا الأعظم صلى الله عليه و آله يخبر عن هذا التحقق و الوقوع - فإن نفس الاحتمال منجز ، و دفع الضرر المحتمل من مستقلات العقل .

لقد كان للامام الصادق عليه السلام كلامٌ ضمن بحث مع رجل ملحد من الدهريين يُنكر وجود خالق عالم قادر حيّ لهذه الدنيا ، توصل الامام فيه الى اثبات المعاد و وجود الحساب و الجزاء و أفحم ذلك الدهري . ثم قال الامام عليه السلام لذلك الرجل ذي النزعة المادية :

إن يكن الأمر كما تقول [بأن لا وجود لله و لا للمعاد و الجزاء] - و ليس كما تقول - نجونا و نجوت ، و إن يكن الأمر كما تقول [بأن هناك إلهاً و معاداً و جزاءً] - و هو كما نقول - نجونا و هلكنا !

و لا مناص أمام رفع هذا الاحتمال من الالتزام في الأعمال و السلوك و العقائد الحسنة .

و رابعاً : لقد شاهد كلُّ منا في حياته حلماء عن شخص متوفى يتن في حاله قليلاً أو كثيراً ، و كثيراً ما يحصل ان يُخبر أولئك عن أمور لم يكن

من الغرائب فذره في بقعة الامكان ما لم يذك عنه قائم البرهان . و للشيخ الرئيس عبارة في آخر كتاب الاشارات بعد بيان جميع الاشارات ، تحت عنوان نصيحة ، يقول فيها «إياك أن يكون تكيّسك و تبرؤك عن العامة ، هو أن تنبري مُنكراً لكل شيء ، فذلك طيش و عجز ، و ليس الخرق في تكذيبك ما لم يستبين لك بعد جلّيته دون الخرق في تصديقك ما لم يقم بين يديك بيّنة ؛ بل عليك الاعتصام بحبل التوقّف ، و إن أزعجك استنكار ما يوعاه سمعك ، ما لم تتبهن استحالتك لك ؛ فالصواب أن تسرح أمثال ذلك الى بقعة الامكان ، ما لم يذك عنه قائم البرهان . و قد ورد هذا الكلام في الصفحة الأخيرة من الاشارات ، الطبعة الحجرية . و في الصفحة ١٥٩ و ١٦٠ من المجلد الرابع للإشارات ، الطبعة المصرية الحديثة الثانية .

١- الاحتجاج للطبرسي ، ج ٢ ، ص ٣٣٦

لأحد علم بها ، كأن يقول مثلاً : انّ عليّ ديناً بمبلغ كذا للشخص الفلاني الذي يسكن المحلة الفلانية ، فأدّوه عني . و حين يُراجع ذلك العنوان يتضح أنّه كان مديوناً فعلاً بنفس المبلغ بلا زيادة و لانقصان . و كثيراً ما يحدث أن يكون نفس الشخص الدائن لا يعلم بذلك الأمر ، ثم يستبين له ذلك بمراجعة دفاتره و حساباته . ثم يرى ذلك الشخص في النوم فيقول : لقد استرحتُ . و يُبدي شكره و امتنانه من الشخص الذي أدّى عنه دينه .

هذه هي الارتباطات التي تقوم بها نفس الإنسان مع عالم المثال ، فتكتسب أموراً منه اما في النوم أو الصحو و تجلبها معها الى عالم الحس هذا .

و ما أكثر ما وجد أفراد ذوّوا ضمير مشرق و طوية سليمة نزيهة في عالم الصحو المحض ارتباطاً مع عالم البرزخ ، فتكلّموا مع الأرواح ثم بينوا لنا حساب عالم القبر الذي هو عالم البرزخ .

و هؤلاء الأفراد قد حازوا أولاً مقام العدالة و التقوى و الصدق بحيث لا يرد احتمال كذبهم و لو بنسبة واحد في المليون . و ثانياً فإنّ هؤلاء الأفراد - بالرغم من قلتهم و نُدرتهم نسبةً الى عامة الناس - الآ اتهم في حدّ أنفسهم أفراد غير قلائل . و ثالثاً : ان كيفية اخبارهم متشابهة بلحاظ بيان الواقع ، فقد بين كلّ منهم - بصور و أشكال مختلفة - قصصاً عن ستار الغيب ذلك .

قصّة المحدث القمي في وادي السلام في النجف الأشرف :

انّ المرحوم المحدث القمي صاحب التأليفات النافعة مثل سفينة البحار و الكنى و الألقاب و غيرها ، لاشك في ورعه و تقواه و صدقه بين أهل العلم قاطبة ، و قد نقل أفراد موثقون عنه بلا واسطة أنّه قال : ذهبْتُ يوماً الى وادي السلام في النجف الاشرف لزيارة أهل القبور و أرواح

المؤمنين ، فسمعتُ فجأةً من بعيد رغاءً بغير يريدون كتيه ، وكان يهدر ويثنّ بحيث كانت أرض وادي السلام تهتزّ من صراخه ، فقصدتُ نحوه لأستنقذه ، وحين اقتربتُ من مصدر الصوت رأيتُ أن ليس في الأمر من بغير !! كانت هناك جنازة جىء بها لتدفن ، وكان ذلك الصراخ يتعالى منها ، إلا أن الأفراد القائمين بأمر الدفن لم يكن لديهم اطلاع على ذلك أبداً ، فكانوا مشغولين بعملهم في هدوء وبرود .

لقد كانت هذه الجنازة بلا ريب لرجل ظالم متعذّ ناله في أول وهلة من ارتحاله عقوبة كهذه ، أي أنّه قد خاف و فزع قبل الدفن و قبل عذاب القبر من مشاهدة الصور البرزخية ، فكان يثنّ و يضجّ بالصراخ .

قصة آية الله الكلبايگاني في مقبرة «تخت فولاد» أصبهان :

كان للمرحوم آية الله السيد جمال الدين الكلبايگاني رضوان الله عليه مطالب كثيرة من هذا القبيل ، وكان من العلماء و مراجع التقليد الأجلاء في النجف الأشرف و من التلامذة المبرزين للمرحوم آية الله النائيني ، وكان في علمه و عمله حديث الخاصّة ، و قد كان في عظمة قدره و كرامة منزلته و نزاهة نفسه مورد تصديق الجميع ، فليس هناك من محلّ للشكّ في كلامه ، كما كان حائزاً على المقام الأعلى في مراقبة النفس و الاجتناب عن الأهواء النفسية .

وكان لجيرانه حكايات عن أصوات مناجاته و بكائه ، وكانت الصحيفة المباركة السجادية مقابله دوماً في غرفة الخلوة ، ينشغل بقراءتها حالما يفرغ من المطالعة ، وكانت آهاته حرّى و دموعه جارية فيأضة ، وكلامه مؤثراً و قلبه مفعماً بالإخلاص . و قد عاش ما يزيد على تسعين سنة ، حيث انقضى على رحيله حتى الآن تسع عشرة سنة . و قد درس في

فترة شبابه في أصبهان ، وكان رفيق المرحوم آية الله الحاج حسين البروجردي في الدرس و المباحث ، فكان آية الله البروجردي يكتب له الرسائل و يستعين به بالنسبة الى بعض المسائل الغامضة و الحوادث الواقعة ، سواء في الأوقات التي كان فيها في بروجرد ، أو الأوقات التي عاش فيها في قم .

وكان الحقيق قد تشرف بالذهاب الى النجف الأشرف للتحصيل والدراسة لمدة سبع سنوات ، فكنت أتردد على منزله مرة أو مرتين اسبوعياً فأجلس عنده ساعة من الزمن ، و مع أنه كان من أهل التقية والكتمان لدرجة كبيرة ، إلا أنه كان ينقل لي مطالب عن وارداته القلبية في مدة عمره ، سواء في أصبهان أو في النجف ، وكانت مطالب يُخفيها حتى عن خواصه و المقربين اليه .

وكان منزله يقع في محلة الحويش ، و لديه غرفة صغيرة تقع أعلى الدار يقضي فيها أوقاته . وكان يقص علي من وارداته و مكاشفاته ، أو عن حالاته و مقاماته حين كنت أتشرف بالمشول عنده ، فإذا ما سمع صوت أقدام تصعد السلم قطع حديثه و اشتغل ببحث علمي أو فقهي ليخال للقادم أننا مشغولين في هذه المدة بالمذاكرة و البحث العلمي ، وكان يفعل ذلك حتى لو كان الوارد من أخص خواصه .

كان يقول : درست أوان شبابي في أصبهان درس الأخلاق و السير والسلوك عند استاذين كبيرين : المرحوم الآخوند الكاشي و جهانگیرخان ، و كانا معلّمي في هذا المجال .

وكانا قد أمراني بالذهاب ليالي الخميس والجمعة خارج أصبهان إلى مقبرة (تخت فولاد) للتفكير في عانم الموت والأرواح قدرأ وبالعبادة قدرأ آخر.

و هكذا فقد اعتدتُ على الذهاب ليالي الخميس و الجمعة للتجوال والتفكير ساعة أو ساعتين بين القبور ، استريح بعدها عدّة ساعات ، ثم أنهض لصلاة الليل و المناجاة ، ثم أصليّ صلاة الصبح و أعود الى أصبهان . وكان يقول : كانت ليلة من ليالي الشتاء ، وكان الهواء بارداً جداً ، والثلج يتساقط من السماء ، وكنتُ قد جئتُ من أصبهان الى مقبرة (تخت فولاد) للتفكير في أرواح وادي ذلك العالم و ساكنيه ، و ذهبتُ الى احدى الغرف و أردتُ فتح منديلي لأتناول لقيمات من الطعام فأنام بعدها الى منتصف الليل و أنهض لأشتغل بأعمالي و عبادتي حسب الطريقة التي أمرتُ بها .

و في تلك الأثناء طُرق باب المقبرة ، وكانوا يريدون إدخال جنازة لأحد أرحام صاحب المقبرة جاءوا بها من أصبهان ، على أن يقوم قارئ القرآن - و هو المسؤول عن المقبرة - بالتلاوة عليها حتى يعودوا صباحاً لدفنها . و هكذا فقد وضع اولئك الجماعة الجنازة و ذهبوا و انشغل قارئ القرآن بالتلاوة .

و حصل بمجرد أن فتحت المنديل و أردتُ الانشغال بتناول الطعام أن شاهدتُ ملائكة العذاب و قد جاءوا و شرعوا بالتعذيب . (و أنقل هنا عين عبارة المرحوم) : كانوا ينهالون على رأسه بدبابيس نارية بحيث يتصاعد لهب النار الى السماء ، وكانت صرخات هذا الميت تتصاعد كأن جميع هذه المقبرة العظيمة كانت تتزلزل منها .

و لا أعلم أيّ صنف من العاصين كان ، أكان من الحكّام الظالمين الجائرين ليستحقّ العذاب على ذلك النحو ؟

كان ذلك يحدث و قارئ القرآن يجلس في هدوء عند الجنازة مشغولاً بالتلاوة لا يعلم شيئاً من ذلك أبداً . وكنتُ قد تداعيتُ عند مشاهدة

معرفة المعاد (١)

العمر هو الرأس مال الأفضل لتكامل الإنسان و تنامي

ذلك المنظر ، فكان بدني يهتز و يرتجف ، و وجهي يشحب و يصفر ، و كنتُ أشير الى صاحب المقبرة أن : إفتح الباب فأنا أريد الذهاب ؛ فلا يفهم ذلك ، حاولت أن أقول ذلك فكان لساني محتبساً في فمي لا يقوى على الحركة .

ثم أفهمته أخيراً : إفتح مغاليق الباب فأنا أريد الذهاب .

قال : ايها السيد ، انّ الجو بارد ، و قد غطى الثلج الأرض ، و هناك ذئاب في الطريق ستفترسك .

و عبثاً حاولتُ إفهامه أن لا طاقة لي على البقاء ، فلم يكن ليذكر ما أعنيه ، فاضطرتُ الى أن أجز نفسي الى باب الغرفة ففتحته بنفسي و خرجت ومع أنّ المسافة من هناك الى أصبهان لم تكن بعيدة إلا أنّي قطعتها في غاية المشقة حيث سقطت على الأرض عدّة مرّات ، ثم جئت الى غرفتي فسقطت مريضاً اسبوعاً كاملاً . و كان المرحوم الآخوند الكاشي و جهانگیرخان يأتيان الى غرفتي لتطبيب خاطري ، و كانا يُعطيانني الدواء و كان جهانگیرخان يُنضج اللحم المقدّد (الكباب) فيطعمنيه بالإكراه ، حتى استرجعت قوّتي شيئاً فشيئاً .

و ينبغي أن نسأل منكري المعاد هنا : أهذه الأمور أيضاً تقبل الإنكار ؟!

الصور البرزخية :

كان المرحوم السيد جمال يقول : حين تشرفّت بالمجيء من أصبهان الى النجف الأشرف كنت أرى الناس مدة في صورهم البرزخية في هيئة الوحوش و الحيوانات و الشياطين ، حتى سئمتُ من كثرة المشاهدة ، فتشرفّت يوماً بزيارة الحرم المطهر و سألتُ أمير المؤمنين عليه السلام أن

يسلب تلك الحال مني فلا طاقة لي بها ، فاستجاب لي أمير المؤمنين عليه السلام و صرت أرى الناس بعد ذلك في هيئتهم العادية .

لقاء آاية الله الكلبايگاني مع الأرواح في وادي السلام :

و كان يقول أيضاً : ذهبتُ مرة في يوم حارّ الى وادي السلام لقراءة الفاتحة لأهل القبور و لأرواح المؤمنين ، و كان الجوّ قائضاً حارّاً جداً فلجأتُ الى طاق كانوا قد بنوه على أحد القبور و جلستُ في ظله ، ثم خلعتُ عمامتي و عباءتي لأستريح هنيئة و أعود ، فشاهدت في تلك الحال جماعة من الموتى بملابس متهرئة رثة و هيئة قذرة جداً و هم يتجهون نحوي و يطلبون الشفاعة مني : انّ وضعنا سيّء و صعب ، فاسأل الله أن يعفّو عنا ! فنهرتهم و قلت : انكم لم تُصغوا الى كلّ ما قيل لكم في الدنيا ، و ها أنتم تطلبون العفو حين قُضي الأمر ، فاذهبوا أيّها المستكبرون ! و كان يقول : كان اولئك الموتى من شيوخ العرب الذين عاشوا عيشة مستكبرة في الدنيا ، و كانت قبورهم في اطراف القبر الذي جلستُ عنده .

لقاء آاية الله الكلبايگاني بحوريّات الجنّة في روضة برزخية من رياض الجنّة :

و كان يقول : كنتُ جالساً يوماً ما ، فوردتُ فجأة في روضة مجلّلة في غاية العظمة ذات مناظر تخلب الألباب ، و كان حصي أرضها يستهوي الافئدة ، و أشجارها مفعمة بالطراوة و الغضارة ، و النسائم المنعشة تهبّ خلالها . فوردت تلك الروضة و ذهبت مباشرة الى وسطها فشاهدت حوضاً مترامي الأطراف مليئاً بالماء الرقراق البرّاق ، و كان ماؤه صافياً بحيث كان الحصى في قعره ظاهراً للعيان .

و كان لهذا الحوض حاقّة جلست عليها فتيات حسان لم ترّ العين

مثلهنّ يجلسن بأبدان عارية حول هذا الحوض و هنّ يلعبن بالماء و يُمسكن بحافة الحوض بيد و يُهلن باليد الأخرى ماء الحوض على حافته . وكانت تتراسنهنّ فتاة أكبر منهنّ تفوقهنّ جلالاً و جمالاً ، فكانت تُنشد الشعر فيرددنه بعدها و يُجبنّ عليه .

وكانت تترنم بصوت عال بقصيدة طويلة تقرأها فقرة فقرة ، وكانت كل فقرة من فقرات القصيدة خطاباً الى الله تعالى أن : لِمَ أهلكت قوم عاد ، و لِمَ أهلكت قوم ثمود ، و لِمَ أغرقت الفراعنة في اليمّ ، و ... و باعتبار ان كل فقرة من هذا الشعر كانت ترجع الى قوم معينين ، فقد كانت تلكم الفتيات يقلن جميعاً : بأيّ علة ؟ و لأيّ سبب ؟ و هكذا فقد كانت تلك الفتاة الرئيسة تذكر اعتراضاتها ، و الفتيات الباقيات يؤيدن كلامها في أجوبتهنّ .

و كنتُ قد وردتُ ذلك المكان لكنني شاهدتُ ان جميع تلكم الفتيات أجنبيات عني ، لذا فقد عدتُ في حركتي حول الحوض من حيث أتيت و غادرتُ تلك الروضة .

لقد كان المرحوم السيد جمال تلميذاً و تابعاً مؤمناً من أتباع القرآن الكريم ، و كان شخصاً تربى بعدّة وسائط على منهج رسول الله صلى الله عليه و آله ، ولكن باعتبار حصول هذه المكاشفة لديه قبل وصوله الى مقام الكمال الروحي ، حيث لم تكن مسألة هلاك قوم عاد و ثمود و نوح بأيدي العوامل الغيبية قد حلّت بعد في سرّ وجوده ، فقد تجلّى ذلك في عالم المعنى على هيئة اعتراض حوريات الجنة ، و بغير ذلك فلا معنى للإعترض في عالم المعنى و التجرد ، إذ أن جميع أهل الملأ الأعلى منهمكون في تسبيح و تقديس وجود و صفات و أفعال الحضرة الأحديّة .

و من دواعي الفرح ان ذلك المرحوم قد شاهد ان تلكم الحوريات كنّ

أجنيبات عنه ، و هو بشارة روحية بأنه سيعبر هذا المنزل الذي هو محل الشبهة و الاعتراض ، و سيصل الى منزل التسبيح و التقديس المطلق ، كما تجلّى هذا المعنى فعلا في المكاشفات التي حصلت له أواخر عمره ، رحمة الله عليه رحمة واسعة .

أقيمة كلام الله و بيانات رسوله أضعف من كلمات السيد جمال و أمثاله و أقصر تعبيراً ؟!

ما أفضل ما بينه الله جلّ و عزّ في سورة القيامة (٧٥) ، الآيات ٢٢ - ٤ :
وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ .

وجوه غضة طرية ناظرة الى الجمال الخالد لخالقها ، تتطلع الى تجلياته فتجده في تلك التجليات .

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ * تَطُنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاكِرَةٌ .

و هناك في نفس الوقت وجوه مغمومة حزينة عابسة ، يحيط بها الحزن و الكدر و الغم .

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِي * وَ قِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ *
وَ اتَّقَبَّ السَّرَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ .

كلاً ، ليس أبداً كما يتصورون أو يظنون ، فيُنكرون يوم القيامة . بل إذا بلغت روح الانسان صدره و ارتطمت بعظام ترقوته و حلقومه في آخر أنفاسه الإنسانية ، فإنه سيُقال له : من الذي يشفيك ، و من الذي يعطيك دعاءً و تعويذة و يكتب لك رقية ؟

ءانذاك حين ستكون يده قد قصرت عن فعل أي شيء ، و يكون أمله قد انقطع ، و رأى الفراق قريباً ، و التصقت ساقاه ببعضهما فلا قدرة له بعد على الحراك . او حين تلتفت حال الاحتضار و سكرات الموت هذه التي تمثّل حال أفول البدن ، بساق الآخرة ، اي طلوع عالم الغيب .

أو حين يكون ملائكة الرحمة او الغضب قد التقوا عليه و تقاطروا عليه بكثرة فساقوا بينهم هذا العبد الى مقصده و غايته .

ذلك الوقت هو وقت الحركة و السوق الى ربك أيها النبي .
فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ
يَتَمَطَّى * أُولَى لَكَ فَأُولَى * ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى .

وهذه الآيات نزلت في شأن أبي جهل الذي كان يسخر بالنبي صلى الله عليه و آله ، و بدعوته للصلاة و الزكاة ، و يعد يوم الجزاء من الأساطير و الخرافات .

تقول الآيات : لم يكن يتصدق و لا يصلى ، بل كان يُنكر الله و يكذب بيوم القيامة، ويُعرض عن حقائق العالم وعن كلام الله ورسوله (ص). ثم كان يذهب الى أهله من عند رسول الله باستكبار و خُيلاء ، فيفتخر عندهم بالتجاسر على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم .

بلى ان جهنم أولى به و أجدر ، نار جهنم أولى به من أي شيء آخر .
أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكْ نُطْفَئْ مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ
كَانَ عِلْقَةً فَاخْلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ
بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى .

أيتخيل الإنسان أنه خُلِقَ مُهْملاً ملهتاً عنه ، فلا مسؤولية و لا التزام له أمام عالم الخلقة ؟ أولم يكن أصل هذا الإنسان من منيٍّ يُمْنَى و يُراق ؟ ثم أنه صار في رحم أمه في هيئة علقه ، ثم صورته ربّه في شكل و هيئة معينة ذى أعضاء و جوارح و حواس ، و سواه بالغرائز و الملكات ، ذلك الرب الذي جعل من الانسان الزوجين الرجل و المرأة . أفلا يستطيع رب قادر كهذا أن يُحيي الموتى فيُجازيهم على أعمالهم و سلوكهم ؟

و قد ورد في رواية أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يُكثر تلاوة

هذه الآية : أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى . فتجري دموعه غزيرة من عينيه ، وكان يكرزها كلماً قرأها .

لقد كان أمير المؤمنين عليه السلام مطلقاً على ما وراء هذا الستار ، فهو إمام عالم بالسرّ والخفيات ، مشهودٌ لديه عالم الغيب والشهادة .

يكتب ابن حجر الهيتمي المكي :

فَلَمَّا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ يَفْطُرُ عَلِيٌّ لَيْلَةً عِنْدَ الْحَسَنِ وَ لَيْلَةً عِنْدَ الْحُسَيْنِ وَ لَيْلَةً عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَ لَا يَزِيدُ عَلَى ثَلَاثِ لَقَمٍ وَ يَقُولُ : أَحِبُّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَ أَنَا خَمِصٌ^١ .

فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا صَبِيحَتِهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَكْثَرَ الْخُرُوجَ وَ النَّظَرَ إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ : مَا كَذَبْتُ وَ مَا كَذِبْتُ ، وَ إِنَّهَا هِيَ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُعِدْتُ^٢ .

بلى ، هذه الليلة هي ليلة الوصال ، ليلة لقاء المحبوب و زيارته ، كانت حال الامام منقلبة كثيراً تلك الليلة ، و كان انقلاب حال الإمام و تغيره نابعاً من سعة نفسه و عظمة قابليته و رحابته ، فقد كانت سعته تشمل جميع الموجودات لأن الإمام قلب العالم ، فكلّ موجود يحصل على إفاضة الوجود من ذات الخالق المقدسة بوسيلته و واسطته ، لذا فإن رحلته هذه ستكون بمثابة هزة لجميع الموجودات الأرضية و السماوية ، و سيحصل الانقلاب على اثرها في سرّ كلّ موجود ، و هذا هو معنى انقلاب حال الإمام وقت رحيله . كانت ملامح و سيماء أمير المؤمنين عليه السلام و طلعت المنيرة حاكية عن ظهور جميع الموجودات ، و كان قلبه المبارك ينبض بضربات قلب جميع الموجودات .

١- الصواعق المحرقة ، ص ٨٠

٢- الصواعق المحرقة ، ص ٨٠ .

لقد كانت سعة أمثال الهيدجي و أمثال الطالقاني بقدر سعة وجودهم و ظرفيته ، فإذا امتلاء كأسهم طفح و فاض فلم يعد يسعهم تمالك أنفسهم من الفرح و الجذل

لكن سعة أمير المؤمنين و ظرفيته كانت تزيد على السماوات و الأرض و على جميع قلوب البشر و قلوب الجن و الملك فهو الحائز لجميع مقامات الملك و الملكوت ، كما انه يجسد مقام الولاية الكلية الالهية و المتصرف في عالم الإمكان ، لذا فإن حركة كهذه ستوجد هزة و زلزلة في عالم الوجود .

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَ سِعَةُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تُقَاسُ بِسِعَةِ عَرْشِ اللَّهِ ، و عرش الله قلب المؤمن . و أي مؤمن ؟! أمير المؤمنين عليه السلام الذي يمثل ثمرة عالم الخليفة و نتيجة و غصارة الخلق و جوهرة الوجود .

كان أمير المؤمنين يريد الرحيل ، الرحلة المطلقة نحو الحبيب ، فما الذي حدث في تلك الليلة ؟ و ما التقدير الذي قدره الله سبحانه فيها ؟ و بأي صورة يريد استقبال وزيره و خليفته الوحيد على الأرض و فخر بني آدم أجمع ؟ ما حال الحوريات و ملائكة السماء ؟ و ما هذه الضجة و الغوغاء لدى طيور السماء و حيتان البحر و دواب الأرض ؟ لِمَ تبكي الصخور بدل الدموع الجارية دماً ؟ ما حال الأنبياء العظام و المرسلين و كيف ينتظرون قدوم علي ؟ و ما هو حال رسول الله صلى الله عليه و آله ؟

سخن سربسته گفتی با حریفان

خدا را زین معماً پرده بردار^١

١- يقول : لقد تكلمت مع خصومك بإبهام و غموض ، فبالله عليك لو كشفت عنه

الْمَجْلِسُ الْخَامِسُ

فِي مَجَالِسِ النَّوْمِ وَالْمَوْتِ

بسم الله الرحمن الرحيم

(القيت هذه المطالب في اليوم الرابع من شهر رمضان المبارك)

والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
و صلى الله على محمد و ءاله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم:

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ
الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ^١.

هذه الآية المباركة صريحة في ان الموت و النوم من جنس واحد
و انهما يمتلكان حكماً واحداً ، فالله سبحانه هو الذي يتوفى الأنفس عند
الموت و عند النوم كليهما ، فيمسك بروح من حان أجله و يرسل روح من
لم يحن أجله بعد عند استيقاظه من نومه .

و هي مسألة تستحق التأمل الوافر .

أولاً : لبيان أخذ الروح المشترك بين النوم و الموت بلفظ التوفي
و ليس بلفظ القبض ، لأن معنى التوقي : الأخذ بتمام المعنى ، بينما يعني
القبض الأخذ و السلب ؛ فالله سبحانه يأخذ الروح بحقيقة الأخذ و السلب في

١- الآية ٤٢ من السورة ٣٩: الزمر .

معرفة المعاد (١)

في تجانس النوم و الموت

حال الموت و النوم ، لكنه في حال الموت يزيد على هذا الأخذ و القبض فيمسك الروح ولا يُعيدّها ، بينما يكتفي بالتوفي في حال النوم ثمّ يعيد الروح و يطلقها عند الإستيقاظ .

و قد ورد التعبير بلفظ التوفي في آية أخرى وردت في شأن النوم :
 وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ^١ .
 و ثانياً : أن ما يتوفاه الله سبحانه هو أرواح الادميين ، يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ ،
 والنفس هي الروح .

و عليه فإن روح الإنسان تنتقل حال الموت و النوم من بدن الانسان
 و من هذا العالم الى عالم آخر .

يستقرّ بدن الانسان عند النوم على الأرض في حين تسير روحه في
 عوالم أخرى ثمّ تعود . و يستقرّ بدن الانسان عند الموت على الأرض أو
 تحتها و تنتقل روحه الى عوالم أخرى فلا تعود ، يشهد على هذا المعنى
 ان التعبير جاء في هذه الآية بلفظ يَتَوَفَّاكُم ؛ كما ان نفس الانسان هي حقيقته
 التي يعبر عنها في المحاورات و المحادثات بـ «أنا» و «أنت» و «هو»
 و «نحن» و «أنتم» و «هم» ، فإن قال أحد : أنا فعلت كذا و قلت كذا ؛ فإن
 المراد بلفظ «أنا» روحه و نفسه لا بدنه ؛ و حقيقة أنا و أنت و هو و «كُم»
 وغيرها من الضمائر العربية هي الروح التي يتوقاها الله و يقبضها
 عند الموت .

و الشاهد الآخر قوله في الآية ٦ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق :

يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ

١- الآية ٦٠ من السورة ٦ : الأنعام .

فهذا الخطاب موجّه الى حقيقة الانسان أي روحه ، و ليس موجّهاً الى بدنه.

و لقد خلق الله سبحانه الروح من عالم التجرد و وهبها البدن لاستكمال القوى ، كي تتمكّن من الحركة في هذا العالم و تتجّه دوماً - بعد طي العوالم الأخرى - الى الله سبحانه فتتال مقام لقاء حضرته .
و الشاهد الآخر ان الله سبحانه يخاطب أهل جهنم في الآية ١١٢ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون .

قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلُ الْعَادِينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

فقد عبّر في هذه الآيات عن الحياة و العيش في الأرض بلفظ اللبث الذي يمتلك معنى التوقف و الإقامة المؤقتة ، و هو ما يصدق على من يطوي طريقاً طويلاً ثم يتوقف أثناء الطريق فيمكث قليلاً. كما لو ان الانسان يأتي الى هذا العالم من عالم آخر فيلبث فيه و يتوقف مدّة ثم يرحل عن هذا العالم و يُهاجر ، و هو ما يصدق على الروح و النفس الآدمية التي كانت في عوالم الذرّ ثم جاءت الى عالم المادّة فارتدت لباس المادّة على الأرض ، ثم خلعت هذا اللباس و تركته مرتحلة نحو عالم البرزخ و القيامة. ان الروح تخلع لباس البدن المهترئ فترتدي الخلعة الالهية أو تبثلي بالعقاب جزاء أعمالها.

لذا فإنّ التعبير عن توقف الروح في الدنيا بلفظ اللبث في هذه المحاورات تعبيرٌ صحيح ، اما لو كان الخطاب موجّهاً لإنسان قوامه بدنه فهو يفنى بفناء بدنه و موته ، فلا ينبغي آنذاك التعبير بلفظ اللبث و التوقف ، بل ينبغي استخدام لفظ السكن و الإقامة و أمثالها.
يروى الصدوق في كتاب «معاني الأخبار» عن محمد بن القاسم

المفسر ، عن أحمد بن الحسن الحسيني عن الامام الحسن بن علي العسكري عليه السلام قال : دخل علي بن محمد عليه السلام على مريض من أصحابه و هو يبكي و يجزع من الموت ، فقال له : يا عبدالله تخاف من الموت لأنك لا تعرفه ، رأيته إذا اتسخت و تقدرت و تأذيت من كثرة القدر الوسخ عليك و أصابك قروح و جرب و علمت أن الغسل في حمام يُزيل ذلك كله أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك ؟

قال : بلى يا ابن رسول الله

قال : فذاك الموت هو ذلك الحمام و هو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك و تنقيتك من سيئاتك فإذا أنت وردت عليه و جاوزته فقد نجوت من كل هم و غم و أذى ، و وصلت الى كل سرور و فرح ، فسكن الرجل و استسلم و نشط و غمض عين نفسه و مضى لسبيله^١ .
و كذلك يروي المرحوم الصدوق في «معاني الأخبار» بنفس السند عن الإمام علي النقي عليه السلام أنه قال :

قيل لأبي محمد الجواد محمد بن علي بن موسى صلوات الله عليهم : ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت ؟ قال : لأنهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه و كانوا من أولياء الله عز و جل لأحبّوه و لعلموا أن الآخرة خير لهم من الدنيا ، ثم قال عليه السلام : يا أبا عبد الله ما بال الصبي و المجنون يمتنع من الدواء المنقي لبدنه و النافي للألم عنه ؟ قال : لجهلهم بنفع الدواء .
قال : والذي بعث محمداً بالحق نبياً إن من استعد للموت حق الاستعداد فهو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج ، أما إنهم لو عرفوا

١- معاني الأخبار ص ٢٩٠ .

ما يؤذي اليه الموت من النعيم لاستدعوه و أحبوه أشد ما يستدعي العاقل الحازم الدواء لدفع الآفات و اجتلاب السّلامات^١.

و كذلك يروي في نفس الكتاب عن محمد بن القاسم المفسر الجرجاني ، عن أحمد بن الحسن الحسيني عن الحسن بن علي الناصري ، عن أبيه ، عن محمد بن علي الجواد عليه السلام قال : قيل لعلّي بن الحسين عليهما السلام : ما الموت ؟ قال : للمؤمن كنز ثياب وسخة قملة ، و فك قيود و أغلال ثقيلة ، و الاستبدال بأفخر الثياب و أطيبها روائح و أوطئ المراكب ، و آنس المنازل ، و للكافر كخلع ثياب فاخرة ، و النقل عن منازل أنيسة ، و الاستبدال بأوسخ الثياب و أخشنها ، و أوحش المنازل و أعظم العذاب^٢.

لقد كان القصد من ذكر هذه الروايات بيان أنّ الروح حيّة بعد الموت معذبة أو منعمة ، أشبه بالحلم الذي يراه الإنسان في النوم فهو أمان مسرور برؤية المناظر الخلابة أو مغموم بمشاهدة المناظر المرعبة المحيرة ، فكلاهما ينبع من مقولة و أساس واحد.

يشهد على هذا الأمر أنّه يروي عن كتاب معاني الأخبار بنفس السند الأخير الذي ذكر ، عن الامام محمد النقي عليه السلام أنّه سُئل عن حقيقة الموت فقال :

هو النوم الذي يأتيكم كلّ ليلة إلا أنّه طويل مدته لا ينتبه منه إلا يوم القيامة ، فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره و من أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره ؟ فكيف حال فرح في النوم و وجل فيه ؟

١- معاني الأخبار ص ٢٩٠.

٢- معاني الأخبار ص ٢٨٩.

هذا هو الموت فاستعدوا له^١.

فهذه الرواية صريحة في ان النوم و الموت كلاهما واحد ، غاية الأمر ان الموت أعمق و أثقل بقدر ما ، بينما النوم أخف و أكثر سطحية. و لذا يمكن القول أن الموت هو نوم ثقيل ، و ان النوم هو موت خفيف سطحي. و على هذا الأساس فقد ورد في مصباح الشريعة ، طبع «مركز نشر كتاب» طهران ١٣٧٩ هـ ق ، الباب ٤٤ ، ص ٢٩ : قال الصادق عليه السلام : **إِنَّ النَّوْمَ أَخُو الْمَوْتِ وَ اسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى الْمَوْتِ الَّذِي لَا تَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى الْإِنْتِبَاهِ فِيهِ وَ الرَّجُوعَ إِلَى إِصْلَاحِ مَا فَاتَ عَنْكَ.**

و كذلك روى في الجامع الصغير للسيوطي ج ٢ ص ١٨٩ شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة الرابعة ، عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : **النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ وَ لَا يَمُوتُ أَهْلُ الْجَنَّةِ.** و رواه في كنوز الحقائق ، ص ١٤٣ ، بهذه العبارة :

النَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ وَ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ وَ لَا يَمُوتُونَ.

لقد تحير جميع فلاسفة العالم و حكماءه الكبار في ماهية حقيقة النوم ، كما اتهم متحiron في ماهية الموت ، فلم يستطع أحد منهم حتى الآن أن يدرك أسرار النوم و يكشف الستار عنه ، كما لم يستطع أحدهم أن يدرك أسرار الموت و يصل الى حقيقته.

و الفارق الذي يمكن وضعه بين هذين الاثنين أن البدن يسكن حال النوم فتقل فعاليته و أعماله التي يقوم بها ، فيقل جريان الدم و ترتاح الاعصاب و تسترخي بدرجة أكبر ، و ينبض القلب و تعمل سائر الأعضاء

١- معاني الأخبار ص ٢٨٩ الحديث باب معنى الموت. طبع جامعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة.

الموت هو نوم ثقيل ، و النوم هو موت خفيف

المجلس الخامس

الرئيسية و الثانوية و الجوارح و الأمعاء بدرجة أخف و تستمر في عملها ، و يفقد البدن من حرارته الى حدّ معين ، لذا يكثر إصابة الإنسان بالبرد حال النوم ، و يتوجب عليه لذلك تدثير نفسه بدثار وغطاء، لكن الأمر ليس كذلك حال الاستيقاظ ، فلم يكن ذلك ؟

ذلك لأن الروح تقلل علاقتها و رابطتها بالبدن حال النوم ، لكنها لا تقطع تلك العلاقة و الرابطة ، بل تبقى تلك العلاقة باقية اجمالاً ، لذا فإنّ البدن يقوم بأعماله بواسطة هذا القدر من العلاقة الاجمالية . اما عند الموت فإنّ الروح تقطع علاقتها و رابطتها بالبدن كلياً و تنصرف الى عالم التجرد المحض المطلق .

وكما انّ الروح تتحرك حال النوم الى عالم التجرد عموماً ، و هو نفسه عالم الملكوت الأسفل و عالم الصورة و المثال ، فيرقد البدن على الأرض ؛ فكذلك تتحرك الروح عند الموت الى ذلك العالم أو الى الملكوت الأعلى و عالم المعنى و عالم النفس فتترك البدن و تدعه و شأنه . لذا فإنّ النوم هو الموت لعدة ساعات ، كما أنّ الموت هو النوم الدائمي المستمر ، و لا فرق هناك بين الموت لعدة سنوات أو لعدة مئات من السنين أو لعدة آلاف منها ؛ كما لا فرق هناك بين النوم لدقيقة واحدة أو لساعة واحدة أو لعدة ساعات.

وكما قد لوحظ انّ هناك حالات متفاوتة لدرجات النوم ، فالبعض ينامون نوماً خفيفاً بحيث يستيقظون لأدنى صوت أو حركة ، بينما ينام البعض الآخر نوماً ثقیلاً ، و البعض الآخر نوماً أثقل بحيث لا توقظهم الحركات الشديدة و هدير الطائرات و صوت الرعد ، فإنّ بعض الناس لهم موت خفيف ، فهم يُبعثون و يهاجرون بمجرد الدعوة الى مقام عزّ ذي الجلال و الحركة للقيامة الكبرى ، في حين انّ موت البعض الآخر ثقيل

و أثقل بحيث ينبغي النفخ في الصور لتستيقظ الأرواح و تُبعث فتحضر في القيامة الكبرى .

و يمكن القول اجمالاً بعبارة اخرى انّ الانسان ينام حال حياته و عيشه نوماً مؤقتاً و قصيراً ثمّ يستيقظ ، و لكنه ينام حال موته نوماً طويلاً ثمّ يستيقظ بعده و يُبعث حياً .

دودة القزّ و تشابه دورة حياتها بدورة حياة الانسان و موته :

انّ دودة القزّ و المراحل المختلفة التي تمرّ عليها تبعث على الدهشة و توجب الاعتبار و العظة ، فالافراد الذين شاهدوا مراحل حياتها المختلفة من المراحل الابتدائية الى المراحل النهائية سيمكنهم الاتعاظ و الاعتبار بها ، كما سيمكنهم مشاهدة دورة كاملة لدرس المعاد في هذا الموجود . و لقد كان للحقير زمن الصبا علاقة بتربيتها، فكنت أربّي مقداراً منها في المنزل في فصل الربيع لسنوات طويلة .

بيوض هذه الدودة بيضاء اللون أكبر قليلاً من بذور الخشخاش ، و حالما تبدأ شجرة التوت باخراج البرائم في فصل الربيع فإنّ هذه البيوض تفقس عن ديدان سوداء صغيرة بضخامة رأس الدبوس و بطول عدّة مليمترات ، فتخرج من تلك البيوض و تقتات على أوراق التوت فتكبر تدريجاً ، ثمّ تمر بمرحلة السبات الذي يستغرق يومين كاملين ، واضعةً أرجلها عند نومها على الأرض و رافعةً رأسها و أيديها ، فهي لا تتحرّك و لا تأكل أبداً. و اذا ما حرّكناها فانها ستبدي حركات ضئيلة لا يُعلم منها الاّ انها لا تزال على قيد الحياة .

ثمّ تستيقظ من سباتها بعد يومين فتغيّر جلدها و تُلقِي جلدها السابق و تخرج منه بجلد جديد و بدن جديد طريّ ، و تكون في هذه الحالة أكبر

تمثيل نوم الانسان و موته بالمراحل المختلفة لدودة القز، و نشأته بهما

المجلس الخامس

في الحجم و أشد بياضاً من السابق. ثم تشغل هذه الدودة بتناول الغذاء الخاص بها ، أي أوراق التوت الى عدة أيام ، فتكبر تدريجياً و يصبح لونها أكثر إشراقاً و بياضاً .

ثم تسبت ثانية فتقضي يومين كاملين بنفس المنوال السابق ، و تستيقظ بعد ذلك فتبدل جلدها من جديد و تتجه نحو أوراق التوت ببدن أكثر طراوة و نشاطاً .

ثم تشغل بالتغذية عدة أيام و تمر بعد ذلك بحالة السبات و النوم و تستيقظ بعد يومين كاملين و تغير جلدها و تبدو هذه المرة بشكل يختلف كثيراً عن السابق ، فتكون مفاصل بدننها قد اتضحت و تميزت ، و صار رأسها مميّزاً شاخصاً ، و صار شكل أيديها و أرجلها معلوماً واضحاً ، حتى ان شكل ورود الهواء و خروجه من رئتها الواقعة قرب ظهرها الذي هو بمنزلة العمود الفقري للإنسان صار مشهوداً و معلوماً حال التنفس .

و تشغل هذه الدودة بتناول الغذاء ، فتمضغ أوراق التوت بصوت يشبه صوت المنشار الدقيق ، و تمر عليها عدة أيام على هذا المنوال ، ثم ترقد هذه الحشرة المعصومة من جديد كالسابق و تستيقظ و تبدل جلدها فيتضح الآن ان الحشرة قد بلغت مرحلة بلوغها و صار لونها أبيضاً تماماً يميل الى الزرقة ، و سمكها بقدر سمك حبة من الحمص أو نواة تمر ، و طول قامتها سبعة أو ثمانية سانتيمترات و تستمر بتناول الغذاء حتى تبلغ مرحلة كمالها .

و ها هي الآن تريد توديع هذه الحياة ، فتصنع هذه الحشرة لنفسها قبراً ، و تنتابها حالة الموت تدريجياً خلال صنعها لهذا القبر ، ثم تغلب عليها سكرات الموت فيصيبها الدوار و الاعياء . و ليس قبرها الا شرنقتها التي تحوكلها من لعابها ، ذلك اللعاب الشبيه بخيط متصل دائمي تخرجه من

فيها. و هذا القبر يعد ضرورياً لها ، لانتها إن لم تُخفِ نفسها فيه فان النملة التي تُعدّ من أشد أعدائها ستقطعها في الوهلة الاولى و تجرّها الى بيتها، كما ان العصافير ستبتلعها في لقمة واحدة فتُنهى أمرها ، و قد تُسحق تحت الأيدي و الأقدام .

و هي تبني هذه الشرنقة أو القبر بين أغصان شجرة التوت ، أو في نفس الصندوق أو الوعاء الذي وُضعت فيه ، تبنيها بحجم ظريف و لطيف يرى الانسان نفسه محتاجاً له فيفيد منه على هيئة حرير يعدّ منه ملابسه. ان هذه الحشرة تقوم عندما تنتابها سكرات الموت و حين يحين موتها بافراز لعاب فمها فتحككه على بدنّها و تلفّه عليه ، و تستمرّ في ذلك الى مدة يوم كامل تقريباً تصبح فيه هذه الشرنقة محيطّة بها بشكل كامل ، و تبدأ هذه الدودة بالتناقص في الطول تدريجاً حتى تصبح قامتها عند انتهاء حياكة الشرنقة تقارب ثلث قامتها الأصلية .

و حين تكمل حياكة الشرنقة فان الحشرة ترقد في داخلها رقوداً طويلاً لمدة عشرين يوماً ، لكن هذه الحشرة لم تعد خلال هذه المدة بشكل دودة ، فقد التفت على نفسها و انقبضت و انغرس رأسها و أيديها و أقدامها في جسمها ، و قصرت طولاً الى حدّ لم يعد لها أي شبه مع تلك الدودة السابقة ، فقد صار طولها الآن يعادل سانتيمتراً واحداً ، فاذا شُقّت الشرنقة شوهدت هذه الحشرة أشبه بحبة لوبياء محترقة ، أو كبيضة النحل ، ممتیسة و ممتة بما في الكلمة من معنى .

هذه الحشرة لا تشبه الآ موجوداً ممتاً جامداً ، بيد انها ليست ممتة ، فما هو - يا ترى - السير الذي تطويه في شرنقتها ؟ و ما هي الحركات الموجودة في جوهر وجودها التي تجذبها كلّ لحظة من مرحلة الى أخرى و تحوّلها من حال الى آخر و ترتقي بها بشكل متواصل أعلى المدارج في

تمثيل نوم الانسان و موته بالمرحلة المختلفة لدودة القز، و التشابه بينهما المجلس الخامس

مقام السير التكامل لوجودها ، حتى تصبح حية بشكل تدريجي و تنهض من سباتها الثقيل فتشق قبرها بلعاب فمها و تخرج من الشرقة أو القبر فتحضر صحراء المعشر .

و ما أعجب ما اتخذت من شكل ! و ما أغرب ما تباينت ملامحها ! فلقد استحالت تلك الدودة الطويلة فراشة لها جناحان كبيران فوقهما جناحان آخران صغيران ، و صار لها عينان براققتان متلاثلتان كعيون الفراشة ، و قرنان كقرني الفراشة . و صارت الآن أقدامها التي كانت في مؤخرتها أسفل رأسها ، و استحالت بطنها كبطن الفراشة تنقسم الى قسمين أعلاهما ضخيم و سميك و أسفلهما نحيف . و لقد صار بدننها و أجنحتها من الظرافة بحيث اذا لمسها لامس تناثر من مسحوقها اللطيف على يده .

فسبحان الله ! ما الأمر ؟ و أيّ موجود هذا ؟ و أيّ تطوّر و تكامل هذا ؟ هذا هو أحد أمثلة و نماذج الموت و تطورات و البعث و النشور ، بالرغم من انّ الحالات التي بينها لهذه الحشرة ليست مثلاً للموت بل مجرد تشبيه ، و ذلك لأنّ جميع المراحل التي طوتها هذه الدودة كانت متعلّقة بأجمعها بعالم الطبع و المادّة ، و لم تتصل بعالم البرزخ و الصورة بسبيل ، بيد أنّه تشبيه مفيد للغاية لتطورات الانسان و موته و حياته اللاحقة .

و هو تشبيه يستحقّ التأمل و العناية لمراحل موت الانسان و رقوده في القبر و فقدانه تماماً لشكله و هيئته الأولى ، و فناء العيون و الآذان و الجوارح ، و للإشارة الى ان هذه التغيرات لا تدلّ على فقدان الحياة . فهذا الانسان سيحضر يوم القيامة في هيئة اخرى و شكل آخر ، هو الصورة و الهيئة الواقعية لنفسه الناطقة ، غاية الأمر انّ قيامة هذه الدودة كانت بعد عشرين يوماً و قيامة الإنسان أبعد من ذلك .

وكما أنّ هذه الدودة قد رقدت ثمّ استيقظت ، فكذلك الانسان يرقد ثم يستيقظ ، وكما ان هذه الدودة ماتت ثم بُعثت ، فكذلك الانسان يموت ثم يُبعث .

و من أجل ايضاح هذا المطلب فلا بد من تقديم إيضاح سهل ، مع اننا نسعى لتكون المطالب التي نذكرها في هذا المجال بسيطةً سهلة الإدراك .
ان الانسان يمتلك مراحلاً ثلاثاً ، الاولى : بدنه الذي يعتبر عنه بعالم الطبع و المادة . و الثانية : القوى الفكرية و التخيلية التي يعتبر عنها بعالم المثال و الصورة . و الثالثة : روحه و نفسه التي يعتبر عنها بعالم النفس .
فهذه المراحل الثلاث غير منفصلة عن بعضها ، بل متصلة و متداخلة .
فهي ليست كمثل حبة من الحمص نضعها جنب حبة من اللوبياء ، و لا كمثل ملعقة نضعها داخل كوب و نضع الكوب داخل وعاء ، بل لا انفكاك للبدن عن الصورة و لا للصورة عن الروح ، البدن مندك في الصورة و الصورة مندكة في النفس .

تشبيه : أنّ الجوزة الواحدة او حبة اللوز الواحدة تمتلك جسماً ، و تمتلك زيتاً ، و تمتلك عصارة ، فالمرحلة الاولى هي جسمها الذي يمثل هيكلها ، و المرحلة الثانية : الزيت الذي ليس خارجاً عن الجسم ، بل منتشر مبعوث في جميع أعضاء و أجزاء هذا الجسم و له حكم روحه .
و المرحلة الثالثة : الجوهر و العصارة الذي ليس منفصلاً هو الآخر عن الزيت ، بل منتشر في جميع ذرات الزيت و له حكم روحه .

بيد أنّ هذا التشبيه يتفاوت مع مورد بحثنا في اندكالك البدن في الصورة ، و الصورة في النفس في جهتين :

الاولى : أنّ العصارة و الجوهر في حبة اللوز مندكة في الزيت ، و الزيت مندك في حبة اللوز ، في حين أن الأمر معكوس في مورد البحث ،

ثلاث مراحل وجودية للإنسان: الطبع والمادة، الذهن والبرزخ، الروح والنفس المجلس الخامس

فالجسم مندك في الصورة و المثال، و المثال مندك في النفس .
و الجهة الثانية : انّ العصارّة في حبة اللوز هي داخل الزيت حقيقةً ،
و الزيت داخل أجزاء الحبة حقيقةً ؛ أمّا في مورد البحث فليس في الأمر
تداخل ؛ بل ان للروح إحاطة بالمثال و شمول له ، و للمثال إحاطة بالبدن
و شمول له ، لكننا نقول من باب ضيق التعبير بأنّ البدن داخل في المثال
و المثال داخل في النفس .

و على كلّ حال فاننا نقول في هذا التشبيه بأنّ بدن الانسان يشبه
حبة اللوز ، و عالم المثال و الصورة في الانسان كزيت اللوز ، كما ان عالم
نفس الانسان و روحه كجوهر اللوز و عُصارته .

اننا نرى جميعاً بدن الانسان - الذي هو طبعه و ملكه - و نحسّ به ، أمّا
مثاله الذي هو عالم ذهنه فمجرد يمثل عالم ملكوته الأسفل ، كما انّ نفسه
التي هي روحه لها تجرّد أكثر ، فهي تمثّل عالم ملكوته الأعلى . ان روح
الانسان و نفسه الناطقة لا تخضع للتغيّر و التبدّل منذ ولادته الى زمن
رحيله ، بل تبقى معه فتحدّد معالم شخصيته الإنسانية ، بيد أنّها تمتلك
تكاملاً يرتقي بها من مراحل الاستعداد و القابلية الى مرحلة التعيّن
و الفعلية .

إنّ عالم ذهن الانسان و مثاله ، الذي يُدعى أيضاً بعالم البرزخ ،
لا يتغيّر و لا يتبدّل بل يطوي مراحل من مراحل التكامل .

على أنّ بدن الانسان في حال تغيّر و تبدّل دائمٍ ، فهو يفقد كلّ يوم
أجزاء منه و يضيف الى نفسه أجزاء جديدة أخرى ، حيث يقوم الغذاء
بتعويض الأجزاء المنحلة و التالفة من الجسم ، و عليه لذلك ان يصل الى تلك
الأجزاء فيملاً مكان الأجزاء التالفة و يرممها .

و حين ينام الانسان فانه يريح بدنه على الأرض ، لكنّ عالم مثاله

و ذهنه لا يرقد على الأرض ، بل يبقى متيقظاً متحرّكاً يحلّ المسائل الفكرية و يقوم بالعبادة و بالمجادلات و المنازعات ، و بالنكاح ، و يحلّق في السماء و يسبح في البحر و يقوم بألاف الاعمال بصور مختلفة نعتبر عنها بالحلم و الرؤيا .

و هكذا نراه يصبح في بعض الأحلام عصبياً و منزعجاً ينازع و يقاتل و الخوف و الحيرة تملأ كيانه ، كما نراه في بعضها الآخر مستغرقاً في السرور و الانبساط ليتناً مسالماً الى أبعد الحدود .

ثم ينهض من النوم فيختل إليه أنّ بدنه قد قام بتلك الأعمال و أنّه قد حلّق فعلاً بهذا البدن الترابي و نازع و جادل و قاتل و قام بالأسفار الطويلة . فيستفسر من رفيقه و صاحبه الذي كان صاحياً : ما الذي فعلتُ ؟ و أين ذهبتُ ؟ و كم شخصاً قتلْتُ ؟ و ما المباهج التي تمتعتُ بها ؟ فيقول رفيقه في جوابه : لا شيء ، لا شيء مطلقاً ، فقد كان بدنك مطروحاً على الأرض بلا حراك ، و لم يبدر منك أبداً أي حركة و لا كلام .

بلى ، لم يقم بدنه بتلك الأعمال ، و لم يرتجل لسانه اللحمي تلك الخطب ، كما لم تشاهد عيناه الظاهريتان القابعتان في فجوتي رأسه مناظر الحلم العجيبة المدهشة ، و لا سمعت أذناه اللتان قوامها اللحم و العظم تلك الأصوات و ذلك الهدير و الضوضاء .

لقد كانت روحه تتحرك في عالم النوم بيدنه الملكوتي و المثالي ، و كان بدنه المثالي و الصوري يجترح هذه الأعمال ، و لا علاقة في الأمر أبداً بالبدن المادي اللحمي .

و كذلك فإنّ الأعمال التي يقوم بها الانسان حال الصحو و الاستيقاظ إنّما تقوم بها روحه بصورتها الملكوتية تلك ، غاية الأمر أنّ عالم الطبع قوي و عالم المثال ضعيف ، لذا فإنّ الروح لا تقوى على انجاز جميع الاعمال

الأفعال التي يفعلها الإنسان في حال الرؤيا والموت ، يفعلها سده المثالي المجلس الخامس

التي ترغب في انجازها بواسطة البدن ، و تمنع غلبة عالم الطبع الروح من كثير من رغباتها. على أن هذه الروح تقوم بصورتها المثالية حال الصحو والاستيقاظ بالكثير من الأعمال ، فتحرك جسد الانسان و بدنه في متابعتها ، مثل جميع الاعمال التي يقوم بها البدن .

و لكنها أيضاً تقوم بالكثير من الأعمال مستغنية عن البدن ؛ و فقط تقوم بها في هيئتها المثالية ، كما يحصل حين يكون المرء جالساً فيتحرك بقواه الذهنية الى مكة المكرمة ، فيحرم في الميقات ، و يدخل مكة فيطوف و يصلي صلاة الطواف ، ثم يسعى بين الصفا والمروة ، و يقصر و يقوم بأعمال الحج من الاحرام و الوقوف بعرفات و المشعر و الهدي و رمي الجمار و الحلق و باقي المناسك ثم يعود الى حيث كان ، و قد قام بجميع هذه الأعمال بصورته الملكوتية حال الصحو ، و لم يتحرك بدنه خلالها من مكانه أبداً .

و ذلك لأن أفراد الناس يقومون حال اليقظة بصرف اهتمامهم الحقيقي الى بدنهم فلا يستطيعون انجاز جميع اعمال النفس بهذا البدن ، أما في عالم النوم فيصبح الاهتمام و العناية بالبدن أضعف ، فتدرك روح الانسان حقيقتها بصورتها المثالية بدون ملاحظة البدن المادي ، و تقوم بجميع الأعمال التي تشاءها في قالب المثال و الصورة .

في حال الصحو و اليقظة تكون الغلبة للتوجه الى البدن و صرف الاهتمام اليه ، لذا يخال للانسان ان البدن هو حقيقته ، أما في حال النوم فإن الغلبة للاهتمام بالصورة و القالب المثالي ، لذا يتصور الانسان ان حقيقته هي تلك الصورة و البدن المثالي .

و حين تتصورون حال اليقظة انكم تذهبون الى مكة ، بينما تجلسون هنا ، فانكم قد تصورتهم مكة و قيامكم بالمناسك ، أما في عالم النوم فانكم

قد ذهبتم بأنفسكم الى مكة ، و ذلك لأن الصورة المثالية في النوم هي حقيقة الانسان ، و لم يكن الأمر انكم كنتم هنا فتصوّرتم الذهاب الى مكة خارج وجودكم .

و على هذا الأساس فإن الانسان يمكنه القيام بأعمال مهمة في عالم النوم يعجز عنها في عالم اليقظة ، لانه يحاول أن يفعل ذلك حال اليقظة ببدنه المادي فلا تسعفه القدرة على فعل ما يشاء ، اما عند النوم فإنه يُلقِي ببدنه المادي و يفعل أفعاله ببدنه الصوري و المثالي الذي يفوق البدن المادي قدرته آلاف المرات ، فيجتريح الأعاجيب ، و يخلق في السماء ، و يجتاز من المشرق الى المغرب في لحظة واحدة ، و يسبح في المحيط الأطلسي فيعبره ، و يخترق الجدار ، و ينفذ من فتحة صغيرة ضيقة بقدر الاصبع ، و يختم القرآن في لحظة واحدة ، و أمثال هذه الأمور التي يعجز عن فعلها حال الصحو و اليقظة .

كما انّ الانسان يخلع بدنه كلياً عند الموت فيصبح تجرّده آنذاك أقوى و روحه أكثر تحرراً و قدرة ، لذا تصبح أعماله أعجب ، فيصير بإمكانه أن يقوم في لحظة واحدة باكتساب العلم بجميع الجهات من عوالم الطبيعة و كفاءاتها ، و ان يمرّ على جميع أهله و عشيرته فيطلع على أحوالهم ، و أن يقبل جميع الهدايا التي يرسلها اليه أصدقاؤه و أرحامه على هيئة خيرات و مبرّات تظهر بصورة رحمة و نور يمثل غذاءه المعنوي الذي يتمتع به ، كما يمكنه ان يفوز بالعلوم الكليّة الالهية ، و ان يطّلع على حالات نفوس الناس و على اوضاع أهل جهنم و أهل الجنة و كيفية الوقوف و الحساب و الميزان بالنسبة لهم . و نظير هذه الإحاطة العلميّة تحصل لأولياء الله في هذه الدنيا حال حياتهم و يقظتهم ، و كثيراً ما أمكن حصول ذلك لسالكى طريق الله الذين لم يصلوا بعد الى مقام التجرد

المطلق ، و ذلك بصورة الحال في النوم او في اليقظة لا بعنوان ملكة مستديمة .

لقد ذهب أحد رفقاءنا وأصدقائنا ومتمن يمت الينا بالقربة - وكان له حال جيدة - قبل عشرين سنة تقريباً الى مشهد المقدسة لزيارة الأعتاب المباركة لعلتي بن موسى الرضا عليه السلام ، فبقي هناك يومين أو ثلاث و عاد بعدها ، فقص في عودته رؤيا عجيبة رآها هناك .

قال : لم أدخل الحرم عند ورودي بل وقفت بأدب الى جانب باب الحرم فسلمتُ و قلتُ في نفسي : لا ينبغي لي أن أدخل الحرم و أنا الذي لم أعرف الامام و حقّه معرفة حقيقية ، حتّى يقضي الإمام حاجتي فيعرفني بحقه و حقّ ربه . كانت ليلة الجمعة ، و كان الجوّ بارداً جداً فغلبني النوم منتصف الليل في أحد الأروقة الواقعة الى خلف الرأس المبارك قريباً من محلّ حفظ الأحذية ، فرأيت في عالم الرؤيا أنّ الإمام قد جاء فطرق برأس اصبع رجله عليّ عدّة مرّات قائلاً : قُمْ ، قُمْ و اعمل ، فالأمر لا يتمّ بلا عمل . فألقيت بنفسي على قدمي الإمام لثمهما ، فانحنى كالمستحيي و أمسكني من تحت كتفي فلم يدعني أفعل ذلك و قال : ما هذه الأعمال ؟

ثم نهضتُ و ذهبتُ الى صحن «گوهرشاد» فتوضأت و لففت عباءتي على جسدي في أحد ايوانات المسجد و انشغلت بقراءة دعاء كميل ، ثم غلبني النوم وسط الدعاء فرأيت في النوم كأن شخصاً له لحية حمراء بلون الحناء قد جاء قربي فلاطفني كثيراً و قال : أتريد أن نذهب للتجوال معاً ؟ قلت : بلى ، أنا جاهز !

فتحرّكنا سوياً فدار بي حول الكرة الأرضية في تحليق فوق جميع المدن بحيث كنتُ أرى جميع أفراد تلك المدن و أعرف محسنهم من مسيئهم ، ثم عبرنا البحار و المحيطات و ذهبنا لزيارة قبر الرسول الأكرم

و الصديقة الكبرى و أئمة البقيع عليهم الصلوة و السلام ، ثم عزجنا لزيارة النجف الأشرف و كربلاء المشرفة و أئمة الكاظمين و سامراء عليهم السلام .

و كان ذلك الرجل يقرأ لي في كل مشهد متن الزيارة و ينقل لي مطالب عجيبة ، و كان دائماً مشغولاً بالكلام معي اثناء الطريق ، فكننت أسأله كثيراً عن حالات العظماء و الأرحام و عن عاقبة أمرهم فيجيبني على ذلك ، كما كنت أسأله عن حالات الكثير من الموتى من الأجداد و الأرحام و العظماء فيجيب على أسئلتني واحداً تلو الآخر .

ثم أخذني الى السماء فتشرفنا بلقاء الملائكة و أرواح الأنبياء والأولياء ، و تجولنا في الجنة و شاهدنا أنواع النعم فيها ، فكانت أشياء تستحيل على الوصف ، ثم عبرنا في طرفة عين على جهنم و شاهدنا كيفية عذابها الذي لا يوصف .

ثم قال لي بعد هذا السير و التجوال : أتريد الرجوع ؟ قلت : نعم ! فعدنا سوياً و وردنا مسجد « گوهرشاد » فقال لي و هو يريد الإنصراف : لقد استغرق كل هذا التجوال و السير خمس دقائق .

قلت : خمس دقائق فقط ؟ ! قال : لقد قلت خمس دقائق لثلاث يغمرك الفزع ، و آلاً فأنها لم تستغرق خمس دقائق بل حصلت في آن واحد و لحظة واحدة ، فليس هناك من زمان و لا من ساعة و لا من دقيقة !

ثم أنه ودعني في منتهى البشارة و الرحمة و ذهب ، فقلت : أين تذهب ؟ انّ لدي عمل معك . قال : يجب أن أذهب ، و سآتي اليك ان شاء الله كلما استدعى الأمر ذلك .

قلت : لقد أريتني الكثير من العجائب و الغرائب في هذا الزمن القصير و أخذتني الى كثير من نقاط الأرض و العالم العلوي !

قال : لا عجب في الأمر ، ثم ودّع و ذهب .
ثم استيقظتُ و نظرتُ الى ساعتِي فرأيتُ انني أغفيت خمس دقائق ،
و من ثم شرعت بقراءة بقيّة دعاء كميل .

لقد كانت هذه الرؤيا في درجة من الغرابة ، كما ان مطالبتها شيّقة
و طويلة لدرجةٍ لا يمكن معها ذكرها ، و اجمالاً فقد كان هذا الشخص ينقل
رؤياه هذه لنا طيلة ثلاثة أيّام ، فيأتي صباحاً و يقصّ علينا الى قرب الظهر
حيث نذهب الى المسجد ، ثم يأتي بعد الظهر فينقل بقيّته الى قرب الغروب
حيث نستعدّ للذهاب الى المسجد ، و هكذا على هذا المنوال الى ثلاثة أيّام
استغرقها نقل رؤياه . و لقد كان هذا الحلم عجباً لدرجة ان الحقيّر نقله الى
آية الله جمال السالكين و زين الفقهاء و المجتهدين و آية الحقّ و اليقين
الشيخ محمّد جواد الأنصاري الهمداني رضوان الله عليه حين تشرّفت عنده
في تلك الأيّام التي كنت أحضر لديه ، فتعجّب من ذلك و قال : إنّ هذه
الرؤيا لا يوجد لها نظير أو يعزّ نظيرها في هذا العصر ، و يتّضح منها أنّ من
رآها شخص يتمتّع بقابليّة و استعداد فذّ .

عجيب هو عالم الأرواح ، فأين هي الأرواح يا ترى ؟ و ماذا تفعل ؟
و ما هي العلاقات و الارتباطات التي تمتلكها ؟

ما الأمر يا الهي ؟ ! إنّ دودة القزّ تقضي في الشرنقة عدّة أيّام ثم
تخرج على هيئة فراشة ، فنقول أنّها ماتت ثم بُعثت . بيد أنّ الأمر ليس
كذلك . فهذه الحشرة منذ ان دخلت الشرنقة فنامت ، لا تغتذي طعاماً
و لا تريم حراكاً ، فهي كاملاً في قالب و شكل مخلوقٍ ميت ، الّا أنّها مشغولة
في ذاتها و جوهرها بالسير و الترقّي و التكامل ، لها في كلّ لحظة سير
تتخطّى فيه عالماً معيّناً و ترد عالماً جديداً آخر ، حتى تخرج على هيئة
فراشة بأجنحة عجيبة و عيون برّاقة لامعة .

و هكذا حال الانسان ، فالأرواح التي تموت لا تعدم ، بل هي حية بأجمعها ، و ما دامت مع البدن المادي فإن سيرها و تكاملها كان بواسطة ذلك البدن ، ذلك البدن الذي يمنع من السير الخارق للعادة و من الأعمال العجيبة المدهشة ، أما بعد الموت فليس هناك من بدن ، و لا حجاب للزمان و المكان و المادة ، لذا فإن الأرواح القوية تفعل الأعاجيب بمجرد إرادتها . اليوم هو الخامس من شهر رمضان ، و لنا جميعاً الرغبة في تقديم طعام الافطار عند الغروب ، ولو تمكّنا لبسطنا مائدة بين مشرق العالم و مغربه فنندعو اليها جميع المؤمنين و المؤمنات ، بيد اننا عاجزون عن ذلك ، لأننا لا نستطيع ايصال دعوتنا الى جميع الصائمين في العالم ، و لا نمتلك المال الكافي لذلك ، و لا نستطيع الحركة بين المشرق و المغرب ، و ليس لدينا مائدة بهذا الطول .

أما حين يرحل الانسان من الدنيا فيترك حجاب الزمان و المكان و المادة و العلائق ، و يتحرّر من قيود و حدود عالم الطبع و المادة ، فإنه سيتمكّن من فعل إطعام كهذا بكل سهولة و يسر ، بتلك السهولة و اليسر الذي استطعنا به الآن تقديم هذا الإفطار في نيتنا و تصوّرنا .

هذا الأمر و أمور عجيبة أخرى تحصل جميعاً بواسطة تسلّط الروح في عوالم التجرد التي تفعل فيها كلّ ما تشاء بمجرد إرادتها لذلك ، و خاصّة الأرواح الطيّبة الطاهرة التي وصلت الى مقام الاخلاص ، فإنّ الله سبحانه يمنّ عليها بقدرات لا يمكن وصفها .

لقد كان للعلامة الطباطبائي : الحاج السيد محمّد حسين التبريزي ، الأستاذ العظيم القدر الذي يدين القرن العلمي الحاضر لخدماته و أفكاره السامية و لفضله و كماله ، و العالم الجليل الذي استطاع بالهزة العلمية التي أوجدها في الحوزة العلمية ايجاد نهضة علمية فيها ، و الذي قام بتعريف

طلاب العلوم الدينية من خلال تدريس التفسير و الحكمة على حقائق المعارف الالهية ، والذي كان الوحيد الذي وضع الحجر الأساس لحصن مكيين متين و أساس رصين لدحر الكفر و الردّ على الملحدين ، صاحب تفسير الميزان و الكتب النفيسة الأخرى ، و استاذ الحقيير في التفسير و الأخلاق و الفلسفة و الهيئة القديمة ؛ أخ في تبريز اسمه الحاج السيد محمد حسن الهي الطباطبائي ، كان هو الآخر عالماً جليلاً و متقياً زاهداً عابداً و معلماً للأخلاق و المعارف الالهية و مربياً للنفوس الصالحة يسوقها الى مقام الأمن و حرم الأمان الالهي. و قد رحل منذ عدة سنوات و التحق بعالم البقاء و الخلود ، و على اثر شدة العلاقة التي كانت للسيد الاستاذ بأخيه فقد أصيب في عزاءه به بمرض قلبي .

و كان السيد الاستاذ يقول : كان لأخي في تبريز تلميذ يدرسه الفلسفة ، و كان ذلك التلميذ يقوم بإحضار الأرواح ، فاستطاع أخي بواسطة تلميذه ذاك الاتصال بالكثير من الأرواح .

و إجمال ذلك انّ التلميذ كان يرغب في دراسة الفلسفة قبل ان يرتبط بأخي ، فقام لهذا السبب بإحضار روح أرسطو و طلب منه القيام بتدريسه ، فقال أرسطو في جوابه : خُذ كتاب اسفار المولى صدرا و اذهب الى الحاج السيد محمد حسن الهي فادرس !

و هكذا قام هذا التلميذ بشراء كتاب الأسفار و جاء اليه فنقل له قول أرسطو (الذي عاش قبل حوالي ثلاثة آلاف سنة) ، فقال في جوابه : أنا مستعدّ لتدريسك ، و لا مانع لديّ في الأمر .

و هكذا صار التلميذ يأتي نهائياً الى محضر أخي فيدرس لديه . و كان المرحوم يقول : لقد ارتبطنا بواسطة هذا التلميذ بالكثير من الأرواح و طرحنا عليها الأسئلة ، و كان بعضها يتضمن الأسئلة

المستعصية في الحكمة ، و التي كتنا نطرحها على المؤلفين أنفسهم ، فقد كتنا نسأل افلاطون الحكيم - مثلاً - عن المشكلات و المبهمات الموجودة في عباراته ، و نستفسر عن مشكلات الأسفار من المولى صدرا .

و قد اتصلنا بافلاطون مرّة فقال : انّ عليكم أن تعرفوا قدر أنفسكم في انكم تتمكّنون من قول «لا اله إلا الله» على الأرض ، فلقد كانت الوثنيّة و عبادة الأصنام طاغية في زماننا فلم نكن نقدر على التلفّظ بـ «لا اله إلا الله» مرّة واحدة . و كان هذا التلميذ قد أحضر أرواح الكثير من العلماء و سأل منهم أسئلة عجيبة و مستعصية ، بحيث ان ذلك التلميذ لم يسبق له العلم بتلك الأمور أصلاً ، و لم يكن ذلك التلميذ الذي كان يدرس الفلسفة ليفهم او يمتلك قدرة إدراك المسائل الغامضة التي كان يطرحها السيد الهي على لسان تلميذه على معلّمي هذا الفن من الأرواح و يحصل على جوابها ، لكنّ السيد الهي كان يفهم أقوالهم التي يسمعونها على لسان التلميذ .

و كان يقول : لقد أحضرنا أرواح الكثير من العلماء و طرحنا عليها الأسئلة إلا أنّنا لم نستطع حتّى الآن احضار روح نفرين ، أحدهما روح المرحوم السيّد ابن طاوس و الاخرى روح المرحوم السيّد مهدي بحر العلوم رضوان الله عليهما ، و كان هذان الشخصان قد قالوا : نحن وقف خدمة أمير المؤمنين عليه السلام و لا مجال لنا للنزول أبداً .

و كان العلامة الطباطبائي يقول :

و كان من الأمور المحيرة العجيبة حين وصلت إلينا رسالة من أخينا في تبريز كتب فيها أنّ هذا التلميذ قام باحضار روح أبينا و سأله أسئلة فأجاب عنها ، ثم قال ضمن حديثه : انني عاتب عليكم في انكم لم تشركوني في ثواب التفسير الذي كتبتموه .

و كان يقول : لم يكن ذلك التلميذ يعرفني أو يعلم شيئاً

عن تفسيري ، كما ان أخي لم يتكلم عني أمامه بشيء ، و لم يكن لأحد غير الله و غيري علم بأنني لم أشرك أبي في ثواب التفسير ، حتى ان أخي لم يكن ليعلم بذلك ، فقد كان ذلك من الأمور المرتبطة بقنبي و نيتي .

و لم تكن مسألة عدم إشراكي لأبي في ثواب التفسير عائدة الى شحني أو بخلي بذلك ، بل لترددي في مدى قيمة الأعمال التي أفعليها حتى أسهم أبي فيها ، فلم اكن لأرى في نفسي القابلية و اللياقة في الخدمة (و للعلم فان تفسير الميزان تفسير لم يسبق له نظير من صدر الاسلام حتى الآن من جهة ترابط الآيات و البيانات القرآنية ، و قد قلت يوماً في محضره : ان القلم قد استرسل في بعض مواضع هذا التفسير فربط الآيات ببعضها بحيث لا يمكن إلا أن نقول ان التأييدات الالهية و الإلهامات السبحانية قد أجرت ذلك آنذاك على فكرهم و لسانهم و قلمهم ، و لا محمل للأمر على شيء آخر ، و اذا ما جرى تدريس هذا التفسير في الحوزات العلمية و ربيت به الأفكار ، فستتضح قيمة هذا التفسير بعد مائتي سنة .

لاحظوا مدى تواضع و جلاله هذا الرجل الذي كتب تفسيراً بهذه الكيفية فصار يعد في زمن حياته جزءاً من أصول معارف الشيعة لا يستغني عنه العلماء و الكبار في جميع الدنيا ، حين يقول : فما الذي عملنا يا ترى ؟ و أي عمل مهم أنجزناه حتى الآن ؟

و كان يقول : وصلت رسالة أخي بيدي ، فانفعلت كثيراً و غمرني الخجل ، فقلت : يا الهي ! ان كان تفسيره مقبولاً لديك و مستحقاً للثواب فاني أهدي ثوابه الى روح أبي و أمي .

و لم أكن قد أرسلت الى تبريز بعد جواب رسالة أخي لأعلمه بهذا الأمر ، حين وصلت بعد أيام رسالة من أخي يقول فيها : لقد تحدثنا مع أبي فكان سعيداً و قال : أطال الله عمره و أيده ، فلقد أرسل السيد

محمد حسين هديتنا .

ولا يخفى أننا نقلنا قصة احضار الأرواح بنية الاستشهاد بها فقط في أمر تجرد النفس و بقاء الروح بعد خلع المادة و البدن العنصري ، لا بقصد تأييد جواز هذا العمل ، بالرغم من أنه لا تردّد هناك في صحة هذا العمل و في امكان الارتباط و التكلم مع الأرواح مجملاً ، لكن هذا المعنى لا يُنافي عدم التجويز الشرعي لجهات معينة عند الشارع المقدّس ، كما هو الأمر في علم الموسيقى الذي يعدّ من فروع العلوم الرياضيّة ولا شكّ ولا تردّد في صحته و آثاره الواقعيّة المترتبة عليه ، كإدخال الغم أو الفرح أو الإضحاك أو الإبكاء ، و التسبب بخفة النفس أو ثقلها ، و أحياناً الخلع و اللبس ؛ لكن الشارع المقدّس قد حرّمه للمفاسد التي تترتب على هذا العلم الصحيح ، و كمثل علم السحر و الارتباط مع الجنّ و تسخير نفوس الشمس و القمر و الزهرة و عطارده و سائر الكواكب التي حرّمها الشارع و سدّ باب الإفادة من هذه الطرق للمفاسد المتضمّنة فيها ، و مع وجود واقعيتها و حقيقتها المشهودة إجمالاً من آثارها .

فهكذا الأمر في علم إحضار الأرواح الذي هو شعبة من الكهانة ، والذي مُنع و حرّم في الشرع الأنور ، و كان الاستاذ العلامة الطباطبائي مدّ ظله يؤمن بهذا الرأي و يسير وفقه .

و قد حصل يوماً حين كان الحقير يشغل بالتحصيل في النجف الأشرف أن ذهبت لزيارة اهل القبور في وادي السلام ، و كان ذلك عصر يوم الخميس فكنت أتجوّل بين القبور حين التقيت بالمرحوم آية الله الحاج الشيخ آقا بزرگ الطهراني ، و هو من العلماء البارزين و من الزهاد و العابدين و المتخصّصين في فنّ الحديث و الرجال ، و كان استاذاً للحقير في هذين الفئتين ، كما أنّه صاحب كتاب «الذريعة الى تصانيف الشيعة» ،

وكتاب «أعلام الشيعة» التي تعدّ من نفائس الكتب المدوّنة في العصر الحاضر. وقد عاش ذلك المرحوم ما يزيد على مائة سنة، حيث ينقضي على رحلته عدّة سنوات، وله مع الحقيّر علاقة سببّيّة^١ كما أنّه من مشايخ الحقيّر في الإجازة، وكان رجلاً متواضعاً لئّن العريكة كثير المعونة قليل المؤونة سليماً جليلاً، وكانت له مع أبي علاقات ممتدة، وقد أدرك محضر جدّي المرحوم السيد ابراهيم الطهراني حيث ينقل عنه حكايات عديدة، و كان يظهر محبته لي وكنت أتردّد على منزله مرّة كل اسبوع أو كل اسبوعين فأفيد منه كثيراً.

التقيت بسماحته في وادي السلام فسلمت عليه، وكنا نقرأ الفاتحة ونسير حتّى وصلنا الى موضع مسطح مربّع الشكل مبني بالطابوق وقد نُصبت عليه قطع رخام تشير الى القبور داخله، فقال: تعال لنقرأ الفاتحة هنا، فهذا قبر أبي وأمي وخالي والبعض الآخر من أرحامي. فجلسنا وقرأنا الفاتحة لكلّ منهم، ثم نقل رواية حاصلها أنّ من يذهب عصر يوم الخميس عند قبر أمّه وأبيه فيستغفر لهما فإنّ الله عزّ وجل يفيض على قلبيهما أطباقاً من نور ويُدخل السرور عليهما ويقضي حاجات هذا الشخص، فإنّ أرحام الانسان ينتظرون هديّة تُرسل اليهم عصر يوم الخميس، لذا تراني أترقب طوال الاسبوع مجيئ عصر يوم الخميس كي آتي هنا فأقرأ الفاتحة لهم. ثم نهضنا و سرنا فقال أثناء الطريق:

كنتُ صبيّاً صغيراً وكان منزلنا في طهران في منطقة «پامنا»، وكانت أيتام قلائل قد انقضت على وفاة جدّتي (أم أبي)، وكانت مجالس

١- الشيخ هو أب زوجة ابن خالي، وذلك لأنّ اقا الميرزا محمد الطهراني صاحب كتاب مستدرک البحار رحمة الله عليه هو خال أبي، وكان ولده الميرزا مهدي شريف عسكري الطهراني قد تزوّج بابنة المرحوم الشيخ آقا بزرگ.

الترحيم قد عُقدت لأجلها ثم اختتمت .

و حصل يوماً أن كانت والدتي قد أعدت طبيخ الكرز الأحمر (آلبالو بلو) في المنزل ، فمرّ سائل في الزقاق يسأل شيئاً ، وكانت والدتي تعمل في المطبخ حين طرق سمعها صوت السائل ، فأرادت إعطائه شيئاً من الطعام و اهداء ثواب ذلك الى روح جدّتي (أم زوجها) التي رحلت حديثاً ، بيد أنه لم يكن هناك إناء نظيف في متناول يدها لتضع فيه الطعام ، وكانت في عجلة من أمرها تخشى أن يمرّ السائل على باب المنزل و ينصرف ، فصبت مقداراً من ذلك الطبيخ في آنية الحمام التي كانت في متناول يدها و قدّمته الى السائل ، و لم يكن لأحد علم بهذا الأمر. و في منتصف الليل من ذلك اليوم استيقظ والذي من نومه فأيقظ والدتي و سألهما : ماذا فعلتِ اليوم ؟ أجابت والدتي : لا أعلم .

قال : رأيت الآن والدتي في عالم الرؤيا فقالت : انني عاتبة على زوجة ولدي ، فقد أراقت اليوم ماء وجهي أمام الموتى ، لأنها أرسلت طعامي في آنية الحمام ، فما الذي فعلته ؟

قالت أُمّي : فكّرتُ مليّاً فلم يخطر على ذهني شيء ، ثمّ تذكّرت فجأة انني أعطيت السائل هذا الطعام بقصد اهداء ثوابه الى روح المتوفّاة حديثاً فكان طعام تلك المرحومة في ذلك العالم. و لأنّه قد قدّم على هيئة غير مستحسنة الى السائل ، فقد أخذ على تلك الهيئة في عالم الملكوت الى والدّة زوجي فعتبت عليّ .

لقد اشتكت المتوفّاة لأنّ طعامها الذي كان في صورته الملكية على هيئة طبيخ الكرز الأحمر المقدم الى السائل ، و في صورته الملكوتية على هيئة طبق من النور قدّم إليها و قد صبت في آنية الحمام ، فكانت إهانة السائل إهانة الى روح المتوفى .

إنَّ أيَّ احسان يريد الإنسان فعله ينبغي ان يقوم به مع غاية الاحترام والتجليل للسائل والفقير ومع رعاية توقير الفقير وإكرامه .
كما أنَّ أي عمل يفعله الانسان في سعة و عن اختيار بحيث يمكن ان يكون ذلك العمل نافعا له ينبغي ان يفعله في حياته ، اما اذا قضي الأمر فلم يعد يسعه فعل شيء فانه سيفقد القدرة على أن يبذل اثناء طعامه الملكوتي من آنية الحمام فيتناوله في اثناء بللوري .

هذه الأحلام هي جميعاً دروس للعظة والاعتبار ، و يسعى هذا الحقيقر كي تكون الحكايات و المشاهدات في النوم او اليقظة التي انقلها في هذه المجالس من درس المعاد منقولة عن أشخاص ثقة أجلاء أدركت محضرهم و سمعتها منهم شفاهاً ، و ان تكون مطالب و أمور وقعت في زمننا هذا ، لا مطالب منقولة عن كتب و مؤلفات كبار المؤلفين السابقين و التي تبدلت لطول المدة و مرور الزمن من المعايينة الى الخبر ، و من المشاهدة و الأثر الى القول و الكلام ، و من المسلم ان تأثير آثار حية فعلية كهذه سيكون أعمق و أشد في النفس ، و أفضل في ترغيب الغافلين للاستعداد للموت و لاصلاح العمل .

يروى محمد بن ادريس الحلبي في مستطرفات كتاب السرائر عن كتاب أبي القاسم بن قولويه رحمه الله عن الامام الصادق عليه السلام انه قال : بلغ أمير المؤمنين عليه السلام موت رجلٍ من أصحابه ، ثم جاء خبر آخر انه لم يموت ، فكتب اليه : بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد فانه قد كان أتاناً خبيراً ارتاع له إخوانك ، ثم جاء تكذيب الخبر الأول فأنعم ذلك سرورنا . و ان السرور يوشك [على] الانقطاع يبلغه عما قليل تصديق الخبر الأول . فهل أنت كائن كرجل قد ذاق الموت و عاين ما بعده يسأل الرجعة فأُسعف بطلبته ، فهو متأهب دائب ينقل بأسره من ماله الى دار قراره

لا يرى أنّ له مالا غيره ، و اعلم أنّ الليل و النهار لم يزالا دائبين في قصر الأعمال و إنفاذ الأموال و طي الآجال .

هيهات هيهات قد صباحا عاداً و ثموداً و قرونأً بين ذلك كثيراً ، فأصبحوا لا يلبسها قد أمرا به مستعدان لمن بقي بمثل ما أصابا فيه من مضى . و اعلم أنّما أنت نظير إخوانك و أشباهك مثلك كمثل الجسد قد نزعته قوته فلم يبق إلا حشاشة نفسه ينتظر الداعي . فعوذ بالله ممّا نعظ به ثم نقصر عنه^١ .

و من كلام لأمير المؤمنين عليه السلام :

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمْ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ ، تَخَفُّوْا تَلَحُّوْا ، فَإِنَّمَا يَنْتَظِرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ^٢ .

وكما يحدو سائقو الظعن بالجمال في الطرق البعيدة و الصحارى الالهبة كي تطوي هذه المسافات و لا تحس بطول الطريق حتى يصلون بها أخيراً الى مقصدها و يحطون برحالها على الأرض ؛ فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام يشبه الأجل بحذاء الحادي الذي يحدو بالانسان من خلفه دوماً ليوصله الى هذا المنزل .

تَخَفُّوْا تَلَحُّوْا ، يقول : أنّ أرواح الأتبياء و الأئمة و الأولياء و المنزهين قد رحلت جميعاً فاختارت منازلها في الجنة ، و لقد استقرت أرواح المخلصين و المقرّبين في مقصدها ، و وصلت القافلة الى منزلها . فيا عباد الله ، ما تعلّلكم ؟ أنّ ثقل الأوزار و العلائق المادية و الشهوات المتكاثرة قد انقضت ظهوركم و أخرّكم عن السير و أضجركم و تقاعد بكم

١- كتاب السرائر ، الطبعة الحجرية ، باب المستطرفات ، ص ٢٠ من هذا الباب .

٢- الخطبة ٢١ من نهج البلاغة ج ١ ، ص ٥٨ ، شرح محمد عبده ط مصر .

خطبة أمير المؤمنين (ع) في شأن الموت ؛ ومعنى «إِنَّ زُرَّاءَكُمْ الشَّاعَةَ تَخْذُوكُمْ» المجلس الخامس

عن الحركة .

فتخفّفوا منها و ألقوها ! اقطعوا أساس العلائق و جذورها ! تخفّفوا
لتلحقوا بقافلتكم قافلة الرحمة و لقاء الله و لا تتخلفوا عنها .
فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ ؛ يقول : إنّ القيامة لن تقوم ، و البعث
و الحشر لن يحصل ما لم يلحق المتأخرون بالمتقدمين ، و انكم أنما عجزتم
عن اللحاق بأرواح المنزهين و المخلصين بسبب أوزاركم
و قبائحكم ، فهم يترقبون قدومكم و ينتظرونكم ، فاسعوا في اللحاق بقافلة
الطيبين و الطاهرين بأعمالكم الحسنة و أخلاقكم الحميدة ، و ملكاتكم
الفاضلة و عقائدكم السليمة ، و أنهوا انتظار اولئكم و ترقّبهم لكم ، و لو
افترض انكم عمّرتكم في الدنيا طويلاً فإنّ عمركم هذا إن اقترن بسلامة قلبكم
و طويّتكم و بحسن أخلاقكم و معاملتكم في حياتكم ، فإنّ أرواحكم
ستعلّق بالعالم العلوي و الملاء الأعلى ، و ستصل الى مقام الطهارة و القرب ،
و تلتحق بأرواح المخلصين و المنزهين .

يقول السيد الرضوي رحمه الله عليه جامع نهج البلاغة في ذيل
هذه الخطبة :

أقول : إنّ هذا الكلام لو وُزن بعد كلام الله سبحانه و بعد كلام رسول
الله صلى الله عليه و آله و سلم بكلّ كلام لمال عليه راجحاً و برّز عليه
سابقاً . فأما قوله عليه السلام «تَخَفَّفُوا تَلَحُّقُوا» فما سُمع كلام أقلّ منه
مسموعاً و لا أكثر محصولاً . و ما أبعد غورها من كلمة و أنقع نطفتها
من كلمة^١ !

ما أكثر ذكر أمير المؤمنين عليه السلام للموت ، و ما أكثر ما كان

١- شرح نهج البلاغة محمد عبدة ، ط مصر ، ص ٥٩ .

يلفت اليه أصحابه ، و يرتجل الخطب بشأنه في الملاء العام ، يقول السيد الرضي رحمة الله عليه : و من كلام له عليه السلام كان كثيراً ما ينادي به أصحابه^١ :

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ ، وَ أَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَ انْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَوْوداً ، وَ مَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً ، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا ، وَ الْوُقُوفِ عِنْدَهَا . وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةً ، وَ كَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَ قَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ وَ قَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْطِعَاتُ الْأُمُورِ ، وَ مُعْضِلَاتُ الْمَحْذُورِ . فَفَطِّمُوا عِلَاقَتِ الدُّنْيَا ، وَ اسْتَظْهَرُوا بِزَادِ التَّقْوَى^٢ .

و يقول ابن حجر الهيثمي المكي في (الصواعق المحرقة) :
وَ سُئِلَ عَلِيُّ وَ هُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ بِالْكُوفَةِ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)^٣ ،

فَقَالَ : اللَّهُمَّ غَفِراً ، هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيَّ وَ فِي عَمِّي حَمْزَةَ وَ فِي ابْنِ عَمِّي عُيَيْدَةَ بْنِ الْحَرْثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَأَمَّا عُيَيْدَةُ فَقَضَى نَحْبَهُ شَهِيداً يَوْمَ بَدْرٍ ، وَ حَمْزَةَ قَضَى نَحْبَهُ شَهِيداً يَوْمَ أُحُدٍ ، وَ أَمَّا أَنَا فَانْتَظِرُ أَشَقَّاهَا يَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ - وَ أَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَتِهِ وَ رَأْسِهِ - عَهْدٌ عَهْدُهُ إِلَيَّ حَبِيبِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَ آلِهِ] وَ سَلَّمَ^٤ .

١- المصدر السابق ص ٤١٨ . ٣- الآية ٢٣ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

٢- المصدر السابق ص ٤١٨ ، الخطبة ٢٠٢ . ٤- الصواعق ص ٨٠ .

الْمَجْلِسُ السَّادِسُ

فِي أَنْ فَعَلَ مَا لَكُمْ قَبْضُ الْأَرْوَاحِ وَمَلَكِ
الْمَوْتِ هُوَ عَيْنُ فَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

أُقيمت هذه المطالب في اليوم السادس من شهر رمضان المبارك

والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
و صلى الله على محمد وءاله الطاهرين
و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ^١
ينسب الله جلّ و عزّ في هذه الآية المباركة قبض أرواح الناس
الى عزرائيل ملك الموت ، كما ينسب ذلك الى نفسه مباشرة في الآية
الشريفة التي جرى البحث في شأنها مفصلاً في المجلس السابق .

في نسبة قبض الروح الى الله و الى ملك الموت و للملائكة :

اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا^٢.

كما انه ينسب قبض الروح في آية اخرى لا الى ملك خاص معين ،
بل الى الملائكة :

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ

١- الآية ١١ ، من السورة ٣٢: السجدة .

٢- الآية ٤٢ من السورة ٣٩: الزمر .

أَلَمْوَتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفْرَطُونَ^١.

ويقول في آية رابعة بنسبة السلام و التحية الى الملائكة الذين يقومون بقبض أرواح الطيبين و المخلصين :

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ^٢.

و يذكر في آية اخرى في نفس السورة ان الظالمين و الجائرين يعمدون الى المسالمة مع الملائكة حين يأتون لقبض أرواحهم ، كما يعمدون الى إنكار أعمالهم و قبائحهم التي ارتكبوها ، و لكن بلا جدوى :

الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ^٣.

و بعد أن تُجيبهم الملائكة بهذا الخطاب ، يخاطبونهم من جديد قائلين :

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ ثَمَوًى الْمُتَكَبِّرِينَ^٤.

و كما يُلاحظ في هذه الآيات فإن قبض الروح قد نُسب في بعض هذه الآيات الى الله سبحانه ، و في بعض الى ملك الموت ، كما نسب في البعض الآخر الى الملائكة الذين يقبضون بطريقة معينة أرواح الطيبين و المخلصين ، و يقبضون بطريقة أخرى أرواح الظالمين و الجائرين.

فما الذي يفيد الجمع بين هذه الآيات ؟ إن كان الله يقوم بنفسه بقبض الروح فما الذي يفعله عزرائيل و سائر الملائكة ؟ و إن كان ذلك من فعل عزرائيل لوحده فما هو عمل باقي الملائكة ؟ و ما معنى نسبة هذا الفعل الى الذات المقدسة للرب جلّ و عزّ ؟ و اذا كان ذلك من فعل الملائكة ، فما

١- الآية ٦١ من السورة ٦: الأنعام.

٣- الآية ٢٨ من السورة ١٦: النحل.

٢- الآية ٣٢ من السورة ١٦: النحل.

٤- الآية ٢٩ ، من السورة ١٦: النحل.

هو عمل ملك الموت؟ وما الذي تعنيه نسبة قبض الروح الى الله هنا أيضاً؟
تلك مسألة ينبغي إلقاء الضوء عليها، وذلك لأنه علاوة على عدم
وجود تناقض في القرآن الكريم، فإن هذه الآيات تبين أصلاً مهماً من
أصول التوحيد المتقنة.

فعل ملك الموت و ملائكة قبض الأرواح هو عين فعل الله تعالى:

ولإيضاح هذا المعنى نقول: إن الدين الإسلامي المقدس قائم
على أساس التوحيد، التوحيد في الذات، التوحيد في الصفات، و التوحيد
في الأفعال؛ فالتوحيد في الذات يعني أن ليس هناك في جميع عوالم
الوجود الآ وجوداً مستقلاً واحداً قائماً بالذات، وذلك الوجود يعود للذات
المقدسة لمفيض الوجود و واهبه جلّ و علا، أما باقي الموجودات فليس
وجودها الآ وجود ظلي و تبعي و معلول و ناقص و ممكن.

أما التوحيد في الصفات فإنه يعني أن ليس هناك في جميع عوالم
الوجود الآ علم مطلق واحد و حياة مطلقة واحدة و قدرة مطلقة واحدة؛ و
كذلك الأمر في سائر الصفات، و إن هذه الصفات مختصة بالذات المقدسة
للحي القديم العالم القدير، كما أن الصفات التي تشاهد في باقي الموجودات
من العلم و القدرة و الحياة هي جميعها من إشعاع علم و قدرة و حياة واجب
الوجود، و ليست مستقلة بنفسها، بل أن نسبتها الى الصفات الالهية كنسبة
الظل الى الشاخص، و في حكم الإشعاع المضيء من مصدر النور و القدرة و
العلم و الحياة.

و كذلك الأمر في التوحيد في الأفعال الذي يعني أن ليس هناك في
جميع عوالم الوجود إلا فعل واحد مستقل قائم بالذات، و أن جميع الأفعال
التي تصدر من الموجودات الممكنة هي جميعاً إشعاع ذلك الفعل المستقل
بالذات، القائم بوجود واجب الوجود. كما أن تلك الأفعال في نفس الوقت

الذي تمتك النسبة الى الممكنات ، فانها تمتك أيضاً النسبة الى الخالق جلّ وعز. اي أنّ الفعل الذي يصدر من الموجودات هو ظهور و طلوع من فعل الرب عزّ وجل ، فذلك العمل متعلّق حقيقة بالله سبحانه ، فهو يظهر و يطلع في ذلك الموجود بأمر الله و إذنه ، و على هذا الأساس فإنّ الظهور يجد النسبة أيضاً الى ذلك الموجود.

و لذلك فإنّ الفعل الذي يقع من موجود معين ، و الذي ينسب الى ذلك الموجود ، هو في حقيقة الأمر و واقعه منسوب الى الله سبحانه ، غاية الأمر أنّ هاتين النسبتين ليستا في عرض بعضهما ، بل هما في طول بعضهما. و ذلك لأنّ أياً من الله تعالى و ذلك الموجود لم ينجز ذلك الفعل بصورة مستقلة ، كما أنّهما لم يشتركا في فعله سوياً ، بل إنّ ذلك الفعل قد صدر و ظهر أولاً و بالذات من مصدر الفعل و الوجود ، و هو الذات المقدسة لله تعالى ، ثمّ ظهر و نشأ في هذا المورد ثانياً و بالعرض.

و قد قال الحكيم السبزواري في هذا الشأن :

فَالْكُلُّ بِالذَّاتِ لَهُ دِلَالَةٌ

حَاكِيةٌ جَمَالُهُ جَلَالُهُ

وَكُلُّ جُزْئِيٍّ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَضِعٌ

وَضِعاً إِلَهِيّاً لِمَعْنَى مَا صُنِعَ

إِذْ عَرَضُ الدَّلَالَةِ الْعَرَضِيَّةُ

تَرْوُلُ لَا الدَّائِيَّةُ الطُّوْلِيَّةُ^١

يقول : إنّ جميع الموجودات هي ذاتاً آيات و مرايا لذات الحقّ ، دالّةٌ على وجوده و حاكية عن جماله و جلاله ، و إنّ كلّ واحد من الموجودات و الأسماء الجزئية له دلالة على ذاته بالوضع الالهي و الواقعي ،

١- المنظومة السبزواريّة ، غرر في تكلمه تعالى ، ط ناصري ، ص ١٧٧ و ١٧٨.

لا بالدلالة الوضعية و التصنعية ، و سبب ذلك أنّ الدلالة إنّ كانت عرضية فإنّها ستفنى خلافاً للدلالة الطولية الناشئة من العلة و المعلولية و الموجودة بالذات الموجودة في حاق وجوده.

و لذا ينبغي القول بأنّ ملك الموت الذي يمثل مرآة للدلالة على الذات المقدسة للربّ الودود ، و سائر ملائكة قبض الأرواح الذين يمثلون مرآة لملك الموت ، لهم الاتحاد جميعاً مع الذات المقدسة للباري تعالى شأنه العزيز ، أي أنّ لهم العينية معها ، و ليس هناك انفصال و بينونة يمكن تصوّرها بينهم و بينها في مقام الفعل.

إنّ فعل قبض الأرواح ينشأ و يظهر من الذات المقدسة للخالق عزّ و جلّ ، ثمّ يظهر في الوهلة الاولى في مرآة وجود ملك الموت ، ثمّ يطلع و يظهر منه الى الملائكة الآخرين حسب اختلاف درجاتهم و مراتبهم حتّى يصل أخيراً الى مجموعة الملائكة الذين هم أخفّ منهم في جميع الدرجات و سعة الوجود. و لأنّ هذه الأفعال تقع طولياً لا عرضياً بالنسبة الى أحدها الآخر ، فإنّها جميعاً في الحقيقة فعل واحد ، لذا فإنّ ذات الخالق المقدسة مستقلة في فعل قبض الأرواح و لا يمكن أبداً افتراض مساعد أو معين في هذا العمل بالرغم من أنّ هذا الفعل يحصل على يد ملك الموت و على يد سائر الملائكة التابعين له.

و بناءً على هذا الأساس العام ، يُشاهد أنّ القرآن الكريم حين يبحث في موضوعات كمثال موت الموجودات و حياتها و رزقها ، و مثل الحوادث السماوية و الأرضية ، فإنّه ينسبها بوضوح الى عللها السفلية أو العلوية في نفس الوقت الذي ينسبها فيه الى ذات الخالق المقدسة التي يعدّها وحيدة متفرّدة في هذه الأفعال لا شريك لها^١.

١- لمزيد من الاطلاع يمكن الرجوع الى تفسير الميزان طبعة الآخوندی ، المجلّد ٥

فنراه في مسألة الخلقة مثلاً ينسب الى الانسان كثيراً من أفعاله في عين الحال التي ينسبها الى ذات الله المقدسة :

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ^١.

و يقول في آية أخرى :

ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ^٢.

و في آية ثالثة :

قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ^٣.

وكذلك فإن الآية ٦٢، من السورة ٣٩: الزمر، والآية ٦٢، من السورة ٤٠: غافر، والآية ٢٤، من السورة ٥٩: الحشر، لها دلالة مشابهة على ما ذكر .

وهكذا الأمر في موضوع الملكية و الملكية ؛ فمع أنه ينسب ملك جميع الموجودات و ملكها بشكل خالص محض الى الله سبحانه ، كمثل قوله : وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ^٤.

و الكثير من الآيات القرآنية التي استعمل فيها تعبير وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ؛ لكنه في نفس الوقت ينسب الملك و الملك مرة الى آل ابراهيم :

فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا

١-الاول، ص ٧٢ تحت عنوان «تصديق القرآن لقانون العلية العامة»، و ص ٤٠٦ من نفس المجلد تحت عنوان «كلام في استناد مصنوعات الإنسان الى الله سبحانه».

١- الآية ٩٦، من السورة ٣٧: الصافات.

٢- الآية ١٠٢، من السورة ٦: الأنعام.

٣- الآية ١٦، من السورة ١٣: الرعد.

٤- الآية ١٢٠، من السورة ٥: المائدة.

عَظِيماً^١

وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَعَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ^٢
وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^٣
وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ^٤.

و من هذا القبيل الآيات التي نبحث عنها ، و التي نسب فيها قبض الروح الى الله سبحانه و نسبها أيضاً الى ملك الموت و سائر ملائكة قبض الأرواح ، تماماً كمثل الشمس التي تنعكس متألئة في مرآة كبيرة ، ثم تشع من تلك المرآة الى مرايا صغيرة كثيرة ، حيث انّ النور و الاشعاع مختص أولاً و بالذات بالشمس ، ثم ينتسب ثانياً و بالعرض الى هذه المرايا .
انّ الإرادة الأزلية للحق تعالى تظهر في ملك الموت ، ثم تظهر منه في كلّ واحد من ملائكة قبض الأرواح حسب اختلافهم في قبض روح المؤمن و الكافر و المنافق و العادل و الفاسق ، و الذين يختلفون في أشكالهم و صورهم .

فهذه الظهورات تقع في طول بعضها ، و لا تجتمع في عرض بعضها فتقبض الروح مستقلة أو مجتمعة . كما انّ ملك الموت يمثل مظهر اسم القابض او المّيت ، بينما يمثل الملائكة الآخرون المظاهر الجزئية لهذا الاسم .

ينقل الشيخ الطبرسي (ره) رواية مفصلة في كتاب (الاحتجاج) عن

١- الآية ٥٤ ، من السورة ٤ : النساء .

٢- الآية ٢٠ ، من السورة ٢٨ : ص .

٣- الآية ٣ ، ٢٤ ، ٢٥ و ٣٦ ، من السورة ٤ : النساء . و الآية ٧١ ، من السورة ١٦ : النحل .

و الآية ٦ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون ، و ... و ...

٤- الآية ٥٠ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

معركة المعاد (١)

فعل ملائكة قبض الأرواح و ملك الموت عين فعل الله سبحانه

زنديق جاء الى أمير المؤمنين عليه السلام و قدّم مجموعة من الإشكالات و من جملتها أنّ هناك في القرآن الكريم اخباراً و أموراً يناقض بعضها بعضاً ، فإن أجبتني عليها دخلتُ في دينكم .

و كان من جملة اعتراضاته ادّعاؤه وجود تناقض في آيات توفي الأرواح و قبضها و فاعلها .

يقول : أجد الله يقول : قُلْ يَتَوَفَّيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ^١ . و في موضع آخر يقول : اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا^٢ .
الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ^٣ ، و ما أشبه ذلك فنسب قبض الروح الى نفسه في بعضها ، و الى ملك الموت في بعض ، و الى الملائكة في البعض الآخر^٤ .

فأجابه الإمام : فأما قوله : اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا و قوله يَتَوَفَّيْكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ ، (و تَوَفَّيْتُهُ رُسُلَنَا) ، (و الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ؛ فهو تبارك و تعالى أجلّ و أعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه ، و فعل رسله و ملائكته فعله ، لأنّهم بأمره يعملون ، فاصطفى جلّ ذكره من الملائكة رسلاً و سفرةً بينه و بين خلقه ، و هم الذين قال الله فيهم :
اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا و مِنَ النَّاسِ^٥ .

فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة ، و من كان من أهل المعصية تولّت قبض روحه ملائكة النقمة ، و لملك الموت

١- الآية ١١ ، من السورة ٣٢: السجدة .

٢- الآية ٤٢ ، من السورة ٣٩: الزمر .

٣- الآية ٣٢ ، من السورة ١٦: النحل .

٤- «الاحتجاج» ، طبع النجف ، مطبعة النعمان س ٣٨٦ ، المجلّد الأوّل ، ص ٣٦٤ .

٥- الآية ٧٥ ، من السورة ٢٢: الحجّ .

أعوان من ملائكة الرحمة و النعمة ، يصدرون عن أمره ، و فعلهم فعله ، و كل ما يأتون منسوب اليه . و على هذا كان فعلهم فعل ملك الموت ، و فعل ملك الموت فعل الله ، لأنه يتوقى الأنفس على يد من يشاء و يعطي و يمنع و يُثيب و يُعاقب على يد من يشاء ، و ان فعل أمثاله فعله : و مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ^١.

كيفية قبض ملك الموت لأرواح كثيرة في لحظة واحدة:

و علينا أن نرى الآن كيفية قبض الروح ، و كيف يتمكن ملك الموت من قبض أرواح أفراد كثيرين في نفس الوقت ، مع ان بعضهم يقع في المشرق و البعض الآخر في المغرب فقد يفرق جمع كثير في البحر و يموتون في لحظة واحدة ، و قد ينهار جبل عليهم أو يسبحون في الأرض عند حدوث زلزلة ، او يموتون برياح ساقطة تهب عليهم ، أو بصاعقة من السماء ؛ فكيف - يا ترى - يخطف ملك الموت أرواح هذه النفوس جميعاً مع إمكان تجاوزها للآلاف أو الملايين أحياناً؟ الإجابة على ذلك ، أولاً .
اننا نشاهد في الأمور المادية ان هناك إمكاناً لصدور أفعال مختلفة من مبدأ و مصدر واحد ، بدون أدنى تغيير أو تفاوت في زمن وقوعها .

فالشمس التي تتحرك في السماء مثلاً لها حركة واحدة و نور واحد ، لكنّها و هي ترسل الى الأرض نوراً واحداً ، تضيء في نفس الوقت آلاف البيوت و الأوكار و الشوارع و المحلات و القرى و المدن ، كما تضيء الصحارى و الجبال و البحار . فهذه الإضاءة التي حصلت في كل واحد من هذه البيوت و الأعشاش و الأوكار تختلف عن تلك الحاصلة في البيت

١- الآية ٣٠ ، من السورة ٧٦: الدهر؛ و الآية ٢٩ ، من السورة ٨١: التكوين.

و العنّ الآخر، و تتميز عنها بحدود و مواصفات خاصّة، فالنور الذي حصل في هذا البيت هو غير النور الذي حصل في البيت الآخر، لأنّه يمثل حصّة خاصّة من شعاع الشمس بينما يمثل الآخر حصّة خاصّة أخرى، في حين أنّ الشمس كانت واحدة في كلّ الأحوال، كما أنّ الأشعة التي ترسلها إلى الأرض واحدة.

و توضح لنا قصّة الأمواج الكهربائية و الضوئية هذه المسألة بشكل واضح و جليّ، فالمرسلة التي تقع في إحدى زوايا العالم تُرسل بحركتها الكهربائية النور و الصوت و تنشره في العالم، فيمكن لجميع الأفراد على سطح الأرض على اختلاف تواجدهم، سواءً في الجوّ أو الصحراء أو على قمم الجبال، سماع ذلك الصوت بجهاز خاص يدعى بجهاز الاستقبال، كما يمكنهم مشاهدة تلك الصورة التي ولدت على هيئة أمواج اثر الحركة الكهربائية في الهواء، و ذلك عند تمرّكها في جهاز الاستقبال ذلك.

ولقد كان المتكلّم واحداً و كان فعله واحداً و خطبته و كلامه واحداً، و كان يقرأ القرآن الكريم، لكنّ الملايين من نفوس البشر كانوا يستفيدون من ذلك. أي أنّ من الممكن أن يطلع ذلك الفعل الواحد و يظهر - مع الاحتفاظ بوحده و تفرّده - في مئات الملايين من الممرّات و السبل فيجعل الجميع يفيدون منه و يتمتّعون به.

و هكذا الأمر في محطة الطاقة الكهربائية التي ترسل طاقة كهربائية واحدة عبر سلك مفتول واحد إلى المدينة، ثمّ تنشعب هذه الطاقة عبر أجهزة تبديل تدعى بالمحوّلات تبدّل الطاقة العالية القويّة إلى طاقة أضعف، ثمّ تمرّ بمحوّلات أضعف تقع في طريق المدينة تقوم بتحويلها إلى طاقة أضعف يمكن الاستفادة منها في البيوت و في الأجهزة الحرارية و الميكانيكية، فيمكن بواسطة هذا النوع من المحوّلات تبديل الطاقة

تمثيل قبض ملك الموت و أعوانه أرواح الخلائق بمحطة الطاقة الكهربائية المجلس السادس

العالية العظيمة لهذه المحطة و البالغة ٥٠/١٠٠ قولتاً الى ٢٢٠ قولتاً او ١١٠ قولتاً ، أو حتى الى ٦ ، ٤ و ٢ قولتاً في الأجهزة الصغيرة و مصابيح النوم .
أو يمكن أن يقال : كيف يمكن لسلك مفتول واحد متصل بمحطة الطاقة ان يضيء كل هذه البيوت و يشغل كل هذه المعامل و يحرك في لحظة واحدة جميع الأجهزة الموجودة فيها؟
كيف يمكن أن يحصل جريان التيار الكهربائي في جميع هذه الأشياء بإشارة واحدة و بوصل مفتاح واحد؟
ان أحداً لا يمكنه أن يتساءل عن ذلك ، لأن الفعل فعل واحد جرى تبديله بواسطة هذه الأجهزة من قوي الى ضعيف ، فارتنى لباس الكثرة ، و ظهر في قوالب كثيرة متعددة .

و هكذا فإن الملك الالهي الأعظم الذي يمتلك وظيفة قبض الأرواح و اسمه عزرائيل له حكم مصدر الطاقة و معدنها و حكم الشمس و أشعتها الواحدة في عنان السماء ، و هو اسم الله «الْمَيِّتُ» و «الْقَابِضُ» ، كما ان اسرافيل الذي ينفخ الحياة في الأبدان و يفيض الأرواح على الموجودات هو اسم الله «الْمُخَيِّ» ، و كما ان جبرائيل الذي يفيض العلوم هو اسم الله «الْعَلِيمُ» و «الْبَصِيرُ» و «الْخَبِيرُ» ، و كما ان ميكائيل المسؤول عن ايصال الرزق هو اسم الله «الرِّزَّاقُ» و «الرَّازِقُ» . ثم يتشعب ذلك الاسم الكلبي بواسطة ملائكة أصغر الى وحدات ، ثم بواسطة ملائكة ينقسم ذلك الاسم الصغير و الجزئي إلى وحدات أصغر حتى يصل الى كل واحد من الملائكة الجزئيين الذين يُعهد لهم مهمة خاصة لأمر معين من الإحياء و الإماتة و التعليم و إيصال الرزق . و لقد صار في يومنا هذا؛ و بواسطة هذه الأجهزة العجيبة و إرسال النور و الصوت و أمثالها الى النقاط القصية؛ أمر إدراك كيفية عمل الملائكة بسيطاً و ميسوراً للأفهام ، اما في ذلك الزمان الذي كان

ينبغي فيه اشعال الفانوس بقدرح الأحجار ببعضها أو بواسطة الكبريت ، مما كان يوجب توهج الفوانيس الواحد تلو الآخر ، فقد كان تصوّر هذه المعاني أمراً بعيداً و صعباً على الإدراك و الفهم .

و يقال هذه الأتّام أنّهم في صدد اختراع أجهزة يمكنهم بواسطتهم توجيه نور الشمس خلال الليل من نصف الكرة الأرضيّة المضيء الى نصفها المظلم و جعل الناس يستغنون في ظلمة الليل عن المصباح الكهربائي حين يتبدّل الليل المظلم الى نهار مضيء . فهم يعمدون في هذه الطريقة الى بناء محطّات متعدّدة في نقاط الأرض المختلفة يأخذون من خلالها نور الشمس الذي يجاورها فيحوّلونه الى المحطّة التي تقرب منها و يسوقونه بهذه الطريقة الى النقاط البعيدة ، و في هذه الحال فإنّ كلّاً من هذه المحطّات التي تنصب في نقاط الأرض المختلفة بفواصل معيّنة يقوم بإضاءة أطرافها الى الشعاع المتصل بشعاع المحطّات الأخرى ، كما أنّه يقوم علاوة على ذلك باستلام النور من الشمس مباشرة أو من المحطّات التي تسبقه فينقله الى المحطّات التي تأتي بعده . و نتيجة لذلك فإنّ نصف الكرة المعتم سيستحيل في الليالي المظلمة مضيئاً .

و في بحثنا هذا فإنّ ملك الموت له حكم تلك المحطّة القويّة و ملائكة قبض الأرواح في حكم المحطّات التي تقع في وسط الطريق ، و هو جواب بسيط و واضح و قابل لادراك العموم .

لا تزامم و لا تضادّ في المعاني و المجرّدات :

و أمّا الجواب الآخر فإنّ عمل ملك الموت ليس فعلاً مادّياً لأنّه موجود مجرّد و معنوي، و أساساً فليس هناك تشابه بين المعنى و التجرّد مع المادّة و آثارها و أحكامها.

وكما أشير في الأيتام السابقة فإن قبض الروح يحصل من باطن الإنسان لا من ظاهره، فملك الموت إنما يقوم بقبض روح الآدمي، كما أن عزرائيل نفسه موجود ملكوتي يخطف الروح و يسلبها بقوة ملكوتية ومعنوية لا بقوة مادية.

و من باب المثال: حين اتكلم معكم الساعة فتسمعون كلامي جميعاً وتدركونه، هل يوجد هناك تزاحم بين ادراككم و تعقلكم مع ادراك رفيقكم و تعقله؟ أهنالك تضاد بينها؟ هل يمكن القول كيف يكون المعنى الواحد قابلاً لإدراك آلاف الناس في آن واحد.

بلى، لو شئت الجلوس في هذا المكان الخاص، و شاء كل منكم الجلوس فيه في نفس الوقت لكان ذلك محالاً، لأن هذا المكان أمر مادي له سعة موجود مادي واحد بقدره، اما القوة المفكرة و المتخيلة و الحافظة فليست مادية، و لا مانع هناك من القاء معنى واحد لأفراد متعددين. و اذا افترض ان كلامي قد أذيع الى جميع الدنيا بواسطة مكبر الصوت هذا، فإن جميع أفراد البشر سيدركونه، و لن يكون هناك مصادمة و لا تضاد بين ادراك و فهم كل منهم مع ادراك و فهم الآخرين.

و لذلك فإنه لا يتصور أبداً أي تناف أو تضاد بين فعل الحق عز وجل و بين فعل ملك اموت و سائر الملائكة، باعتبار ان ذلك الفعل ليس فعلاً مادياً، بل هو فعل واحد يظهر و يبرز في المرايا و النوافذ المختلفة بحيث تعكسه كل واحدة منها الى الأخرى.

يقول الحكيم السبزواري في كيفية حصول التكثير حسب طريقة الاشرافيتين:

كيفية طلوع و ظهور نور واجب الوجود في ملك الموت و سائر ملائكة قبض الأرواح:

وَهَكَذَا سَوَانِحُ الْأَنْوَارِ
تَضَاعَفَتْ لِمَبْلَغِ مِثَارِ
عَلَيْهِ قِسْ بِوَسْطِ وَغَيْرِهِ
شُهُودَ كُلِّ وَشُرُوقَ نُورِهِ
إِذْ لَا حِجَابَ فِي الْمُقَارِقَاتِ
وَإِنَّمَا اخْتَصَّ الْمُقَارِنَاتِ
فَكَانَ فِي كُلِّ جَمِيعِ الصُّورِ
كُلُّ مِّنَ الْكُلِّ كَمَجْلَى الْآخِرِ^١

و بهذا الطريق و الكيفية فإن الأنوار السانحة؛ مثل نور وجود ملك الموت الذي يستمد من حضرة نور الأنوار فيتجلّى فيه؛ ستتكثر في المراتب النازلة بشكل مضاعف. و على هذا الأساس و الكيفية ينبغي ملاحظة إشراقات الأنوار التي تظهر في المراتب الأوطأ، و المشاهدات التي تقوم بها من الأنوار العالية و الموجودات المجردة القاهرة.

و دليل ذلك أنه ليس هناك في الموجودات المجردة حجاب للمادة و آثارها مثل الزمان و المكان، و هى ليست محجوبة عن بعضها لأنّ الحجاب مختصّ بالموجودات المادية و آثارها. و لذلك فإنه سينعكس في كلّ واحد من الموجودات المجردة جميع صور الموجودات المجردة الأخرى، فيكون كلّ واحد منها في حكم المرأة بالنسبة للآخرين.

و قد روى الشيخ الصدوق في كتاب «من لا يحضره الفقيه» عن الامام الصادق عليه السلام قال:

قِيلَ لِمَلِكِ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيْفَ تَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ وَ بَعْضُهَا

١- شرح المنظومة السبزواريّة، طبع ناصري، ص ١٩٠ و ١٩١.

فِي الْمَغْرِبِ وَبَعْضُهَا فِي الْمَشْرِقِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ؟
فَقَالَ: أَدْعُوهَا فَتَجِيبُنِي.

قَالَ: فَقَالَ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الدُّنْيَا بَيْنَ يَدَيَّ كَالْقَصْعَةِ بَيْنَ يَدَيَّ أَحَدِكُمْ يَتَنَاوَلُ مِنْهَا مَا شَاءَ؛ وَالدُّنْيَا عِنْدِي كَالدَّرْهَمِ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ يُقْلِبُهُ كَيْفَ يَشَاءُ^١.

و روى كذلك في نفس الكتاب أنه سُئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا»، وعن قول الله عز وجل «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ»، وعن قول الله عز وجل «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» وعن قول الله عز وجل «تَوَفَّيْتُهُمْ» وعن قوله عز وجل «وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ»، وقد تموت في الساعة الواحدة في جميع الآفات ما لا يحصيه إلا الله عز وجل فكيف هذا؟

فقال: إن الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح، بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه، فَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَ يَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَكُ الْمَوْتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَعَ مَا يَقْبِضُ هُوَ، وَ يَتَوَفَّاهَا اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ مَلَكِ الْمَوْتِ^٢.

و يستفاد من هذه الرواية أن ملك الموت يقبض أرواح البعض بدون توسط الأعوان من الملائكة، بل يتصدى بنفسه لقبض أرواح هؤلاء؛ و سنتحدث عن هذا الموضوع في خاتمة هذا المجلس إن شاء الله تعالى.
و ينقل الشيخ الصدوق عليه الرحمة في كتاب «التوحيد» رواية عن

١- «من لا يحضره الفقيه»، باب غسل الميت، طبع النجف، ج ١، ص ٨٠.

٢- «من لا يحضره الفقيه»، باب غسل الميت، طبع النجف، المجلد الأول، ص ٨٢.

أحمد ابن الحسن القطان ، عن أحمد بن يحيى ، عن بكر بن يدالله بن حبيب ، عن أحمد بن يعقوب بن مطهر ، عن محمد بن الحسن بن عبدالعزيز الأحذب الجند بنيسابور ، قال: وجدتُ في كتاب أبي نجطة: حدَّثنا طلحة بن يزيد ، عن عبيدالله بن عبيد ، عن أبي معمر السعداني ، أنَّ رجلاً أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إني قد شككتُ في كتاب الله المُنزَّل قال له عليه السلام: ثكلتك أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟

قال: لأني وجدتُ الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه . فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: إنَّ كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً ، ولكنك لم تُرزق عقلاً تنتفع به ، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عز وجل .

فشرع الرجل بيانها و أمير المؤمنين عليه السلام يجيب عليها واحداً بعد الآخر ، و هذه الرواية مفصلة جداً و طويلة نُقلت بأجمعها في كتاب توحيد الصدوق ، الطبع الحيدري ، من ص ٩٦ الى ص ٢٥٤ .

الآننا اقتنعنا منها موضع حاجتنا المتعلق بإدعاء التناقض و التنافي في آيات قبض الروح ، نذكره هنا :

فقال عليه السلام : و أما قوله : «قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» ، و قوله «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» ، و قوله «تَوَفَّنَا رُسُلُنَا وَ هُمْ لَا يُفَرِّطُونَ» و قوله «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» ، و قوله «تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» فإن الله تبارك و تعالى يدبر الأمور كيف يشاء ، و يوكل من خلقه من يشاء بما يشاء ، أما ملك الموت فإنَّ الله يوكله بخاصة من يشاء من خلقه ، و يوكل رسله من الملائكة خاصة بمن يشاء من خلقه ، و الملائكة الذين سَمَّاهم الله

عز ذكره وكلهم بخاصة بمن يشاء من خلقه ، انه تبارك و تعالى يدبر الأمور كيف يشاء .

ثم قال : وَ لَيْسَ كُلُّ الْعِلْمِ يَسْتَطِيعُ صَاحِبُ الْعِلْمِ أَنْ يُفَسِّرَهُ لِكُلِّ النَّاسِ ، لِأَنَّ مِنْهُمْ الْقَوِيَّ وَالضَّعِيفَ ، وَلِأَنَّ مِنْهُ مَا يُطَاقُ حَمْلُهُ وَمِنْهُ مَا لَا يُطَاقُ حَمْلُهُ إِلَّا مَنْ يُسَهِّلُ اللَّهُ لَهُ حَمْلَهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ مِنْ خَاصَّةٍ أَوْ لِيَّائِهِ . وَإِنَّمَا يَكْفِيكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُخَيِّبُ الْمُمِيتُ ، وَأَنَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ عَلَى يَدَيْ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَغَيْرِهِمْ . قَالَ : فَرَجَّتْ عَنِّي فَرَجَ اللَّهُ عَنكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ نَفَعَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِكَ^١ .

وكما هو ملاحظ فقد قام أمير المؤمنين عليه السلام هنا بإضافة تعبير «و غَيْرِهِمْ» ، اي ان الأرواح تُقبض أيضاً على يد غير الملائكة . وعلينا أن نرى ما الذي يعنيه هذا التعبير ؟ فليس بإمكاننا غض الطرف عن هذه الجملة ، لأن الامام - ولي مصدر الفعل الالهي - قد تلفظ بها ، وهو الذي أخبر بأن قبض الروح يتم أحياناً بدون مباشرة الملائكة . و لهذه الجملة احتمالان :

الأول : أن يكون لفظ (غَيْرِهِمْ) معطوفاً على الملائكة ، وهو ما يقتضيه ظاهر الكلام أيضاً ، أي أن الله سبحانه يقبض الأرواح أحياناً على يد بعض مخلوقاته من غير صنف الملائكة ، و تلك المخلوقات موجودات أعلى من الملائكة ، بل هي أشرف و أجل من ملك الموت ، وهم ما يعتبر عنهم في منطق القرآن و تعبيره بـ«العالمين» .

١- توحيد الصدوق ، كتاب التوحيد ، باب الرد على الشنوية و الزنادقة ، طبع

الحيدري ، سنة ١٣٨٧ ، ص ٢٦٨ و ص ٢٦٩ .

فحين خلق الله تبارك و تعالى آدم ، أمر الشيطان بالسجود له فيمن
أمر ، فلم يمثل الشيطان الأمر ، فوبّخه الله سبحانه بقوله :
أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ؟

و باعتبار انّ الأمر بالسجود قد عمّ جميع الملائكة ، فيتضح أنّ العالين
لم يكونوا من الملائكة ليؤمروا بالسجود ، بل أنّهم - كما يبدو من اسمهم -
كانوا موجودات ذات رتبة رفيعة جليلة القدر و المنزلة .

فمن هم اولئك الذين لم يؤمروا بالسجود لآدم لجلالة قدرهم و سموّ
مقامهم ؟ لو شئنا الخوض في هذا الموضوع بالتفصيل لجرّنا ذلك الى
الخروج عن بحث المعاد الذي يمثل محور بحثنا ، لكنّ ما يمكن بيانه هنا
إجمالاً وفقاً لآيات القرآن انّ اولئك هم من المخلصين الذين لا سبيل
للشيطان الى التعرّض لساحة قدسهم .

العالون عبارة عن أرواح الطيّبين و الطاهرين من الأنبياء و الأولياء
والأئمة المطهرين الذين وردوا في مقام الأمن و الأمان الالهي في مَقْعَدِ
صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ، و الذين فازوا بدرجات الاخلاص و القرب
الالهي .

اولئك هم الأفراد الذين وصلوا في سيرهم التكاملي نحو ذات الخالق
المقدّسة الى الأسماء الكلّية الالهية ، و اتصفوا بالصفات الكلّية الالهية ،
و فازوا بالفناء المطلق في ذات الله عزّ و جل ؛ و الذين تخطّوا الاخلاص
فصاروا مخلصين .

و باعتبار فناء هؤلاء في الأسماء و الصفات الكلّية الالهية ، و لأنّ
هذه الدرجة من الفناء تستلزم ظهور و طلوع تلك الأسماء و الصفات في
مرآة وجودهم الواسعة ، فإنّ بإمكانهم - بإذن الله و أمره - القيام بإحياء
الموتى و إماتة الأحياء و إيصال الرزق ، كما انّ سائر الأفعال التي تصدر

قبض الروح من قبل موجودات أفضل من الملائكة موسومة : (العالمين) المجلس السادس

من الله سبحانه ستظهر و تصدر من وجودهم ، و سيقومون بفعلها بإذن الله و إرادته . اولئك هم المظهر التام و الكامل للأسماء الالهية ، فهم يقومون بإحياء الموتى بواسطة ظهور و تجلي اسم المحيي ، و يميتون الأحياء بظهور و تجلي اسم المميت .

كما ان الآيات القرآنية صريحة في ان عيسى بن مريم على نبينا و آله و عليه الصلاة و السلام كان يحيي الموتى و يشفي الأعمى و الأبرص :
وَأُتِرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أَخْيَى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ^١ . لأنه عليه السلام كان مظهراً لإسم المحيي من أسماء الخالق تعالى ، شأنه في ذلك شأن إسرئيل . كما ان موسى على نبينا و آله و عليه الصلاة و السلام الذي كان يلقي عصاه فتصير ثعباناً كان مظهراً لهذا الإسم ؛ و قد وردت في الأخبار روايات من هذا القبيل في احياء الموتى من قبل رسول الله و أمير المؤمنين و بعض الأئمة عليهم السلام ، كما ان إحياء الطيور المقطعة على قتل الجبال بدعاء ابراهيم عليه السلام كان من هذا القبيل أيضاً .

و يمكن القول بان إشارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الى صورة الأسد المنقوشة على ستار مجلس المأمون و إحياءه و قيام ذلك الأسد بتمزيق و افتراس ذلك الرجل الهازئ كان من قبيل إسم المحيي و المميت^٢ .

١- الآية ٤٩ ، من السورة ٣: آل عمران .

٢- اورد الشيخ الصدوق قصة إحياء الأسد و افتراسه حاجب المأمون في كتاب «عيون أخبار الرضا» ، الطبعة الحجرية ، الباب الأربعين ، ص ٣٤٤ و ٣٤٥ . و رواها الشيخ الحر العاملي في كتاب «اثبات الهداة بالنصوص و المعجزات» المطبعة العلمية قم ، في الباب الخامس و العشرين في معجزات الامام الرضا عليه السلام ، المجلد السادس ، ص ٥٥ عن كتاب العيون . اما أصل الرواية في كتاب العيون فكانت ان المرحوم الصدوق يروي عن أبي الحسن بن القاسم المفسر ، عن يوسف بن محمد بن زياد و علي بن محمد بن

معرفة المعاد (١) الموت والنوم ينتميان الى مقولة واحدة باختلاف الشدة والضعف

وهذه الواقعة تستحق التأمل كثيراً؛ وقد ورد نظير هذه المعجزة عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام^١.

سَيَّار، عن أبيهما، عن الإمام الحسن بن علي العسكري، عن أبيه علي بن محمد، عن أبيه محمد بن علي الجواد عليهم السلام؛... ثم يذكر الامام الرواية مفصلاً حتى يصل الى ان حاجب المأمون الذي كان مأموراً بالخط من قدر الامام في المجلس انبرى للامام فقال له: يا بن موسى لقد عدوت طورك و تجاوزت قدرك أن بعث الله بمطرٍ مقدر وقته لا يتقدم ولا يتأخر جعلته آية تستطيل بها، و صولة تصول بها، كأنك جئت بمثل آية الخليل ابراهيم عليه السلام لما أخذ رؤس الطير بيده و دعا أعضائها التي كان فرّقها على الجبال، فأتينه سعيّاً و تركبن على الرؤس و خفقن و طرنَ بإذن الله تعالى، فإن كنت صادقاً فيما توهم فأحيي هذين و سلطهما عليّ فإنّ ذلك يكون حيثُ آية معجزة... و كان الحاجب أشار الى أسدين مُصَوَّرين على مسند المأمون الذي كان مستنداً عليه، و كانا متقابلين على المسند، فغضب عليّ بن موسى عليه السلام و صاح بالصورتين: دونكما الفاجر فافترساه و لا تُبقيا له عيناً و لا أثراً! فوثبت الصورتان و قد عادتا أسدين فتناولا الحاجب و رضاه و هشماه و أكلاه و لحسا دمه، و القوم ينظرون متحيرين ممّا يبصرون. فلمّا فرغا منه أقبل على الرضا عليه السلام و قال: يا وليّ الله في أرضه ماذا تأمرنا نفعل بهذا؟ أنفعل به ما فعلنا بهذا؟ يُشيران الى المأمون، فغشي على المأمون ممّا سمع منهما، فقال الرضا عليه السلام: قفا! فوقنا، ثم قال الرضا عليه السلام: عودا الى مقرّكما كما كنتما، فصارا الى المسند و صارا صورتين كما كانتا... ١- روى ابن شهر آشوب في كتاب «المناقب» ضمن أحوال موسى بن جعفر عليهما السلام

(ج ٢، ص ٣٦٤ و ٣٦٥)، الطبعة الحجرية، عن علي بن يقطين قال:

استدعى الرشيد رجلاً يُبطل به أمر أبي الحسن [الكاظم] و يُخجله في المجلس، فانتدب له رجلاً معزّماً، فلمّا أحضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز، فكان كلّما رام خادم أبي الحسن تناول رغيف من الخبز طار من بين يديه، و استقر هارون الفرح و الضحك لذلك، فلم يلبث أبو الحسن أن رفع رأسه الى أسد مُصَوَّر على بعض الستور فقال له: يا أسد الله خذْ عدوّ الله؛ قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فافترس ذلك المعزّم، فخرّ هارون و ندماءه على وجوههم مغشياً عليهم و طارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه، فلمّا أفاقوا من ذلك بعد حين قال هارون لأبي الحسن عليه السلام: أسألك بحقي

قصة إحياء أسد منقوش على ستر علي يد الامام موسى بن جعفر المجلس السادس

قصة آية الحق واليقين الحاج الميرزا علي آقا القاضي وإماتة الحية في حضور الشاك:

نقل بعض رفقاءنا وأصدقائنا النجفيين عن أحد كبار رجال العلم والمدرسين في النجف الأشرف أنه قال: كنت في شك في أمر المرحوم استاذ العلماء العاملين وقُدوة أهل الحق واليقين والسيد الأعظم والسند الأنفخ وطود أسرار رب العالمين الحاج الميرزا علي آقا القاضي الطباطبائي رضوان الله عليه وبشأن أحواله التي تطرق سمعي والمطالب

عليك لما سألت الصورة أن ترد الرجل. فقال: إن كانت عصا موسى ردت ما ابتلعت من جبال القوم وعصيتهم فإن هذه الصورة ترد ما ابتلعت من هذا الرجل.

ويقول المحدث القمي في «متهى الآمال» طبع الاسلامي، سنة ١٣٧١، ج ٢، ص ١٢٦ بعد روايته لهذه القصة عن ابن شهر آشوب ما ترجمته: روى بعض الفضلاء - ولعله السيد الأجل السيد حسين المفتي - هذا الحديث عن الشيخ البهائي بهذا الطريق، قال: حدثني ليلة الجمعة السابع من جمادي الآخرة سنة ١٠٠٣ مقابل ضريحي الإمامين المعصومين موسى بن جعفر وأبي جعفر الجواد عليهما السلام، عن أبيه الشيخ حسين، عن مشايخه، ثم يذكر مشايخه إلى الشيخ الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفار، عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن حسن بن علي بن يقطين، عن أخيه حسين عن أبيه علي بن يقطين... وذكر رجال هذا السند وجميعهم من الثقات وشيوخ الطائفة، ثم ذكر الحديث كما ورد بلا اختلاف، إذ أنه لم يرد فيه ذكر الخادم بل ورد فيه (كلما رام الامام تناول رغيف من الخبز)، وكذلك في أن الأسد المصور كان على بعض ساحات المنزل لا على بعض الستور، ووافقا في باقي الرواية.

ثم قال بعد هذه الرواية أن الشيخ البهائي ادام الله أيامه أنشدني ثلاثة أبيات قالها في مدح الإمام موسى بن جعفر والامام محمد الجواد عليهما السلام، وهي:

أَلَا يَا قَاصِدَ الرُّؤَاةِ عَرَّجْ	عَلَى الْغَرْبِيِّ مِنْ تِلْكَ الْمَغَانِي
وَتَغْلِيكَ أَخْلَعَنْ وَأَسْجُدْ خُضُوعاً	إِذَا لَاحَظْتَ لَسَدِيكَ الْكُتُبَانِ
فَتَحْتَهُمَا لَعَمْرُكَ نَارُ مُوسَى	وَنُورُ مُحَمَّدٍ مُتَقَارِنَانِ

التي تنقل عنه أحياناً .

و كنت أتساءل : أصحيح أنه يمتلك هذه الأمور أم لا ؟ أو صحيح ان هؤلاء التلامذة الذين يقوم بتربيتهم يمتلكون كذا وكذا من الحالات والملكات و الكمالات أم أن ذلك أمر وهمي ؟

ظل هذا الأمر حديث نفسي لمدة من الزمن ، و لم يكن لأحد علم بذلك ، حتى ذهبتُ يوماً الى مسجد الكوفة لأداء الصلاة و العبادة و لأداء بعض الأعمال التي وردت لذلك المسجد . وكان المرحوم القاضي (رضوان الله عليه) كثيراً ما يذهب الى مسجد الكوفة ، وكان له حجرة خاصة للعبادة هناك ، وكان له تعلق خاص بهذا المسجد و بمسجد السهلة ، فكان يقضي فيهما الكثير من الليالي ساهراً في العبادة الى الصباح .

يقول : التقيتُ بالمرحوم القاضي (رحمة الله عليه) خارج المسجد فسلمنا على بعضنا و تبادلنا الاستفسار عن الأحوال و تحدثنا مع بعضنا مدة حتى وصلنا خلف المسجد فجلسنا على الأرض بجوار تلك الجدران العالية التي تشكل حيطان المسجد من جهة القبلة لنستريح هنيئة ثم نذهب الى المسجد . وكنا مشغولين بالحديث ، وكان المرحوم القاضي (رحمة الله عليه) يحكي قصصاً و حكايات عن الأسرار و الآيات الالهية ، و يبين مطالب عن مقام جلالة التوحيد و عظمتة و عن السير في هذا الطريق ، و في أنه الهدف الوحيد من خلق الانسان ، و يقيم الأدلة على هذا الأمر .

و لقد حدثتني نفسي آنذاك فقلت : اننا فعلاً في شك و شبهة لا نعلم ما الأمر ، و اذا ما انقضى العمر على هذا المنوال ، فلنا الويل إن تبين ان هناك حقيقة ما لم نذكرها ، الويل لنا عندئذ . و لكننا - من جهة أخرى - لا نعلم أصواب ذلك الأمر لتبعه أم أنه ليس صواباً .

و في هذه الأثناء خرجت حية من الجدران و انسابت أمامنا تسير

بمخاذاة جدار المسجد ؛ وكانت الأفاعي كثيرة في تلك المناطق بحيث يشاهدها أغلب الأهالي ، بيد أنه لم يُسمع أنها لدغت أحداً حتى الآن .
و حالما وصلت الحية أمامنا و كنتُ في فزع منها ، أشار المرحوم القاضي (رحمة الله عليه) إليها و قال : مُتْ بِإِذْنِ اللَّهِ !

فتيتبت الحية في مكانها ميتة . ثم عاد المرحوم القاضي (رضوان الله عليه) الى الحديث الذي كان يدور بيننا بدون أن يلقي اهتماماً للأمر ، ثم نهضنا و ذهبنا داخل المسجد فصلّى المرحوم القاضي ركعتين في وسط المسجد ثم ذهب الى غرفته ، و كنت أقوم ببعض أعمال المسجد على أن أعود الى النجف الأشرف بعد إكمالها . و اثناء تلك الأعمال خطر في خاطري سؤال : أكان هذا العمل الذي اجترحه هذا الرجل واقعياً أم تمويهاً و خداعاً للعين كالسحر الذي يفعله السحرة ؟ من الحرّي أن أذهب فأرى هل ان الحية ميتة حقاً أم أنها عادت الى الحياة و هربت .

كان هذا الخاطر يهاجمني بشدة حتى أنهيت الأعمال التي قرّرت القيام بها و خرجت على الفور من المسجد نحو المكان الذي جلستُ فيه مع المرحوم القاضي (رضوان الله عليه) ، فشاهدتُ الحية ميتة ملقاةً على الأرض ، ثم ركلتها بقدمي فرأيتُ أن لا حراك فيها أبداً .

عدتُ الى المسجد و أنا في غاية التأثر و الخجل لأصلي عدة ركعات أخرى فلم أقدر على ذلك ، فقد تملكني هذا التفكير : إن كانت هذه المسائل أموراً حقيقية فلم لم نلتفت اليها أبداً ؟

كان المرحوم القاضي (رحمة الله عليه) مدّة في حجرته مشغولاً بالعبادة ، ثم خرج منها و غادر المسجد متجهاً الى النجف ، فخرجتُ أنا الآخر و التقينا من جديد عند باب المسجد ، فتبسم ذلك المرحوم في وجهي و قال : حسناً ، إمتحنت الأمر أيضاً أيتها العزيز ، إمتحنته أيضاً ؟

بلى ، لقد تحقق هذا العمل بواسطة اسم المُميت من أسماء الله تعالى فتم قبض الروح بواسطته .

و النكتة التي تستحق التأمل و الملاحظة هنا هي ان أمير المؤمنين عليه السلام حينما كان يفعل كل هذه العجائب و الغرائب في الحروب و غيرها و يقوم بخوارق العادات هذه بيد الولاية ، أكان يستعين فيها بملائكة الله و يستمدّ العون منهم ، أم ان القدرة الالهية كانت تتجلى في وجوده و في روحه المقدسة التي تعلو على مقام عزرائيل و سائر الملائكة الالهيتين المقرّبين بدون ان يكون لهم دور الوساطة في ذلك ، فيجترح الكرامات بتلك القدرة و القوة ؟ و هو ما يتطلب بحثاً مستقلاًّ ستم مناقشته في موضعه ان شاء الله تعالى ، و نكتفي هنا بهذه الإشارة اليه .

كان هذا القدر من البحث عائداً الى الاحتمال الأول و هو ان لفظ غيرهم معطوف على الملائكة . اما الاحتمال الثاني فهو ان لفظ غيرهم كان معطوفاً على مَنْ يَشَاءُ ، فيكون المعنى آنذاك ان الله عزّ و جل يقبض الروح بواسطة من يشاء من الملائكة و يقبض الروح بدون وساطة الملائكة .

و يمكن في هذه الحال ان يكون المراد بغير الملائكة الوجود المقدس لله تعالى نفسه ، على الرغم من ان هذا المعنى يرجع الى العالين الذين يقبض الله سبحانه الأرواح بواسطتهم ، لأنّ العالين هم الافراد الفانين في الذات الالهية و المتحقّقين بالأسماء الكلية الالهية ، و عليه فان فعلهم يمكن أن يُعدّ عين فعل الله حقاً ، و أن يعتبر عن قبض الأرواح بواسطتهم بأنّه قبض الأرواح بواسطة الله تعالى .

يروى محمد بن يعقوب الكليني (ره) في كتاب الكافي عن عدة من الأصحاب ، عن أحمد بن محمد بن محمد بن علي عن آخر يصرح الراوي باسمه ، عن جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام انه قال :

قبض أرواح المقرّبين للعرش الألهي يحصل بيد الحقّ جلّ و عزّ المجلس السادس

كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّهُ يُسَخِّي نَفْسِي فِي
سرعة الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ فِينَا قَوْلُ اللَّهِ (أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا) وَهُوَ ذِهَابُ الْعُلَمَاءِ^١.

أي إنّ الله سبحانه يقوم بنفسه بقبض أرواح علماء الأمة، وهو ما
يخفف الموت عليّ حين اتذكّره، و يجعل نفسي تسخو على الموت الذي
يحث الخطي إلينا.

و يتّضح من هذا أنّ الامام قد اعتبر لفظ أطراف الوارد في الآية
الشريفة جمع طَرَف بسكون الراء أو جمع طَرَف بكسر الراء، لأنّه يعني في
هاتين الحالتين معنى الجليل و كريم الأبوين، و هو ما فسره الإمام بالعالم
والمرء الجليل. و ما ألذّ قبض الأرواح حين يحصل على يد الله سبحانه!
ذلك الأمر الذي كان يجعل الامام كلّما تلا هذه الآية في القرآن الكريم أو
تذكّرها فإنّ نفسه الشريفة كانت تحاول الانطلاق من حبس الجسد و التوجّه
بلهفة الى حرم عزّ الخالق سبحانه الذي يباشر بنفسه أمر ادخال مُخْلِصِي
عباده في حرمه. و عليه فإنّ الله سبحانه يقوم بقبض الروح بواسطة العالين
من خاصّة أوليائه، كما يقوم بذلك الملك المقرّب لله: ملك الموت، إضافة
الى أتباعه من الملائكة.

و يمكن من هذا استنتاج مطلب مهمّ، و هو ان الافراد المؤمنين
يتملكون درجات متباينة، فضعفاء الإيمان يقوم بقبض أرواحهم ملك
من الملائكة الأضعف الذين يمكنهم التغلّب على ذلك المؤمن عند نزاع
الروح فقط فيقبضون روحه، أمّا الأفراد الأقوى إيماناً و الأرسخ عقيدة،

١- الكافي، كتاب فضل العلم، باب فقد العلماء الطبع الحيدري، سنة ١٣٨١، المجلّد
الأوّل للأصول، ص ٣٨، و الآية المذكورة فيه هي الآية ٤١، من السورة ١٣: الرعد.

فإن أولئك الملائكة الضعفاء لا قدرة لهم على قبض أرواحهم ، فيستلزم ذلك ملائكة أقوى ليتمكنهم الغلبة على أرواحهم و قبضها .
و هكذا فإن لكل مجموعة من المؤمنين ملائكة تتناسب قوتهم مع قوة إيمان المؤمنين و ستمو أرواحهم ليتمكنهم الغلبة و الحكومة عليها ، حتى يصل إيمان المؤمن الى الحد الذي يفوق قدرة الملائكة التابعين فيتولّى عزرائيل - و هو من الملائكة المقرّبين - قبض روحه بلا واسطة من الملائكة التابعين . أما تلك الدرجة التي يصل اليها المؤمنون الذين نالوا مقام المُخلّصين فإن قبض أرواحهم يتم على يد الذات القدسية للخالق عزّ و جلّ نفسه .

و علينا أن نرى لماذا يختلف قبض الأرواح الحاصل للأفراد ، و لماذا يختلف قبض روح المؤمنين عن الكفار ، و قبض روح المحسنين عن المسيئين الخاطئين .

لماذا يحصل قبض روح المؤمن في هيئة جميلة و يحصل نفسه للكافر في هيئة قبيحة منكرة ؟
لماذا يظهر قبض الروح لذوي النفوس الزكية في هيئة معيّنة ، وللأنبياء في هيئة أرقى و أسمى ، و اجمالاً لماذا يظهر لأنواع الناس و أصنافهم بأشكال و هيئات مختلفة ؟

تجلّي ملك الموت لإبراهيم الخليل في صورة مُنكرة:

روي في كتاب (جامع الأخبار) أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام قال لملك الموت : هل تستطيع أن تريني صورتك التي تقبض بها روح الفاجر ؟ قال : لا تُطبق ذلك . قال : بلى . قال : فأعرض عني ؛ فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر مُنتن الريح أسود الثياب يخرج

من فمه و مناخره لهب النار و الدخان ، فغشي على إبراهيم ثم أفاق فقال :
لو لم يَلَقُ الفاجر عند موته الآ صورة وجهك كان حسبه^١ .

إن عزرائيل الذي يمكنه أن يظهر لروح الفاجر في هيئة سقط إبراهيم
الخليل من هولها مغشياً عليه ، يمكنه أيضاً أن يظهر عند قبضه روح
المؤمن الطاهر القلب السليم الطوية في هيئة من الجمال و الروعة بحيث
يفقد المحتضر القدرة على تحملها فيسلم الروح في شدة انجذابه لها و في
استغراقه باللذة لمرآها .

لقد عجزت النساء المصريات عن تحمل مشاهدة جمال يوسف عليه
السلام فولهن به حين مر بهن و قطعن أيديهن بدل الاترنج و قلن حاش لله
ما هذا بشرا ...

فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حُشَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ
هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ^٢ .

و لذلك فليس بمستبعد أن نقول إن عزرائيل يتجلى في قبضه الأرواح
الطيبة بدرجة من الجمال الذي يستهوي الأفئدة ، و العطر الذي يأخذ
بمجامع القلوب فلا يترك للمؤمن طاقة على التحمل ، فيخلق طائر روحه
في لحظة من اللحظات الى الأعالي .

ملك الموت أشبه بالمرأة التي يرى المحتضر نفسه فيها عند نزعه :

إن ملك الموت و أعوانه من الملائكة الآخرين لا يمتلكون ماهيات
مختلفة ليمكنهم اظهار وجودهم في قالب أحدها متى عن لهم ذلك ، بل
انهم - باعتبارهم موجودات ملكوتية و مجردة - يكونون كالمرأة الصافية

١- جامع الأخبار ، ص ١٧٠ ؛ و بحار الأنوار ، ج ٦ ، ص ١٤٣ ، طبعة الآخوندي .

٢- الآية ٣١ ، من السورة ١٢ : يوسف .

معرفة المعاد (١)

الموت و النوم يتميان الى مقولة واحدة باختلاف الشدة و الضعف

المضيئة لا تُظهر نفسها بل هي مظهرة لغيرها ، لذا فإنهم حين يصبحون مقابل روح اي شخص محتضر فإن انعكاس كمالات تلك الروح أو قبائحها ستظهر في تلك المرأة ، و هكذا فإن الشخص سيري حال نزعه صورته الملكوتية و صفاته و أخلاقه حسنة كانت أو سيئة في صورة الملائكة و جمالهم ، فهو يرى في الحقيقة فيهم حُسن نفسه الناطقة و جمالها أو قبحها و مساوئها . و باعتبار اختلاف الأفراد الطيبين من المؤمنين في الصفات و الكمالات ، حيث يغلب على بعضهم حال العبادة ، و على البعض حال السخاء و الكرم ، و على البعض العلم و المعرفة ، و في البعض الإيثار و الشجاعة ، و في البعض العطف و الرحمة و المودة ، و في البعض الآخر الصلابة و الحمية ؛ لذا يتباين جمالهم الملكوي و يظهر بأشكال جميلة مختلفة ، و تظهر أحياناً الصورة الملكية بشكل جذاب يسلب الألباب حين يكون حب الله شديداً و طاغياً لديهم .

و بناءً على هذه النظرة فإن تشكّل و تصوّر ملائكة قبض الأرواح سيتباين لهؤلاء ، و في نفس الوقت الذي يتميز هؤلاء الملائكة بالجمال ، فإنهم سيجلون لهؤلاء المؤمنين من جهة الكيفية و جمال الهيئة بأشكال و صور مختلفة .

و بناءً على هذا القياس فإن الخبيثين من الكافرين و المنافقين يتفاوتون في الصفات و الملكات ، فيغلب على بعضهم حال الإنكار و الجحود ، و على البعض حال العناد و القتال ، و على البعض حال البخل و الإمساك ، و على البعض التحجّر و الخشونة ، و على البعض الجمود و الاستكبار ، كما يغلب على البعض الآخر التفرعن و الاستبداد ؛ لذا فإن أنفسهم الملكوتية متباينة هي الأخرى و مختلفة في أشكال القبح و الفظاعة ، تصل في بشاعتها و قبحها الى حد كبير عند البعض الذي يزداد لديهم العناد

و الاستكبار على الله . و بناءً على ذلك فان تشكّل ملائكة قبض الأرواح و تصوّرهم لهؤلاء سيكون متفاوتاً هو الآخر ، فهو مع شمول قبحه و بشاعته لجميع هؤلاء ، يظهر لهم في كيفية قبحه و تجلّي شاعته بأشكال و صور مختلفة .

و العلة في جميع هذه الاختلافات أنّ ملك الموت و أعوانه من الملائكة يُظهرون للإنسان باطنه و ملكوته عند قبضهم روحه ، لذا فإنّ كلّ ملكة و صفة أيّ شخص ستجلّي فيهم ، و ذلك التجلّي سيؤثر على حواس المحتضر فيشاهد وجودهم في المرآة العاكسة ، و في الحقيقة فإنّه سيُشاهد نفسه و ملكوته فيهم .

و بالطبع فإنّ هذه الصورة الملكوتية موجودة في الانسان ، موجودة في باطن الانسان في نفس هذه الدنيا الفانية ، بيد أنّها تتغيّر بواسطة الأعمال الحسنة او الأعمال السيئة ، و بواسطة الإيمان أو الكفر ، و يمكن لها أن تتغيّر من صورة الى أخرى ، اذ ان التغيّر الحاصل ينحصر في هذه الدنيا التي تمثّل دار العمل لا دار الحساب و الجزاء .

أمّا عند الموت فإنّ هذا التغيّر سيتوقّف ، و سيكون حاصل التغيّر و التبدّل لهذه الصور الملكوتية حال الحياة هو حصول الصورة الملكوتية الثابتة التي لا تتغيّر عند الموت .

و قد أبان المُلّا الرومي هذه الحقيقة في المجلّد الثالث من كتابه «مثنوي» ، ص ٢٨٨ و ٢٨٩ ، طبع ميرخاني في قوله :

مرگ هر يك ای پسر همرنگ اوست

آينه صافي يقين همرنگ اوست

پیش ترک آئینه را خوش رنگی است

پیش زنگی آینه هم زنگی است

ای که می ترسی ز مرگ اندر مزار
آن ز خود ترسانی ایجان، هوشدار
ای که می ترسی ز مرگ اندر مزار
آن ز خود ترسانی ایجان، هوشدار
زشت روی تست نی رخسار مرگ
جان تو همچون درخت و مرگ برگ
از تو رُستست از نکوِست از بدست
ناخوش و خوش هم ضمیرت از خوداست^١
و ينبغي معرفة أنَّ الملائكة هم موجودات خاصة مقابل الشيطان
والانسان و الحيوان و سائر الموجودات الاخرى ، فهم عاجزون عن تغيير
ماهياتهم الى ماهيات أخرى ، كما انهم لا يرتدون أبداً لباس المادة .
وكل ما يمكن فعله للشيطان و للملائكة هو أن يؤثروا فقط على
أحاسيس الإنسان تأثيراً حسناً أو سيئاً ، فيراهم الإنسان لذلك في أحاسيسه
بصور و أشكال مختلفة ، دون أن يتمكنوا في حقيقة الأمر و متنه
من الظهور في صور و أشكال مختلفة ، و من الوجود بماهيات متباينة
من الإنسان و الحيوان .
و هذه الفرضية (فرضية قابلية التبدل الى ماهيات أخرى) تخالف

١- يقول : انّ موت كلّ امرئ يُماثله ، كما انّ المرأة الصافية تُظهر كلّ امرئ بلونه الذي
هو عليه .

فالمرأة مقابل التركي لها لون جميل ، الا أنّها مقابل الزنجي تظهر سوداء زنجية
فيامنّ تخاف من الموت و تفرّ منه ، احذر و تيقّظ فأنتك إنّما من نفسك تخاف !
انّ وجهك هو القبيح لا سحنة الموت ؛ لكأنّ روحك شجرة و الموت أوراقها .
فإن كانت الأوراق حسنة أو سيئة فهي قد نمت منك ؛ أو كانت سليمة أو مريضة فهي ضميرك
و خيالاتك .

البراهين الفلسفية و الآيات و الروايات .

و قد تفضل العلامة الجليل و الأستاذ الكامل في كتاب تفسير الميزان ضمن البحث في سورة الأعراف عن خلقه الشيطان بالقول :

و الذي ذكره بعضهم : انّ أهل العلم أجمعوا على انّ ابليس و ذريته من الجنّ ، و ان الجنّ أجسام لطيفة هوائية تتشكّل بأشكال مختلفة حتى الكلب و الخنزير ، و انّ الملائكة أجسام لطيفة تتشكّل بأشكال مختلفة الا الكلب و الخنزير - و كأنّهم يريدون بذلك تغيّيرهم في ذواتهم - لا دليل عليه من نقل ثابت أو عقل ، و اما ما ادّعي من الإجماع و مآله الى الاتفاق في الفهم فلا حجة لمحصله فضلاً عن منقوله ، و المأخذ في ذلك من الكتاب و السنة ما عرفت ^١ . على انّ الطيّبين لا يحسّون أبداً بالنزع حين يقبض ملك الموت أرواحهم ، بل انّهم يُفرغون القوالب التي كانوا يشغلونها حال رؤيتهم الطلعة الوسيمة لعزرائيل و سيماءه الجذاب الطافح بالعظمة ، فيرون أنفسهم فجأة في جنان النعيم .

افرضوا انكم كنتم تركبون سيارّة تعبر بكم في الشوارع ، و كنتم تشاهدون في كلّ شارع منظراً مُنفراً ، ثم انفتحت فجأة بوابة ما و دخلت هذه السيارّة فيها فرأيتم - و يا للعجب - روضةً تأخذ بالقلوب و الأبصار ، فيها أناس يفيضون مودةً و أنساً ، و انكم عجبتم من لذة أطعمتها و صفاء مائها و برودته ، و أخذ بأسماعكم أصواتها و نغماتها المحبّبة الى النفوس و المنعشة للأفئدة ، بحيث انكم لم تحسوا فيها أبداً بما يكدر خواطركم ، بل انكم لم تحسوا و لم تدركوا ورودكم فيها و كيفية انتقالكم لها ، بل وجدتم أنفسكم وسط روضتها في منتهى اليسر و البساطة . تلك هي كيفية قبض أرواح المؤمنين الطيّبين .

١- تفسير الميزان ، المجلّد الثامن ، ص ٦١ .

اما كيفية قبض أرواح أولياء الله بيد الله نفسه بواسطة نفوس العالين من المخلصين فهو أمر يخرج عن البيان هنا . و قد علمتم ان الامام زين العابدين قال في رواية الكافي تلك :

انه يسْخِي نفسي في سرعة الموت و القتل فينا قول الله (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) و هو ذهاب العلماء .

به تیغم گر کشد دستش نگیرم

و گر تیرم زند منت پذیرم

کمان ابروی ما را گو مزن تیر

که پیش دست و بازویت بمیرم^۱

ولقد وعد أمير المؤمنين عليه السلام بالحضور عند جسد المحتضر ، و لقد بعث بوعدة هذا الشوق في القلوب للموت من أجل التمتع بمشاهدة صورته الملكوتية عليه السلام ، و لقد جعل لطفه و مودته و رحمته التي يفيضها على المؤمنين أرواحهم طافحة بالعشق و الشوق للقياء ، و جعلهم يعيشون في ذكره دوماً .

دوش بیماری چشم تو ببرد از دستم

لیکن از لطف لبث صورت جان می بستم

عشق من با خط مشکین تو امروزی نیست

دیرگاهیست کزین جام هلالی مستم

از ثبات خودم این نکته خوش آمد که بجور

در سر کوی تو از پای طلب ننشستم^۲

۱- يقول: لو جاء يقتلني بسيفه فلن أمسك بیده، و لورماني بسهامه فسأكون ممثلاً له.

فقل لحبيبتنا الذي حواجه بالقوس أشبه: لا ترمننا بسهامك لاننا ستهوى ضحايا بين أذرع.

۲- يقول: عيل صبري ليلة البارحة من عينيك الناعستين، بيد أنك أنعشتني

وعد أمير المؤمنين عليه السلام بالحضور عند جنازة المحتضر

المجلس السادس

فإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام وهو من العالين
و من المخلصين ، بل من أعلى هذه الطائفة و الجماعة درجة و أرفع مقاماً ،
يريد قبض الروح بنفسه و بيده يد الله ، فما الذي سيفعله يا ترى ؟
و بالطبع فإن قبض الروح يحصل على يده الشريفة للأفراد الذين
رقوا الى أعلى درجات الإيمان فخرج أمر قبض أرواحهم من عهدة ملك
الله المقرب : ملك الموت .

در وفای عشق تو مشهور خوبانم چو شمع
شب نشین کوی سربازان و رندانم چو شمع
بی جمال عالم آرای تو روزم چون شب است
بی کمال عشق تو در عین نقصانم چو شمع
رشته عمرم به مقراض غمت ببریده شد
همچنان در آتش مهر تو خندانم چو شمع
همچو صبحم یک نفس باقیست بی دیدار تو
چهره بنما دلبرا تا جان برافشانم چو شمع^۱

بشفاهك الساحرة اللطيفة .

و لم يكن ولهي بطلعة الحبيب و ليد اليوم أو البارحة ، فلقد مرّ دهرٌ طويل منذ أن
ثملتُ بهذه الكأس الهلالية .
أعجبني من ثباتي في العشق أنني لم أكف عن الطلب و النشدان مع جورك و جفائك ،
في طريق الوصول الى دربك .

۱- (ديوان حافظ) ، تنظيم الدكتور خليل خطيب رهبر ، الغزل ٢٩٤ ، ص ٣٩٧ .

يقول :

شهرت في وفائي لودك بين أحبابي و صرت كالشمع ساهراً غير هيّاب
في مصاف من قدموا الرؤوس لعشتي قرايين في المحراب
استحال في فراقك صبحي ظلاماً و ليلاً أيا زينة العالم

جعلنا الله و إيتاكم من الفائزين بذلك المقام المحمود ، و المنزلة
الرفيعة بمحمد و آله الطاهرين و صلى الله على محمد و آله أجمعين .

خسرَ صَـرِيعاً بلا راحمٍ	و دُبْتُ لولا كمال حُبِّكَ كالشمع
فَقَطَّعَ حبلَ عُمرِي بمقراضِهِ	تَمَلَّكَنِي بِحُبِّكَ غَمِّي وَ هَمِّي
باسمِ كالشمعِ مُخَفِّ لِمَا بِهِ	بَسِيدَ أَنفِي فِي نَارِ حُبِّكَ ضاحِكِ
لَمْ يَبْقُ لِي فِي فِرَاقِكَ أَنفَاسُ أُرَدِّدُهَا	يَا مَنْ لَهُ طَلَعَةٌ كَالصَبْحِ مُشْرِقَةٌ
لَأُسَلِّمَ - كالشمعِ - رَوْحاً حَانَ مَوْعِدُهَا	فَاسْفَرْ بِهَا يَا خَاطِفَ الْقَلْبِ رَائِعَةٌ

الْمَجْلِسُ الْإِسْلَامِيُّ

فِي أَنْ قَبْضِ الرُّوحِ وَمُشَاهَدَاتِ حَالِ
النَّعْ تَحْدُثُ بِالْبَاطِنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أُلْقِيَتْ هَذِهِ الْمَطَالِبُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُبَارَكِ)

و الحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

و صلى الله على محمد و آله الطاهرين

و لعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى يوم الدين

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حَبِيثٌ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُفْرِيقِينَ * فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٌ *
وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا
إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَعِيمٍ * إِنْ
هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ^١

إنَّ ملك الموت الذي يقوم بقبض روح الإنسان لا يقترب منه في
عالم الطبع و المادة ، الذي ندعوه بعالم الخارج ، لأنَّ ملك الموت موجود
غير مادي ، بل هو ملك ، و أفراد الملائكة غير ماديين بل هم موجودات
مجردة ، لذا فإنَّ قُربهم و بُعدهم ليس قُرباً و بعداً مكانيّاً ، كما أنَّ ملك
الموت لا يأتي إلى الإنسان من عالم المادة لقبض روحه ، بل انه يقبض

١- الآية ٨٣-٩٦ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

روحه من ملكوت الإنسان ، و نفس الانسان تنتمي الى عالم الملكوت ،
و الملائكة جميعاً من عالم الملكوت ، و ملك الموت نفسه من عالم
الملكوت أيضاً ، و ليس هناك في عالم الملكوت حجاب و لا ساتر مادي ،
لأن حجاب المادة أمر يختص بعالم الطبع و المادة .

إن الموجودات في عالم المادة - حيث تقتضي الحاجة الى الزمان
و المكان - تستتر و تتخفى عن بعضها بحاجب الزمان و المكان .

فنحن لا نملك خبراً عن أمسنا ، كما لا نملك خبراً عن غدنا ، لأن
حجاب الزمان قد أوجد بيننا و بينها فاصلاً ؛ و كذلك فأننا لا نعلم عما هناك
خلف حائط المسجد ، لأن حجاب المكان يفصل بيننا و بينه .

و هكذا فإنّ خفايا الموجودات بعضها عن البعض الآخر أمر مختص
بالموجودات المادية ، أما في الموجودات الروحانية و الملكوتية فإنّ
حجاب المادة أمر غير معقول .

لذا فإنّ ملك الموت الذي يقبض روح الانسان و نفسه ، يتمثل في
كيفية وجوده مع كيفية وجود النفس و الروح ، و كلاهما ملكوتي ، و لهذا
فإن قبض الروح يحصل من باطن الانسان .

على أنّ قبض الروح لا يحصل في الخارج لتكون رؤيته و إدراكه
أمراً ممكناً بواسطة الحواس الظاهرية التي تربطنا بعالم الطبع و المادة ،
والانسان نفسه لا يدرك بحواسه الظاهرية كيفية قبض روحه ، كما أنّ الافراد
الذين يُحيطون بالشخص المحتضر لا يشعرون بمجيء ملك الموت و قبض
روح ذلك المحتضر .

يقول الله تبارك و تعالى :

أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ * وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ١ .

أتدهنون و تخادعون في كلام الله و قرآنه الكريم في الكتاب
المسطور ، و تتعاملون معه بهذا الإهمال و التساهل ، فتجعلون رزقكم
المعنوي تكذيبه ، بدلاً من أن تروون عطشكم و تصلحون جميع ثغرات
و نواقص وجودكم بالماء المعين لمعارفه في هذه المائدة المبسوطة
للمعنويات والحقائق، فإنكم تواجهونه بالتكذيب وتحاولون الإرتواء
بكأسكم المترعة بشراب الغرور و الحيرة و الضلالة .

فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ . ان كنتم لا تصدقون بالله ، و لا تقيمون لكلامه (القرآن الكريم)
وزناً ، و إن كنتم تنكرون البعث و المعاد و الثواب و العقاب ، و تسخرون
بالجنة و الرضوان ، و تهزءون بالجحيم و الغضب ، فلم لا ترجعون أرواحكم
حين تبلغ الحلقوم في نزعها ، و أنتم تنظرون بأم أعينكم و لا تعلمون أننا
أقرب الى نفس ذلك المحتضر منه ؟

إن كنتم لا ترون أنفسكم تحت سيطرة عالم الغيب و حكومة الله
سبحانه تعالى و الجزاء و لا ترون أنفسكم مجزيين بالقانون العام
و الناموس الالهي ، و تتخيلون انّ القدرة جميعاً منحصرة في عالم المادّة
و الطبع هذا فتبحثون عنها فيه ، فلم لا ترجعون روحكم في تلك اللحظات
الحاسمة الحساسة و تمنعونها من الارتحال ؟

أرجعوها إن كنتم صادقين ، و على عقيدتكم و نهجكم مصرّين
ثابتين !

بلى، نحن آنذاك أقرب إليه منكم، كما أنّ ملك الموت والملائكة
الدين يفعلون ما يؤمرون هم عباد ينتمون الى عالم الأمر لا يراهم الناس
بأبصارهم العاديّة الدنيويّة .

ملائكة الله ينتمون الى عالم الأمر:

بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ^١.
الأمر في مقابل الخلق ، اي أن أولئك الملائكة أعلى و أسمى من عالم
المادة و الطبع ، و هم موجودات ملكوتية يعملون في عالم أمر الله بأمر
الله .

و على هذا فإن ملك الموت و أعوانه و مساعديه ينتمون هم أيضاً الى
عالم الأمر ، كما أن فعلهم الذي هو قبض الروح من عالم الأمر و الباطن .
طبقات الناس الثلاث: المقربون ، أصحاب اليمين ، و المكذبون .

ينقسم الناس آنذاك الى ثلاث مجموعات : الأولى مجموعة المقربين
الذين عبروا الدنيا و الآخرة و وصلوا الى مقام قرب الله ، و استقروا في
حرم الأمن و الأمان الالهي . و هؤلاء مكانهم في جنة النعيم ، و طعامهم
الروح و الريحان ، تهت عليهم النسائم المنعشة من جهة حرم الله ، و يعطر
مشامهم عبق حرم الأنس و لقاء المعبود ، فيجعلهم ينتشون بتلك الجذبات
الالهية .

الثانية : أصحاب اليمين الذين لم يتمكنوا من الفوز بتلك الذروة
السامية من مدارج القرب و معارجه كما فعل المقربون ، بيد أنهم كانوا
محسنين صالحين الأعمال عجز عالم الغرور من ابتلاعهم في الفم الفاجر
لضلالته و ضياعه . و قد دُعي هؤلاء بأصحاب اليمين كناية عن السعادة
و النجاة لأنهم قضوا أعمارهم في الدنيا بصدق و أمانة ، و لم يلوثوا قلوبهم
بصدأ الشرك ، بل سلكوا في الدنيا وفق ادراكاتهم العقلية و الفطرية
و الشرعية ، و لزموا صفاءهم و حبهم لله و هجروا عالم الغرور . لذا فقد

١- ذيل الآية ٢٦ و صدر الآية ٢٧ ، من السورة ٢١ : الأنبياء .

وردوا في اسم سلام ربهم ، فسلامٌ عليك أيها النبي منهم ، من أصحاب اليمين .

و الطائفة الثالثة : هم أصحاب الشمال المعبر عنهم هنا بالمكذبين الضالين ، و هؤلاء هم الذين سكرُوا بعالم الغرور و قضوا عمرهم في الاستكبار و التفاخر ، فبعدوا عن المعنويات و الحقائق ، و شغلوا بتكذيب الأنبياء و أولياء الله ، و إنكار المبدأ و المعاد ، و تخيلوا أنَّ عالم الوجود إنما خُلِق عبثاً .

و هؤلاء طعامهم يوم القيامة نُزْلٌ مِنْ حَمِيمٍ ، و النُّزْل هو الطعام الذي يُعدّ للضيف ، أما الحميم فهو المعادن المصهورة ، ثمَّ أنهم يردون النار المسجورة فيضلُّونها خالدين . و هذه المطالب حقيقة ارتقت الى أعلى درجات اليقين الذي لا يمكن إنكاره أبداً بل هي في مرحلة الشهود و الحس .
إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ .

سَبَّحَه و نَزَّهه عن كل ما يخالف مقتضى مقام عدله و رحمته و جماله و جلاله ، و عن كل نقص و عيب و جهل و عن آثار كل ما يدعيه هؤلاء المكذبون الضالون .

و يُستفاد من هذه الآيات التي تبين بالتفصيل طبقات الناس حال النزع و الاحتضار أنَّ الله سبحانه أقرب في كلِّ حال الى الانسان من الانسان نفسه ، سواء كان الانسان من المقربين ، أم من الصالحين ، أم من الأشقياء . و لأنَّ نزع الروح و قبضها يتم بيد الله سبحانه أو بيد ملائكة الموت الذين ينزعونها بأمر الله تعالى ، فإنَّ هؤلاء الملائكة هم أيضاً أقرب الى الإنسان من نفسه ، كما أنَّ قبض الأرواح يحصل في الباطن :
وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَ أَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۚ

و المراد من المكان القريب في هذه الآية الكريمة هو باطن الانسان الذي تحتله الملائكة لتقوم منه بسلب حقيقة الإنسان أي نفسه .
فهذا الباطن قريب الى الشخص المحتضر الى الحد الذي هو أقرب اليه من أعضاء بدنه ، بل من حواسه كالباصرة و السامعة و اللامسة ، و هو أمر يتضح بقليل من الإمعان .

و على سبيل الفرض و المثال ، فهل لرفيقتكم الذي يجلس الى جواركم علمٌ بالأفكار و النوايا التي تدور في خلدكم و بالكم ؟ أي يمكنه الاطلاع على باطنكم بدون أن تظهرونه له و تطلعونه عليه ؟
فرضوا الآن في أذهانكم أن الكعبة موجودة هنا ، و انكم تغتسلون و تنشغلون بالطواف ، ثم تأتون الى مقام ابراهيم عليه السلام بعد الطواف لسبعة أشواط فتصلون صلاة الطواف فيه ، ثم تجلسون جانباً تتطلعون الى الكعبة ، لأنّ النظر الى الكعبة أمر يستحق الثواب .

و بعد أن قُمت بهذه الأعمال في ذهنكم بدون أن تبدر من أيديكم أو أرجلكم حركة ، و بدون أن يتحرك بدنكم عن موضعه أدنى حركة ، و حتى بدون الإستعانة بقوة أعينكم و آذانكم في مشاهدة هذه المناظر و في سماع أصوات الزحام و ضجيج الناس و صخبهم في أطراف الكعبة ، ثم تسألون من رفيقتكم الجالس الى جنبكم : أيها السيد ، ما الذي فعلته ؟
فسيجيب : لم تفعل شيئاً .

و ستقولون : لقد قمت بالطواف و الصلاة و التفرّج مدّة على بيت الله بقوى التصرّو و عالم الخيال الموجود لدي .

فيرد عليكم : لا علم لي بباطنكم ؛ إنّ عيني ترى بدنكم الذي لم يتحرك و لم يفعل شيئاً .

و هكذا الأمر في حال الإحتضار حين يقبض ملك الموت الروح ،

لأنّ عملية قبض الروح هي من هذا القبيل .
افرضوا انكم كنتم نائمين ، وقد رأيتم أحلاماً مرعبة مُخيفة
سيبقى أثرها ظاهراً في انفسكم لعدّة أيّام ، او انكم شاهدتم أحلاماً سعيدة
مُفرحة ستظهر آثارها على انفسكم لمدّة . (فهذه الأحلام عجيبة الى الحدّ
الذي يمكن أن يؤثر بعضها فيكم طوال عمركم.)
بيد انكم سألتهم عند استيقاظكم من رفيقكم الذي يجلس يقظاً الى
جنب فراشكم : ما الذي رأيْتُ في النوم ؟
فإنه سيجيبُ : لا أعلم !
فتقولون : لقد رأيْتُ في النوم كذا وكذا ، فكيف لم تعلم بذلك ؟
فيجيب : لستُ عالماً بالسرّ و الخفيات لأُطلع على باطنكم و الحلم الذي
ترونها .

إنّ عالم الموت و حالات الإحتضار و مشاهدات المحتضر من
هذا القبيل ، كما أنّ المسرّات و المخاوف التي تتملّك الانسان عند النزع
لا يطلع عليها شخص آخر ، فمخاوف المحتضر و ما يوسّع عليه من أمره
و سائر صور إدراكاته هي من هذا القبيل أيضاً .
وكذلك فإنّ رؤية ملك الموت و انفتاح أبواب الجنة أو أبواب
الجحيم ، و سكرات الموت و سائر الحالات المشهودة للانسان عند الموت
كلّها أمور روحية و ليست جسميّة .
يسقط جسم الإنسان الى الأرض عند موته في حين تتحرك الروح الى
محلّها الذي ينبغي عليها الذهاب اليه ، كما أنّ ملك الموت الذي يُباشِر
إخراج الروح ليصحبها معه لا شأن له بالجسد ، فتلك هي وظيفة عائلة الميت
و أوصيائه و مشيئته في أن يأخذوا الجنازة فيدفنوها حسب المراسم
والأحكام الشرعيّة .

وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَأَنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ * قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ١.

إن مُنكري المعاد هؤلاء يقولون في مقام الاعتراض : اتنا حين يصادفنا الموت فنفنى و نتلاشى في أعماق الأرض و نصبح تراباً و رماداً ، و حين تتناثر جميع ذرات وجودنا في كل صوب و حذب ؛ أفعود للحياة من جديد فترتدي رداء الوجود في هيكل و خلقٍ جديد ؟ !!

بلى ، ان هؤلاء يُنكرون لقاء ربهم ، و يكفرون بالسير الروحي و لقاء الحضرة الأحديّة . فقل لهم ايها النبي : انّ ملك الموت يتوفاكم و يأخذكم ، بيد انّ ما يتحرّك عند الموت و يذهب هو أنتم ، و هو حقيقتكم و نفسكم . فليفرّق و يفتّت جسمكم و يفنى تحت الأرض ، فليس هو الذي يحدّد و يعيّن نفسكم ، فلم يكن ذلكم الآ رداءكم الذي إن خُلع من بدنكم لم يتغيّر بانخلّعه وجودكم .

إنّ ملك الموت ذلك الذي يُسيطر عليكم و الذي وكلّه الله بمراقبة نفسكم ، هو الذي سيأخذكم من عالم الطبع و المادّة الى عالم البرزخ ، و هو الذي يترك الجسد ليجري له ما سيجري من الأحكام ، و هكذا فإنّ ورود الانسان في عالم البرزخ يمثل ورود نفس الانسان بصورتها البرزخيّة و المثاليّة .

لقد عاشت نفس الانسان في الدنيا مدّة ما أنست فيها بعالم الطبع و بالذات الماديّة ، فما رأته بعينيها انعطف قلبها اليه ، و ما سمعته بأذنيها و التذّت به انعطف قلبها نحوه ، و هكذا ارتبطت النفس مع عالم الطبع

١- الآية ١٠ و ١١ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

و المادّة بواسطة الحواس الخمسة ، و تمتعت بمتعتها و ملاذها المادّية
عن طريق نوافذ الإدراك و سبله هذه .

ز دست ديدنه و دل هر دو فرياد

که هر چه دیده بیند دل کند یاد^۱

القلب هو تلك النفس التي كانت في الدنيا ، و التي ألفتها ببريقها
وزخرفها و اكتسبت عادات الناس و آدابهم و تقاليدهم و تعاملت بها مدّة ،
و التي التذّت بصور الدنيا و مناظرها فزاد تعلّقها بها يوماً بعد آخر .

و ها هي الآن تريد مغادرة الدنيا و الورود في عالم لا تألفه و لا تعلم
عنه شيئاً عالم لا يشبه عالم الدنيا بأيّ وجه من الوجوه .

ولو كانت النفس قد أعدت في هذه الدنيا أسباب ألفتها و معرفتها
بذلك العالم ، ولو كانت أعدت زاد رحيلها و اكتسبت معرفتها و ألفتها
بباطنها ، لتمكّنت من التحرك بسهولة و يُسر .

أما لو كانت لم تعدّ مستلزمات الألفة و المعرفة بذلك العالم ، ثم
انقضى عمرها فسيقّت غريبة ترتحل من موطنها الى ديار الغربة ، فإنّ
الموت سيكون آنذاك قاسياً عليها شديد الوطء ؛ فهي غريبة من جهة ،
عاجزة عن معرفة السبيل للتعرف على ذلك العالم و الألفة به من جهة
أخرى ، لأنها تفتقد المتاع الذي يمكنها عرضه هناك في سوق البيع
والشراء ، فالمتاع الذي يشترونه هناك من الانسان فيكرمونه وجوده لأجله ،
هو غير المتاع الذي يمتلك قيمةً ما في هذه الدنيا و الذي يتهافت عليه
الجميع في عالم المادّة و الغرور .

۱- يقول: الويل ممّا تفعل العين و القلب ، فكلمّا بصرت به العين كان القلب في

ذكراه .

معرفة المعاد (١)

قبض الروح ومشاهدات حال النزح تحدث بالباطن

في هذه الدنيا تمتلك النقود قيمة ، و يمتلك الذهب و الفضة قيمة ،
والجاء و المنزلة قيمة ، و القدرة و الاعتبارات الاخرى قيمة و وزناً ، كما
تمتلك كثرة الأقرباء و الأولاد و الأصدقاء و الأعوان القيمة و الوزن
والاعتبار . بيد ان هذه الأمور لا قيمة لها هناك أبداً ، و اذا ما كانت علاقة
الانسان برحمه علاقة غير الهية فانها ستنفصم هناك و تنقطع ، لأن القرابة
و الرحم قائمة هناك على أساس التقوى و الفضيلة .

لا فائدة من المال هناك ، و لا فائدة من الأعوان و الأنصار ؛ هناك
حيث لا قيمة لحيثية الانسان و شخصيته الدنيوية ، و لا لحكمه و سلطانه ،
ولو تمكن أحد أن يأخذ من الدنيا شيئاً من هذه الأمور ، فانه سيصبح هناك
شيئاً تافهاً لا قيمة له ، شيئاً كاسداً لا يرغب فيه أحد ، لأن تلك السوق غير
هذه السوق ، و ذلك الدكان غير هذا الدكان . افرضوا الآن انكم في فصل
الصيف حيث الجو حار و لاهب ، و انكم تمتلكون قدراً من الثلج هو كل
رأس مالكم و ثروتكم ؛ فستكون ثروتكم هذه ذات قيمة في الوضع الحالي
الفعلي ، لكنها بالتأكيد ستفقد قيمتها في فصل الشتاء القارس .

كما ان الشخص الماهر في فنّ النجارة ، المتبحر في النقش البارز
والحفر على الخشب ، و في زخرفة الأطباق و الأشياء و نقشها باللون
اللازوردي ، و الخبير بدقائق هذا الفنّ و أسرارته الذي يمتلك فنّه و مهارته
قدراً و قيمة و اعتباراً من كلّ الوجوه ؛ لو جاء يوماً الى مكان يحتاجون فيه
الى حدّاد و يستخدمونه بأجور استثنائية ، فانّ هذا النجار مهما قال لهم انه
خبير بفنّه ، و انه كان معزّزاً مكرّماً في مكانه السابق ، و أنّ عليهم استخدامه
في هذا العمل ، و مهما وعدهم بأنه سيقدّم لهم جميع أنواع فنون صنعة
النجارة و دقائقها على أفضل وجه ، و انه سيقنع منهم بمرتب بسيط ؛ فانّهم
سيقولون في جوابه : نحن لا نحتاج نجاراً ! و مهما امتدحت حرفتك و فنك

في الآخرة يُسئل عن بضاعة العبودية و التقوى لا غيرها

المجلس السابع

فانهما لا يفيداننا بشيء . نحن نحتاجُ حدّاداً ، فإن كان لك خبرة في فنّ الحدّادة فأهلاً بك ؛ و الآفان وجودك هنا سيكون مدعاةً للمشاكل و التأخير . و هكذا الأمر لو جاء الطبيب الاستاذ في فنّ الطبابة الى مدرسة الفلسفة فأراد أن يشغل عنوان فيلسوف و حكيم ، فيقول : انني امرؤُ عالم ، بذلتُ أتعاباً جمة ، و كان لي مطالعات و دراسة للكتب ؛ و سيردّون عليه : انّ كلامك صحيح بأجمعه ، بيد أنّ هذه مدرسة للفلسفة ، و نحن نحتاج حكيماً و فيلسوفاً . لقد بذلتَ جهوداً في فنّ الطبّ و تحمّلت المحن و المتاعب من أجله ، حتى صرتَ تعرف جميع عروق البدن و محل وجودها ، و صرتَ استاذاً ماهراً في العمليات الجراحية ، لكننا لا نحتاج طبيباً أو جراحاً . أنّك تجهل علم الحكمة و معرفة حقائق الأشياء ، فلا مكان لك هنا ! إنّ الاعتبارات و الموازين التي يمتلكها الناس في الدنيا و يقيمون على أساسها حياتهم المادية ، من المال و الولد و العشيرة و التجارة و الصناعة و الحكومة و أمثالها ، أمور تدور بأجمعها حول محور الحياة الدنيوية . و حين يتبدّل العالم و تتبدّل الحياة ، فإنّ من غير المعقول أنّ ما كان يتصدّر مستلزمات الحياة و خصائصها سينفع هناك أيضاً في تلك الحياة الأخرى مع وجود التغيير في الموضوع و التبدّل في الأحكام و القوانين و النواميس .

ان الاعتبارات التي اكتسبها الانسان في هذا العالم على أساس النفس الأتمارة لا تمتلك رخصة الورود هناك ، و ستعدّ هناك أمتعة و بضائع مهربة سيجري التحقيق بشأنها و ترمى بعيداً في الجمارك المتمركزة في حدّ الموت الفاصل بين العالمين .

أمّا اذا أراد أحد أن يصبح معه شيئاً ، فإنّ عليه ان يُنفقه في هذا العالم في سبيل الله و من أجل رضاه ؛ فالمال الذي يريد استصحابه يتوجّب

عليه أن يُنفقه هنا لينتقل تلقائياً إلى هناك.

و العلة في هذا الأمر أن نفس الإنسان ستصبح طاهرة و ملكوتية بواسطة الإنفاق في سبيل الله ، و ستألف عالم الحقائق و تتعرف عليه ، و هذه الألفة هي التي ستحظى بالتقدير هناك في ذلك العالم . إن متاع ذلك العالم هو التوحيد و العدل و التقوى و الخطو بقدم الصدق ، و التعامل بالصفاء و سلامة الطوية ، و رعاية حقوق الآخرين و عدم المساس بها ، و عدم تخطي دائرة العبودية للمعبود تعالى خطوة واحدة .

و اذا ما كان أحد يحظى في الدنيا بأي نوع من الأمور الاعتبارية فيها ، كالأولاد و العشيرة الكبيرة مثلاً ، أو بامتلاكه أفراساً مرصعة بالجواهر ؛ و اذا ما كان مستلفتاً للأنظار بجميع شؤونه بلحاظ عالم الاعتبار ، فكان أحد أبنائه دكتوراً و الآخر مهندساً ، و كان يمتلك قصرأ صيفياً يصطاف فيه و آخر يقضي فيه فصل الشتاء ، فانه مع ذلك كله لو قال هناك : ان ابني دكتور ! فانهم سيردون عليه : ما الذي جلبته لنا ؟ نحن نريد قلباً طاهراً و عقيدة منزهة سليمة .

و سيقول : ان ابني الآخر مهندس !

و يردون : كم أنفقت في الدنيا ؟ و ما الذي قدمت عن طريق ولدك المهندس هذا من أعمال الخير للناس سعياً لنيل رضا الله ؟

و سيضيف : لقد كنت أمتلك قصرأ !

فيجيئون : أكان ذلك القصر محلاً لتردد الناس و قضاء حوائجهم ؟ أكان ملجأً للأيتام و الضعفاء و المحتاجين ؟ أبسطت فيه موائدك أمام الجياع ام أنك أغلقت بابه فجعلته محلاً خاصاً لإطفاء شهواتك و للتمتع بلذائلك الشهوية ؟

هنا عالم التوحيد ، هنا عالم الحساب ، هنا عالم الجزاء و مشاهدة

عاقبة الأعمال التي اجترحتها في الدنيا حسنة كانت أم سيئة .

هذا مكان لا تراب فيه ولا هواء ، لا ضحك ولا سعادة مادية فيه ولا بكاء ولا حزن طبعي ، ليس فيه أم ولا أب ولا طائفة ولا عشيرة ، ولا ذهب ولا فضة ، ومهما شئت أن تقدم أياً من هذه الأمور كرشوة تنجيك وتبعدك عن نتائج أعمالك القبيحة فلن يجديك نفعاً ، وذلك لأن ما ينفعنا هنا وما نسأل عنه هو طهارة الباطن و تزكية الأخلاق والعمل الصالح الحسن .

ما مقدار العلم الذي جئت به ؟ وما حجم الحلم الذي جئت به ؟ وما حدّ العبودية لله التي صدرت منك ؟ ما مقدار ألفتك التي اكتسبتها بمشاهد هذا العالم بواسطة الصلاة والصيام والجهاد والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبالزكاة والخمس والصدقات وصلة الرحم وقضاء حوائج إخوانك في الدين والإيثار والمحبة ولاية أولياء الحق وأئمة الدين ؟ أهلاً وسهلاً ومرحباً بك هنا ، تفضل وتنعم واستعد بمقدار ما جئت به من هذه الأمتعة .

أما الشخص الذي لم يكتسب معرفة ذلك العالم ولم يألفه وظل غريباً عنه ، ذلك الذي عميت عيناه الملكوتيتان ، فإنه لو شاء أن يخطو إلى الأمام خطوة واحدة فإنه سيواجه الهلاك .

وما أعجب ما يصف القرآن الكريم في خطابه للنبي الأكرم حال الظالمين في سكرات الموت :

وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ

شَفَعَاءُكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ^١

و هذه الآيات تبين أن جميع الأمور و الجوانب التي يعول عليها الانسان في الدنيا تفنى و تتلاشى عند الموت . فالإنسان يعول في الدنيا على أمرين :

أحدهما المال و الثروة ، من الذهب و الفضة و الخيول المطهمة و المتاجر و الدرهم و الدينار و بيوت السكن و أمثالها من الأمور التي يستخدمها الانسان لقضاء حوائجه المعيشية .

و الثاني : الولد و الزوجة و الرفيق و الصديق و الأقارب و الشريك و أمثالهم الذين يتوكل بهم لسد احتياجاته ؛ فهو يطلب أمراً من هذا الرفيق ، و أمراً من ذاك ، و يطلب من أمه حاجة ، و من ولده حاجة ، و من الرئيس و الحاكم و كبير المحلة حاجة ، و من الثري و المقتدر حاجة ؛ فهو يتوكل بهؤلاء في مواقع الحاجة و الضرورة فيقومون بفعل ما يمكنهم فعله له ؛ و لا شيء آخر هناك غير هاتين المجموعتين .

و هكذا فإن الانسان حين يريد الإرتحال فإن الملائكة تخاطبه :

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

لقد ولدت من أرحام أمهاتكم و جئتم لا تملكون درهماً و لا ديناراً ، و لا بيتاً و لا زراعة و لا تجارة ، لا تملكون دفتر صكوك و لا كمبيالات و لا اعتباراً ، لأنكم كنتم خالين من هذه الأمور ، لا تعرفون أباً و لا أمّاً و لا أخاً ، و لا تميزون حاكماً و لا محكوماً ، و لا رئيساً و لا مرؤساً ، و لا مطيعاً و لا مطاعاً ، كأن ذلك لم يكن شيئاً مذكوراً .

١- الآية ١٣ و ١٤ ، من السورة ٦ : الأنعام .

أين كنتم هناك؟ كم كنتم طاهرين و منزهين هناك؟ لكنكم جئتم هنا فلو كنتم أنفسكم؛ وعليكم - وأنتم تريدون العودة - أن تنسوا هذه الأمور جميعاً و تركوها في زاوية النسيان، فتعودون إلينا فرادى .

ثم إن أولئك الملائكة يقومون بتفصيل ما أجملوا ذكره للإنسان، و يوضحون له إن إحدى تلك المجموعتين اللتين كنت تعول عليهما كان المال الذي تعتمد عليه و تضع عليه أساس حياتك، لكنك تركته الآن خلف ظهرك، و ودعته وداع مفارق لا يعود :

و تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ .

نحن خولناكم و أعطيناكم ما أعطيناكم من مال، و ذلك لتفيدوا منه بالطريقة الصحيحة، و لتنفقوه في مصالحكم، و في طريق الرقي و التكامل الروحي و ارتقاء مراتب الإنسانية و درجاتها، لكنكم أسأتم التصرف فيه، فأنفقتموه فيما يعود عليكم بالضرر، و أضعفتم أنفسكم به فألقيتم بها أخيراً في التهلكة، و ها أنتم قد تركتموه بأجمعه . هذا هو حساب أموالكم ! أما أولئك الأعوان و الأولاد و النساء و الرفقاء و المعارف الذين كنتم تعتمدون عليهم، أولئك الذين كانوا يعينونكم في مواقع العسر و الضرورة، و الذين كانوا يُضافون إلى قواكم لإنجاز أهدافكم و مقاصدكم فيصبحون قرناءكم، و الذين كانوا أعوانكم و مساعدكم في الأمور التي تعجزون عن مواجهتها لوحدهم، فقد فارقوكم هم أيضاً فلم يأتوا معكم هنا، لأننا لا نراهم معكم :

وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ .

لماذا لم يأت هؤلاء؟ لماذا لم يأتوا معكم بأبيكم، و أمكم، و زوجتكم، و ولدكم، و معتمد محلّتكم، و رئيسكم، و معاونكم؟
لِمَ لَمْ يَأْتِ شُرَيْكُكُمْ مَعَكُمْ؟ اننا - مهما أمعنا النظر - لا نرى معكم

منهم أحداً .

هذا عالم نراكم فيه فرادى وحيدين بكل معنى الكلمة .
ثم يبين الملائكة علة عدم تمكن الإنسان من جلب أمواله و أعوانه
معه من هنا الى هناك :
لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ .

لقد حل بينكم الفراق ، لأنكم تهاجرون من هذه النشأة الى نشأة
أخرى ، و ترحلون من هذه المدينة الى ديار أخرى لا تردها آلات
هذه الديار ولا أسبابها ، و لا تجد فيها عادات و آداب هذه الديار سبيلاً
ولا محلاً .

ذلك العالم عالم الملكوت ، و هذا العالم عالم الملك . ذاك عالم
علوي ، و هذا عالم سفلي . هناك دار الحقيقة ، و هذه دار المجاز . هناك محل
الاستقرار ، و هنا محل العبور و الانتقال .

هناك حيث يجري التعامل مع الانسان على أساس الحقائق ، و هنا
عالم الاعتبار و التفكير بالمصالح و المحافظة عليها ؛ و هناك محل التحقق
و الواقعية ، و هنا محل الأمانى و الأوهام ؛ و هناك عالم الفعلية ، و هنا عالم
الاستعداد و القابلية ؛ هناك حساب بلا عمل ، و هنا عمل بلا حساب . و لأن
هذا العالم متفاوت و متباين مع ذلك العالم موضوعاً و حكماً ، فقد تقطع
بينكم و بين اعتباراتكم في هذا العالم ، و لهذا يقولون :
وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ .

لقد خُيِّلَ لكم في الدنيا ان الآخرة تقتفي أثر الدنيا و تتمحور على
شأن من شؤونها ، فأوصيتم أن : ليقم الشخص الفلاني بتزيين مقبرتي
بالمرايا ، و ببناء قبري بالرخام ، و بإعداد أثاث المقبرة و فراشها بشكل
لائق ، و بأن يضع على الدوام مزهريتي ورد على القبر ، و ينضد حوله

الأرائك الفخمة ، و لينثر على قبري كل ليلة جمعة باقةً من الورود الياضنة .
انّ هذه أمور لا تنفع و لا تجدي شيئاً ، هذه زينة عالم الغرور لا عالم
الملكوت ، الميّت يذهب إلى الملكوت ، و ينبغي ان يُهدى له شيء ينفعه
و يُجديه .

انّ ما سينفع الميّت آنذاك الأولاد الصالحون ، و الصدقة الجارية ،
و العلم الذي خلّفه للناس لينتفعوا به ، و الإنفاق على الفقراء و الضعفاء ،
و مساعدة البؤساء ، و تربية الأيتام و تفقّد أحوالهم ، و نشر العلم و التقوى
في المجتمع ، و إقامة الصلاة و تلاوة القرآن و التدبّر فيه ، كما سينفعه طلب
المغفرة له .

أمّا هذه الزينات التي سبق ذكرها ، فعلاوة على أنّها لن تجديه نفعاً
فهي ضارّة له ، لأنّ أخذ باقات الورد إلى الميّت و إهداءها إلى قبره بدعة
و حرام ، كما أنّ تزيين القبور بهذه الأشكال المذكورة حرام أو مكروه
كراهة شديدة على أقلّ تقدير و هي أمور تؤذي الميّت . كما أنّ تجميل
المقابر بمثل هذه الكيفيّة مخالف لتعاليم الاسلام .

اننا نتخيّل - و نحن نعيش في هذه الدنيا - أنّ شؤون الآخرة تماثل
شؤون الدنيا ، و هو تفكير سقيم خاطئ ، فنجد الميّت يوصي : ادفنوني في
هذه المقبرة فأنا أخاف من الأرض التي لا سقف لها . ذلك لأنّه يتخيّل
انّ الأمر هناك كما هو هنا ، فاذا دفنوه في غرفة ذات سقف فأنّه سيكون
مُصانئاً محفوظاً ، امّا لو أودعوه التراب في ارض مستوية فإنّ الثلوج
و الأمطار ستؤذيه ، كما أنّ حركة الناس فوق قبره و مزاره ستزعجه ، و كفى
بذلك جهلاً !

لقد اصططبت الملائكة الروح إلى عالم البرزخ ، و صار البدن
المطروح في القبر طعاماً للديدان و الأفاعي ، و لقد أهلكت هذه الجهالة

جميع أفراد البشر ، و قد ضج القرآن الكريم بالنداء :

وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ .

لقد فئت خيالاتكم و أوهاكم و تبددت في رمال العدم و في تيه الضلالة . بلى ، ان منزل الآخرة يحتاج سقفاً ، و يحتاج فراشاً ، و وروداً و مرايا ؛ لكن سقفه الجنة من النار ، و هو الاجتناب عن المحرمات ؛ و فراشه الاستقرار في محل الأمن ، و ذلك هو التقوى ؛ و مرآته صفاء الباطن ليصبح محل تجلي أسماء الله و صفاته ؛ كما ان وروده نسيم الرحمة المعطر الهاب من جانب الجنة ، و هو التجلي بالجمال الالهي .

يقول مولى الموحدين و أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغه :

وَلَا يَزْدَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ ، وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُودِينَ عَلَى الْغِرَةِ - حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ؛ فَغَيَّرَ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ .

اجتمع عليهم سكرة الموت و حسرة الفوت ، ففترت لها أطرافهم ، و تغيرت لها ألوانهم ؛ ثم ازداد الموت فيهم و لوجاً ، فحبل بين أحدهم و بين منطفه ، و انه لبين أهله ينظر ببصره و يسمع بأذنيه ، و على صحة من عقله و بقاء من لبه . يفكر فيم أفتى عمره ، و فيم أذهب دهره ، و يتذكر أموالاً جمعها ، أغمص في مطالعها ، و أخذها من مصراعها و مشتباتها . قد لزمته تبعات جمعها ، و أشرف على فراقها ، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها و يتمنون بها ؛ فيكون المهنأ لغيره و العيب على ظهره ، و المرء قد غلقت رهونه بها .

فهو يعرض يده ندامة على ما أضحَرَ له عند الموت من أمره ، و يزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره . و يتمنى ان الذي كان يغبطه بها و يحسده

عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ.

فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانَهُ سَمْعُهُ، فَصَارَ
بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطَلِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي
وُجُوهِهِمْ؛ يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ.
ثُمَّ اِزْدَادَ الْمَوْتُ التَّيَاطُبَ بِهِ، فَقَبِضَ بَصَرَهُ كَمَا قَبِضَ سَمْعَهُ،
وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ
جَانِبِهِ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يُسْعِدُ بَاكِياً وَلَا يُجِيبُ دَاعِياً.
ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍ فِي الْأَرْضِ، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ، وَانْقَطَعُوا
عَنْ زَوْرَتِهِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ، وَالْأَمْرُ مَقَادِيرُهُ وَالْحَقُّ آخِرُ الْخَلْقِ
بِأَوَّلِهِ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ السَّمَاءِ وَفَطَرَهَا؛
الخطبة^١

و قد بين أئمة المؤمنين عليه السلام في صدر هذه الخطبة (الذي
تجاوزناه و لم نذكره) مسائل عن توحيد الله عز و جل، ثم عن خلقة
الملائكة، و تحدث بعد ذلك عن تمرد الناس على دعوة رسول الله
صلّى الله عليه و آله و ميلهم الى جيفة الدنيا. ثم قال بعد ذلك :
وَ مَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعَشَى بَصَرَهُ وَ أَمْرَضَ قَلْبَهُ فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ
صَحِيحَةٍ؛ حتى يصل في كلامه الى حديثه عن هذا الشخص ذي القلب
المريض و البصيرة العمياء فيذكر الكلام الذي نقلنا عباراته الشريفة .
و لقد أوردنا الخطبة الى هذا الحد حيث محل الحاجة لبيان أحوال
الشخص المحتضر عند سكرات الموت و صرفنا النظر عن نقل كلامه

١- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ج ١، طبع مصر، من الخطبة ١٠٧، ص ٢١٢ و

عليه السلام بعد ذلك في كيفية القيامة و حصولها .
و لأنّ الامام عليه السلام كان يقوم باستمرار بتوعية الأمة في خطبه ،
و تنبيهها الى هذه المواقع الخطيرة ، فإنّ خطبه الشريفة في نهج البلاغة على
اختلاف و تنوع مطالبها تدور بأجمعها على ثلاثة محاور : التوحيد ، المعاد
و الموت ، و التقوى .

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارٌ مَّجَازٍ وَ الْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ .
أيها الناس ، إنّ الدنيا محلّ للعبور و الاجتياز ، ليس لكم فيها إقامة
ولا مكث ، بل أنتم في حركة دائبة مستمرة نحن الآن جالسون هنا ، لكنّ
نفوسنا لا توقّف لها و لا مكث ؛ إنّ بدننا جالس هنا ، لكن نفوسنا في حالة
حركة .

لقد تحرّكنا جميعاً في هذه الساعة و تقدّمتنا ساعة الى الامام ، لقد
مرّت ساعة كاملة و بعُدّت بنا عن زمن ولادتنا و اقتربت بنا الى زمن موتنا ،
و كنّا في جميع لحظات هذه الساعة في حركة ، و كنّا نطوي مسيراً معيّناً بلا
لحظة من التوقّف .

في هذه الحركة لم يكن لنا أي اختيار ، و سواء كنّا أنفسنا في حالة
حركة و انتقال أم كنّا جالسين ساكنين ؛ و سواء كنّا نائمين أم يقظين ، فإنّ
هذه المسيرة ستطوى في كلّ الأحوال ، حتى نصل الى تلك النقطة المعهودة
التي تمثّل زمان موتنا . أمّا الآخرة فهي دار القرار و السكون و الهدوء ،
دار الإقامة و المكث . لقد كنّا في تحرّك و نصب و تعب في هذه الدنيا ،
و كنّا أشبه بالمسافر الذي طوى طريقه و يريد الوصول الى منزله ليخلع
ملابسه و يخلد الى الراحة و السكون .

لذا تنتهي في آخر نقطة و هي الموت ، حركة سفرنا فنخلع لباس
البدن البالي و نتخلص من كل آثاره و تبعاته ، و نتخلّع بلباس التجرد حيث

سنصبح آنذاك مستعدين للسكون والراحة .

فَخُذُوا مِنْ مَّعْرُكُمُ لِمَقَرِّكُمْ

و ذلك لأن هناك عالم الفعلية والإقامة الذي يستحيل فيه إعداد الطعام والزاد و وسائل الراحة ، لأن إعداد هذه الأمور يحصل بواسطة الحركة ، وهو الأمر الذي يحصل في هذه الدنيا التي تمثل محل الاستعداد والقابلية و ظهور المراتب الأدنى من مرتبة الفعلية .

اعملوا على أن تكون فعليّتكم جيّدة ، و صفحة أعمالكم ناجحة مقبولة ، أنهم هناك سيبدلون هويّتكم و يُطلقون عليكم اسماً آخر ، فاسعوا ان يكون ذلك الاسم اسم المؤمن و الصالح و المتقي ، لا اسم الكافر و الطالح و المتجزي .

ولو كان ذلك حاصلًا وفق الطريق الأوّل لكان ذلك المكث توأماً مع السرور و البهجة و النشاط و اللذة ، أمّا لو حصل بالطريق الثاني لجعل تلك الإقامة مشحونة بأنواع الغصص و المصائب .

وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ

احفظوا حجب عقّتكم و أستار عصمتكم و حصانتكم من أن يعث بها الشيطان أو تتلاعب بها النفس الأتارة ، و لا تهتكوها في محضر عظمة الباري المطلع على خفايا أسراركم و العالم بخفاياكم .

وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانَكُمْ

اعملوا على أساس الحق لا وفق هوى النفس الأتارة ، فإن تلك الرغبات و الميول و النزعات ستزول شيئاً فشيئاً في تلك الحال ، فيصبح قلب الإنسان طاهراً نقياً مصقّ ، و سيحل محلّ تلكم النزعات و الرغبات الحقّ و رضا الله و رغبته ، و سيجد المشابهة مع عالم الأبدية .

أمّا القلب الذي أنس بهوى النفس فإنّ سيفتقد المشابهة مع ذلك

العالم ، و سيلقه الاضطراب و القلق و عدم الاستقرار عند الموت ، اى عند خروج الروح من البدن ، ذلك الاضطراب و الفرع الذي لا يوصف .
فَفِيهَا اخْتِبرْتُمْ وَ لَغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ

لقد جئتم الى هذه الدنيا من أجل اكتساب الملكات الحميدة والعقائد المنزهة و الأفعال الحسنة الحميدة ، لذا فانهم يضعونكم في بوتقة الامتحان والاختبار ، فيمتحنونكم كل ساعة ليتشخص فيكم تقديم رغبات باطنكم على رضا الله أو عكس ذلك . بيد ان العلة من خلقكم ليست لهذه الدنيا ، بل لغيرها من عالم الأبدية و الفعلية المحضة و الاستقرار في حرم أمن الله و لقاءه .

إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ : مَا تَرَكَ ؟ وَ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : مَا قَدَّمَ ؟
ان البشر في الدنيا ينظرون اليها لا يعدونها الى سواها ، كما يعدون الشخصية و الاعتبار دائرة على محور التعينات الدنيوية من الزوجة و الولد و المال و الشغل و العشيرة و الأعوان ، لذا فانهم يتحدثون عن كيفية موقع الانسان وفق موازين الاعتبار هذه ، كما أن تجليلهم و احترامهم له يدور حول هذا المحور ، و لذلك فانهم يتفاوتون في احترامهم للميت و تكريمهم له - و هم لا يتصورون منه غير جنازته - باختلاف هذا الأساس و المحور .
أما ملائكة الله فهم ينظرون الى الملكوت ، و يعتبرون مقام الميت و منزلته هناك على أساس التقوى و الفضيلة و المعارف الإلهية و العلوم السرمدية ، لذا فانهم يتحدثون عن مكانته في هذا الحرم و يقيسون احترامهم له على هذا الأساس و المحور . و تبعاً لاختلاف هذا الأساس لديه فانهم سيختلفون في تجليله و تكريمه - أى تكريم النفس الناطقة الملكوتية التي لا يعتبرون شيئاً غيرها - و ذلك باختلاف درجات الميت و مراتبه ، و سينشغلون تبعاً لذلك بإسكانه في المنازل المختلفة التي تليق بحاله .

عبادة رسول الله لأُمير المؤمنين عليه السلام؛ و شرح مطالب تتعلق بالموت المجلس السابع

لِلّهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدُّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ قَرْضًا وَلَا تُخْلَفُوا كَلَّا فَيَكُونُ عَلَيْكُمْ^١.

أيها الناس ! أقسم عليكم بآبائكم أن تقدّموا شيئاً لسعادتكم في آخرتكم ، فيكون لكم قرضاً و ذخيرةً محفوظة عند الخالق المنان ، و يردّ اليكم يوم فاقتمكم أضعافاً مضاعفة ؛ و لا تتركوا كلّ ما لديكم في الدنيا و تخلفوه فيها فيلحقكم وباله و يكون ثقلًا تنوء به كواهلکم .
إنّ الأموال التي يجمعها الانسان في الدنيا فيرتبط بكلّ منها بعلاقة ، ثمّ تجتمع تلك العلائق فترتبط مع روحه برابطة لا تنفكّ عراها ، ثمّ يأتي الوقت الذي يتحتّم عليه فيه الرحيل فيعجز عن حمل هذه الأموال و العلائق معه ، و تظهر آثار هذا الارتباط و العقد الذي قيّد روحه و أوثقها فتثقل على روحه ، حتّى كأنّ جميع هذه الأموال و العلائق قد وُضعت على كتفيه فأمر بحملها .

يروى المرحوم الكليني في كتاب الكافي عن عليّ بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام اشتكى عينه فعاده النبيّ صلّى الله عليه و آله فاذا هو يصيح . فقال له النبيّ صلّى الله عليه و آله أجزعاً أم وجعاً ؟ فقال : يا رسول الله ! ما وجعتُ وجعاً قطّ أشدّ منه .

فقال : يا عليّ ! إنّ ملك الموت إذا نزل لقبض روح الكافر نزل معه سفود من نار فنزع روحه به فتصيح جهنّم .

فاستوى عليّ عليه السلام جالساً فقال : يا رسول الله أعذّ عليّ حديثك

١- نهج البلاغة ، الخطبة ٢٠١ ، ص ٤١٨ محمد عبده طبع مصر... و هذه الفقرات

المذكورة هي من خطبة واحدة .

فقد أنساني وجعي ما قلت . ثم قال : هل يُصيب ذلك أحداً من أمتك ؟ قال :
نعم ! حاكمٌ جائرٌ و آكلُ مالِ اليتيم ظُلماً ، و شاهدُ زورٍ^١ .
و يروي المرحوم الصدوق في كتاب «معاني الأخبار» عن محمد بن
القاسم الجرجاني ، عن أحمد بن الحسن الحسيني ، عن الحسن بن علي ،
عن أبيه ، عن محمد بن علي ، عن أبيه عليهم السلام قال : دخل موسى بن
جعفر عليه السلام على رجل قد غرق في سكرات الموت و هو لا يُجيب
داعياً ، فقالوا له : يا ابن رسول الله وددنا لو عرفنا كيف الموت و كيف حال
صاحبنا . فقال : الموت هو المصفاة يصفّي المؤمنين من ذنوبهم فيكون
آخر ألم يُصيبهم كفارة آخر وزرٍ بقي عليهم ، و يصفّي الكافرين من
حسناتهم فيكون آخر لذة أو راحة تلحقهم ، و هو آخر ثواب حسنة تكون
لهم ، و أما صاحبكم هذا فقد نُخل من الذنوب نخلاً ، و صُفّي من الآثام
تصفيةً ، و خلص حتى نقي الثوب من الوسخ ، و صلح لمعاشرتنا
أهل البيت في دارنا دار الأبد^٢ .

إن سكرات الموت الشديدة و العسيرة على الكفار و أهل الجحود
و الإنكار ، و على أهل الذنوب الكبيرة المتعلقة بحقوق الناس ، هي في الوقت
نفسه يسيرة للمؤمنين و أهل اليقين و الورع الذين يحفظون حقوق الآخرين ،
و لذية إلى الحد الذي يجعل هؤلاء غير راغبين في العودة إلى الدنيا ، ولو
خيروا بين الذهاب للآخرة أو العودة للدنيا لفضّلوا للهاق بالعالم الأبدى .

قصة ملاقة أحد أقاربنا لملك الموت و الخمسة الأطهار و الإمام

موسى بن جعفر عليهم السلام :

١- «فروع الكافي» ، كتاب الجنائز ، باب النوادر ، ص ٧١ من الطبعة الحجرية ؛ و ص

٢٥٣ من طبعة مطبعة الحيدري .

٢- «معاني الأخبار» ، ط الحيدري ، ص ٢٨٩ ، باب معنى الموت .

قصة الملاقاة مع ملك الموت والخمسة الأطهار والإمام موسى بن جعفر المجلس السابع

نقل لي أحد أقاربنا الأجلاء من أهل العلم ، وكان يسكن في سامراء ، ثم في الكاظمين ، و يقطن حالياً في طهران ، فقال : ابتليتُ بمرض الحصبة الشديد أتيام كنتُ في سامراء ، فعالجوني هناك مدةً بلا جدوى . ثم اصطحبني والدتي و اخوتي من سامراء الى الكاظمين للمعالجة ، فاستأجروا غرفة في احدى الفنادق القريبة من الصحن المطهر و شرعوا بمعالجتي هناك ، بيد ان ذلك لم يؤثر شيئاً ، وكانت حالتي تزداد سوءاً حتى غبتُ عن الوعي . ثم أنهم - وقد يشسوا من معالجة أطباء الكاظمين - ذهبوا يوماً الى بغداد فجاؤا بطبيب مخالف الى الكاظمين ليقوم بمعالجتي .

جاء الطبيب و اقترب من فراشي و أراد الشروع بالمعانة و الفحص ، فأحسست على الفور بثقل جعلني أفتح عيني بلا اختيار ، فرأيت ان هناك خنزيراً واقفاً عند رأسي ، و لم أتمالك نفسي فبصقت في وجهه .

صاح : ماذا تفعل ، ماذا تفعل ؟ أنا دكتور ، أنا دكتور !

فأشحتُ بوجهي الى الحائط ، و شرع الدكتور بالمعانة ، ثم أصدر تعليماته و كتب وصفةً بالدواء .

و هكذا فقد جلبوا الدواء الذي وصفه ، و عملوا بتعاليمه بحذافيرها ، الا انها لم تنفع شيئاً ، و كنتُ ألفظ أنفاسي الأخيرة .

ثم رأيتُ ان عزرائيل قد دخل بملابس بيضاء ، و كان جميل و سيم الطلعة هاشماً باشاً . ثم قدم الخمسة الأطهار : الرسول الاكرم و أمير المؤمنين و فاطمة الزهراء و الامام الحسن و الامام الحسين عليهم السلام بالترتيب و جلسوا جميعاً يطيبون خاطري ، فانشغلتُ بالتحدث اليهم ، و شغلوا هم أيضاً بالتحدث مع بعضهم البعض .

و في هذه الحال التي كنتُ فيها مُغمى علي ظاهراً ، شاهدت أُمي مضطربة هلعة و قد صعدت درجات السلم الى سطح الفندق و توجهت الى

القبة المطهرة للإمام موسى بن جعفر عليه السلام و قالت :
يا موسى بن جعفر ! لقد جئتُ بولدي الى هنا من أجلك ، أفترضى أن
أدفنه هنا و أعود لوحدي ؟ ! حاشا وكلاً ، حاشا وكلاً .
(و بالطبع فقد شاهد هذا المريض هذه المناظر ببصيرته و عينه
الملكويتية لا بعيني رأسه ، فقد كانت عيناه مغمضتين و بدنه على مشارف
الرحيل) .

و عندما كانت والدتي منهمكة في مخاطبة الامام موسى بن جعفر
والتضرع اليه ، شاهدته عليه السلام و قد جاء الى غرفتنا فقال لرسول الله :
أرجو أن توافقوا على رجاء أم هذا السيد !
فالتفت رسول الله صلى الله عليه و آله الى عزرائيل و قال : فلتذهب
الى الوقت الذي عينه الله تعالى ، فلقد أمد الله عمره بتوسل والدته ، و نحن
أيضاً نذهب الى وقت آخر إن شاء الله تعالى .
ثم هبطت والدتي السلم ، و جلستُ أنا في غاية العصبية من فعلها ،
و كنتُ أقول لها : لماذا فعلت ذلك ؟ لقد كنتُ على و شك الذهاب مع
أمير المؤمنين و مع النبي و مع فاطمة الزهراء و الحسنين عليهم السلام
فجئت و منعني و لم تركيني أذهب معهم !

قصة أحد أعظم النجف و ملاقة زوجته مع أمير المؤمنين في حال
سكرات الموت :

نقل لي أحد مفاخرنا الأعزاء و من أعظم اهل العلم في النجف
الأشرف حالياً و من الرجال الأجلاء المحترمين فقال : لقد اخترت زوجة
في النجف الأشرف ثم سافرنا في فصل الصيف الى ايران لزيارة الأرحام
والأقارب ، فزرنا ثامن الأئمة عليه السلام ، و عرجنا من هناك الى مدينتي

التي كنت أقطن فيها ، وهي بالقرب من مدينة مشهد.

و صادف أن جَوَّ تلك المنطقة و ماءها لم يناسب مزاج زوجتي فسقطت مريضة ، و صارت حالها تسوء يوماً بعد يوم ، و لم تنفع معها المعالجات التي عملناها لها ، حتى أشرفت على الموت . و كنت واقفاً عند جسدها مضطرباً أرى زوجتي تلفظ أنفاسها في تلك اللحظات ، و أرى أن عليّ العودة الى النجف وحيداً خجلاً أمام والدها و والدتها اللذين سيقولان : لقد أخذ فتاتنا العروس فدفنها هناك و عاد .

كان الاضطراب و القلق العجيب يلف كياني ، فهرعتُ فوراً الى الغرفة المجاورة فصلّيت ركعتين و توسلت بإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف و قلت : يا وليّ الله ! اشف زوجتي . يا وليّ مصدر الفعل الالهيّ ، أن هذا الأمر بيدك و في استطاعتك !

توسلت الى الامام في ضراعة و التجاء ، ثم عدت الى الغرفة فشاهدتُ زوجتي جالسة تجهش بالبكاء ، فصاحت حالما رأتني : لماذا منعني ؟ لماذا منعني ؟ لماذا لم تدعني ؟

لم أفهم ما تقول ، و تصوّرت ان كلامها عاديّ ، و أنّ حالها وخيمة ، ثم سقيتها ماءً و أطعمتها شيئاً من الغذاء ، فشرحت لي قضيتها و قالت : لقد جاء عزرائيل لقبض روحي ، و كان يرتدي ملابس بيضاء ، و سيماً متجملاً و مزيّناً ، فابتسم في وجهي و قال : أحاضرةُ أنتِ للمجيء ؟ قلتُ : بلى .

ثم جاء أمير المؤمنين عليه السلام فلاطفني كثيراً في رحمة و مودة ، ثم قال : أريد الذهاب الى النجف ، أترغبين أن نذهب معاً الى النجف ؟ قلتُ : بلى ، أحب كثيراً أن آتي معكم الى النجف .

ثم نهضتُ فارتديت ملابسني و تهيّأت للذهاب مع الإمام الى

معرفة المعاد (١)

قبض الروح و مشاهدات حال النزع تحدث بالباطن

النجف الأشرف ، و حالما أردت الخروج معه من الغرفة شاهدتُ إمام الزمان عليه السلام و قد جاء و أنت متعلق بأذياله ، فقال لأمير المؤمنين : لقد توسل هذا العبد بنا ، فاقضوا له حاجته !

فأطرق أمير المؤمنين عليه السلام برأسه ، ثم قال لعزرائيل : اذهب الى الوقت المعين حسب طلب المؤمن المتوسل بولدا . ثم ودعني أمير المؤمنين و خرج . فلمَ لم تدعني أذهب ؟

إن هذه من الحقائق ، و ناقل هذه القضية و زوجته - و هي من الصالحات - كلاهما على قيد الحياة .

لقد ورد في كثير من الروايات أن أمير المؤمنين عليه السلام يحضر عند جسد المحتضر في سكرات الموت ، فإن كان مؤمناً متمسكاً بالولاية اصطحبه معه الى الجنة .

ای که گفתי فَمَنْ يَمُتْ يَرَنِي

جان فدای کلام دلجویت

کاش روزی هزار مرتبه من

مردمی تا بینمی رویت^۱

أن أمير المؤمنين يتصل بالانسان من خلال عين الانسان الملكوتية ، و أذنه الملكوتية ، و قلبه الملكوتي ، فيأخذه معه الى الملأ الأعلى .

ما أكرم و اجمل هذا اللقاء و الزيارة للمؤمن ! و ما أبعثه على السعادة

حقاً!!

١- يقول الشاعر :

فديتُ بروحي كلامك الحبيب
عسى محياك يطلع لي من قريب

یا مَنْ قَالَ مَنْ يَمُتْ يَرَنِي
ليتني ألف مرة مُتُّ كلَّ يومٍ

لقد ورد في كثير من الروايات أن أمير المؤمنين يحضر عند جسد المحضر
المجلس السابع

شب رحلت هم از بستر روم تا قصر حورالعین
اگر در وقت جان دادن تو باشی شمع بالینم
صبحا الخیر زد بلبل کجائی ساقیا برخیز
که در سر میکنند غوغا خیال خواب دوشینم
اگر غیری بجای من گزیند دوست حاکم اوست
حرامم باد اگر من جان بجای دوست بگزینم
زتاب آتش دوری شدم غرق غرق چون گل
بیار ای باد شبگیری نسیمی زان عرق چینم^۱

۱- یقول:

لو شهذتني أواناً احتضاري
و أنرت كالشمع ليلي فصار نهاري
لسافرث لا شك ليلة موتي
و يمتك قصر الحور في أسفاري
شدى العندليب بأنغام صباح الـ
خير - فقم يا أيها الساقى
فحلم الأمس قد طوف في رأى
سسي خيالات بلا راقى
إن باعني الحبيب يوماً واشترى غيري
فلسك مخالفاً أمراً يمضيه
و لكن اختيار سواء من قلبي
حرام لا أعارفه، و ذنب لا أوافيه
اصطليث بنار هجر ككالورد
فتميت عطرا
فهايت من قلنسوة الخيل يا صبا
نسائم خلوة تترى

بلى ، لقد حضرت الأرواح الطيبة عند بدن أمير المؤمنين نفسه عند موته فدعوه الى الرحيل .

كتب المرحوم المجلسي (رضوان الله عليه) يقول ، نقلاً عن بعض الكتب القديمة ، ضمن رواية طويلة في بيان شهادة الإمام :
 ثُمَّ أَغْمِيَ عَلَيْهِ سَاعَةً وَأَفَاقَ وَقَالَ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَعَمِّي حَمْزَةٌ وَأَخِي جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ
 وَكُلُّهُمْ يَقُولُونَ : عَجَلْ قُدُومَكَ عَلَيْنَا فَإِنَّا إِلَيْكَ مُشْتَاقُونَ . ثُمَّ آدَارَ عَيْنَيْهِ فِي
 أَهْلِ بَيْتِهِ كُلِّهِمْ وَقَالَ : أَسْتَوْدِعُكُمْ اللَّهَ جَمِيعاً سَدَّدَكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً حَفَظَكُمْ
 اللَّهُ جَمِيعاً خَلِيفَتِي عَلَيْكُمْ اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ خَلِيفَةً . ثُمَّ قَالَ : وَعَلَيْكُمْ
 السَّلَامُ يَا رَسُولَ رَبِّي ، ثُمَّ قَالَ : لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ
 اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ . وَعَرَقَ جَبِينَهُ وَهُوَ يَذْكُرُ اللَّهَ كَثِيراً ، وَمَا زَالَ
 يَذْكُرُ اللَّهَ كَثِيراً وَيَشْهَدُ الشَّهَادَتَيْنِ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَغَمَضَ عَيْنَيْهِ وَمَدَّ
 رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ وَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ
 مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ !

فَهْرَسُ التَّالِيفَاتِ

بسم الله الرحمن الرحيم
تُعلن مؤسسة ترجمة ونشر
(دورة العلوم والمعارف الإسلامية)
من تأليفات
العلامة آية الله الحاج السيّد محمّد الحسين الحسيني الطهرانيّ

أنّ الكتب المؤلّفة لسماحته كالاتي :
دورة المعارف ، و تشمل أقساماً ثلاثة :

١ - معرفة الله (١)

٢ - معرفة الإمام (٢)

٣ - معرفة المعاد (٣)

دورة العلوم ، و تشمل أقساماً أربعة :

١ - الأخلاق والحكمة والعرفان (٤)

٢ - الأبحاث التفسيرية (٥)

٣ - الأبحاث العلمية والفقهية (٦)

٤ - الأبحاث التاريخية (٧)

فهرس التأليفات

دورة العلوم و المعارف الإسلامية

(١)

معرفة الله

١ - معرفة الله (الله شناسی)

أصل هذه الأبحاث دورة تفسيرية جرى فيها المذاكرة و التحرير من الآية المباركة «اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ» إلى «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» .
و قد جرى البحث و المذاكرة في هذه الأبحاث عن مسألة التوحيد الذاتي و الأسمائي و الأفعالي للذات المقدسة للحق تعالى ، و عن كيفية نشوء عالم الخلقة ، و ربط الحادث بالتقديم ، و نزول نور الوجود في مظاهر الإمكان ، و حقيقة الولاية و ربط الموجودات بذات الباري تعالى ، و عن لقاء الله و الوصول إلى ذاته المقدسة بفناء الوجود المجازي المعار و اندكاه في الوجود المطلق الأصيل الحقيقي .
و لم تُطبع هذه المجموعة حتى الآن .

دورة العلوم و المعارف الإسلامية

(٢)

معرفة الإمام

١ - معرفة الإمام (امام شناسی - انتشارت حکمت)

مجموعة من البحوث التفسيرية ، الفلسفية ، الروائية ، التاريخية و الاجتماعية في الإمامة و الولاية بشكل عام ، و في إمامة و ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب و الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين بشكل خاص ؛ و ذلك في هيئة دروس استدلالية علمية متخذة من القرآن الكريم و الروايات الواردة عن الخاصة و العامة ، و أبحاث حلية و نقدية عن الولاية .

و تضم هذه المجموعة (٢٧٠) درساً في ثمانية عشر مجلداً ، طبع منها حتى

فهرس التأليفات

الآن اثنا عشر مجلداً بالفارسية ؛ و قد جرى فيها مناقشة و بحث مطالب من قبيل :
 العصمة ، الولاية التكوينية ، لزوم الإمام الحي ، لزوم متابعة الأعلم ، ضرورة وجود
 الإمام للمجتمع ، معنى الولاية ، شرح حجة الوداع ، شرح واقعة غدیر ختم ، أحاديث
 الولاية ، حديث المنزلة ، شرائط القيادة ، علم الغيب و مجموعة علوم و قضايا و
 محاکمات أمير المؤمنين عليه السلام ، معية الإمام للقرآن في جميع العوالم ، حديث
 الثقلين ، تقدم الشيعة في جميع العلوم ، كتب الشيعة المؤلفة ، مباحث عن الصحيفة
 السجادية ، سير علوم الشيعة و تأريخهم من صدر الإسلام ، عظمة مدرسة الإمام
 الصادق عليه السلام و مقامها العلمي ، الرد على نظريات و عقائد المذاهب المختلفة
 لأهل السنة في الأصول و الفروع ، العلوم العالمية للإمام الصادق عليه السلام ، العلوم
 الإسلامية للإمام الصادق عليه السلام ، خلود مدرسة الإمام الصادق عليه السلام ، و قيام
 معاوية لإفناء آثار النبوة و تبديلها إلى سلطنة و ...

دورة العلوم و المعارف الإسلامية

(٣)

معرفة المعاد

١ - معرفة المعاد (معاد شناسی - انتشارت حکمت)

تشمل ٧٥ مجلساً في كيفية سير الإنسان و حركته في الدنيا و عالم الغرور ، و
 كيفية تبدل نشأة الغرور إلى عالم الحقائق و الواقعات و ارتحال الإنسان إلى الله و
 غاية الغايات .

و تقع هذه المجموعة في عشر مجلدات طُبعت بأجمعها بالفارسية ؛ و قد جرى
 فيها على نحو وافي و مستفيض طرح مباحث من قبيل : عالم الصورة و البرزخ و كيفية
 ارتباط الأرواح هناك مع هذه العوالم ، كيفية خلق الملائكة و وظائفهم ، النفخ
 في الصور و موت جميع الموجودات ثم إحيائها و قيام الإنسان في ساحة الحضرة
 الأحديّة ، عالم الحشر و النشر و الحساب و الكتاب و الجزاء و العرض و السؤال و

فهرس التأليفات

الميزان والصراط والشفاعة والأعراف والجنة والنار؛ وذلك بالاستفادة من الآيات القرآنية وأخبار المعصومين ومن الأدلة العقلية والفلسفية والمطالب الذوقية والعرفانية .

دورة العلوم والمعارف الإسلامية

(٤)

الأخلاق والحكمة والعرفان

١ - رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم

(رسالة سير وسلوك منسوب به بحر العلوم - انتشارت حكمت)
جرى في هذه الرسالة، إضافة إلى شرح حال المرحوم بحر العلوم وصحة انتساب هذه الرسالة له، بيان حقيقة ومقصد السلوك إلى الله سبحانه، كيفية السلوك إلى الله وآثاره، وطريقة ذكر العلامة بحر العلوم، وذلك بشرح مفصل من قبل العلامة آية الله مد ظله .

٢ - رسالة لبّ اللباب في سير وسلوك أولي الألباب

(رسالة لبّ اللباب در سير وسلوك أولي الألباب - انتشارت حكمت)
أصل هذه الرسالة أس ومخّ أول دورة من الدروس الأخلاقية والعرفانية للعلامة المفسر والحكيم العارف آية الله العظمى الطباطبائي قدس سره في الحوزة العلمية في قم، وقد دوّنت من قبل سماحة العلامة آية الله مد ظله بعنوان تقريرات، ثم طُبعت مع تنقيحات وإضافات لسماحته .

وقد جرى في هذا الكتاب ذكر كيفية السير والسلوك إلى الله بشكل إجمالي وتفصيلي، وشرح تفصيلي للعوامل المقدمة على عالم الخلو، وطرح مباحث من قبيل الشرائط اللازمة للسلوك، مراتب المراقبة، لزوم الأستاذ، والطرق المختلفة لنفي الخواطر، وذلك بأسلوب جامع وجميل .

فهرس التأليفات

٣ - التوحيد العلمى والعينى (توحيد علمى وعينى - انتشارت حكمت)
سلسلة رسائل حكمية و عرفانية بين آيتين علمين هما : الحاج السيد أحمد
الكربلائي و الحاج الشيخ محمد حسين الاصبهاني (الكمباني) حول بيت واحد
من الشعر للعطار التيسابوري ، حيث فسّر كل من هذين العلمين ذلك البيت وفق مذاقه
في العرفان و الحكمة .

و بسبب اشتغال هذه الرسائل على مباحث دقيقة توحيدية عرفانية و فلسفية
برهانية ، فقد كتب سماحة العلامة الطباطبائي قدس سره ضمن دروسه في الحوزة
العلمية في قم تذييلات و محاكمات من ستة أقسام على الرسائل الثلاث الاولى
المتبادلة بين المرحومين الشيخ و السيد ، ثم حرّر سماحة العلامة آية الله مدّ ظله
ثمانية تذييلات على الرسائل الأربع الأخرى للمرحومين المذكورين بعنوان تتمّة
لتذييلات العلامة الطباطبائي .

و قد جيء في هذه المجموعة بمقدّمة حول هوية أصل الرسائل و العرفاء
الأجلاء الذين جرى التطرّق إلى أسمائهم فيها .

٤ - الشّمس الساطعة (مهر تابان - انتشارت باقر العلوم عليه السلام)
يمثّل هذا الكتاب تأيين و محاورات التلميذ مع العلامة العارف بالله و بأمر الله
السيد محمّد حسين الطباطبائي التبريزي قدس الله تربته ، و يشمل قسمين يتطرّق
سماحة العلامة آية الله المؤلّف مدّ ظله في أولهما لبيان تأريخ حياة العلامة
الطباطبائي قدس سره و أسلوبه العلمي و الفلسفي و العرفاني و التفسيري و لبيان
أحوال ثلّة من الأجلاء ، في حين يتطرّق في القسم الثاني إلى ذكر بعض محاوراته
مع العلامة الطباطبائي التي تشمل أبحاثاً قرآنية و فلسفية و عرفانية و أخلاقية و علمية
و تأريخية .

٥ - الرّوح المجرد (روح مجرّد - انتشارت حكمت)

فهرس التأليفات

في تأيين الموخذ العظيم و العارف الكبير الحاج السيد هاشم الموسوي الحدّاد
أفاض الله علينا من بركات تربته ، من أقدم و أفضل تلامذة الأخلاقي الكبير العارف
بالله و بأمرالله آية الله العظمى الحاج السيد علي القاضي الطباطبائي التبريزي نفعا
الله و المسلمين من بركات علومه .

و قد ذكر في هذا الكتاب كيفيّة تشرف سماحة العلامة آية الله مدّ ظلّه
بالحضور في محضر سماحة الحدّاد ، و عن كيفيّة حياته و سيرته العملية و حالاته و
مقاماته التوحيدية و أحوال تلامذته . و تطرّق ضمن بيان أسفار سماحته إلى ذكر
المباحث التوحيدية الدقيقة ، و السلوك إلى الله ، و لزوم متابعة الأستاذ ، و إلى الدفاع
عن العرفان و العرفاء بالله ، و إلى ردة التّهم غير اللاتقة التي وُجّهت إلى محيي الدين
ابن عربي ، و إلى معنى وحدة الوجود و ...

دورة العلوم و المعارف الإسلامية

(٥)

الأبحاث التفسيرية

- ١ - رسالة يديعة (انتشارت حكمت و صدرا)
ألّفت هذه الرسالة بالعربية في تفسير آية «الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ» و
تتضمّن دروساً استدلالية في مورد جهاد و قضاء و حكومة المرأة ، و بحثاً في فلسفة
حقوق المرأة و الرجل ، و معنى تساوي حقوق المرأة و الرجل ، و حدود مشاركة
النساء في الجهاد ، و روايات و إجماع الفقهاء في عدم جواز تصدي المرأة لمناصب
الحكومة و القضاء و عدم جواز ورود النساء في مجلس الشورى .
و تضمّن هذه المجموعة مطالب تفسيرية ، روائية ، فقهية ، علمية و اجتماعية ؛
كما جرى البحث فيها - للمناسبة - عن ولاية الفقيه .
و قد تُرجمت هذه الرسالة من قبل عدّة من الفضلاء إلى الفارسية لاستفادة
العموم منها .

فهرس التأليفات

٢ - رسالة في الأشهر القمرية والشمسية (رسالة نون - انتشارت صدرا)
 بحث تفسيري ، روائي ، فقهي و تاريخي حول بناء الإسلام على السنة و
 الشهور القمرية ، جرى خلاله البحث في تفسير آية «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا
 عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ» و الخطبة المعروفة لرسول الله في منى ، و في تفسير آية
 «النسيء» .
 و من الأبحاث الأخرى لهذا الكتاب ، عدم مشروعية تبديل الأشهر القمرية إلى
 الشمسية ، التدخل المباشر للأجانب في تغيير تاريخ المسلمين على يد مجلس
 الشورى الوطني الاستعماري خلال ثلاث مراحل تدريجية ، انقراض العائلة البهلوية
 أثر إعلان نسخ التاريخ المحمدي ، و فوائد السنة القمرية و مضار السنة الشمسية .

دورة العلوم و المعارف الإسلامية

(٦)

الأبحاث العلمية و الفقهية

١ - رسالة حول مسألة رؤية الهلال (انتشارت علامه طباطبائي)
 مجموعة مراسلات و مكاتبات سماحة العلامة آية الله مد ظله مع أحد
 أساتذته في علم الأصول : المرحوم آية الله الحاج السيد أبي القاسم الخوئي تغمده
 الله برحمته في لزوم اشتراك الآفاق في رؤية الهلال لثبوت الأشهر القمرية . و يضم
 هذا الكتاب بحوثاً علمية ، فقهية ، فنية و حلية موسوعية تتضمن خمس رسائل
 للطرفين و باللغة العربية .

٢ - وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام
 (وظيفة فرد مسلمان در احیای حکومت اسلام - انتشارت علامه طباطبائي)
 مجموع مطالب هذا الكتاب التي جاءت على أساس الحقائق التاريخية على
 هيئة دروس ستة ، من إنشاء سماحة العلامة آية الله مد ظله للفضلاء من طلاب مدينة

فهرس التأليفات

مشهد المقدسة ، و بجمع و تنظيم أحد الفضلاء .
 وبعض عناوين مطالب هذا الكتاب عبارة عن : لزوم تشكيل الحكومة وإعداد
 مقدماتها ، العلاقات الأكيدة للمؤلف مع القائد الكبير للثورة سماحة آية الله الخميني
 قدس سره في تشكيل حكومة الإسلام ، سجن آية الله الخميني و النشاط الحثيث
 للمؤلف في تخليصه من الإعدام ، جريان معاهدة النقض القنصلي (كايتولاسيون) ،
 نص رسالة سماحة العلامة آية الله مد ظله حول مسودة القانون الأساسي إلى آية الله
 الخميني و اقتراحاته العشرون إلى القائد الكبير للثورة بواسطة المرحوم الشهيد
 آية الله الشيخ مرتضى المطهري ، مع صورة كيفية تشكيل ثمان عشرة لجنة مختلفة
 الأثر في الجمعية الإسلامية لمسجد القائم في طهران .

٣- ولاية الفقيه في حكومة الإسلام

(ولايت فقيه در حكومت اسلام - انتشارات علامه طباطبائي)
 تتحدث هذه المجموعة حول ولاية الفقيه في حكومة الإسلام ، و قد جرى
 بيانها بعد طبع كتاب «وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام» ، حيث جُمعت
 و نظمت من قبل اثنين من الفضلاء في مجلدات أربعة تضم ٤٨ درساً .
 و قد جرى في هذه المجموعة البحث و التحقيق في مطالب من قبيل : دلائل
 ولاية الفقيه و شرائطها و موانعها ، حقيقة ولاية الإمام و الفقيه العادل الجامع للشرائط
 و حدودها و ثغراتها ، و أسلوب الحكم في الإسلام و واجب الناس تجاهه ، و ذلك
 بالاستفادة من الآيات القرآنية و الروايات و الأبحاث الفقهية و العلمية و الشواهد
 التاريخية و الاجتماعية .

٤- نور ملكوت القرآن (نور ملكوت قرآن - انتشارات علامه طباطبائي)

هذه المجموعة في القسم الأول من دورة أنوار الملكوت (الشاملة لنور
 ملكوت القرآن ، نور ملكوت المسجد ، نور ملكوت الصلوة ، نور ملكوت الصيام ، و

فهرس التأليفات

نور ملكوت الدعاء).

وقد دَوّنت مجموعة «نور ملكوت القرآن» في أربعة مجلدات، جرى البحث خلالها عن هداية القرآن إلى أفضل مناهج وسبل السلام، خلود أحكام القرآن، عدم نسخ القرآن، التطبيق العملي لآحاد آيات القرآن في كل عصر، الرد على نظرية تحديد النسل، دور القرآن وموقعه بعنوان كتاب سماوي، نقد ومناقشة بعض الأفهام الخاطئة للآيات القرآنية الكريمة، والإشكالات الواردة على مقالة «بسط و قبض تثوريك شريعت = بسط و قبض نظرية الشريعة» وكتاب «دانش و آرزش = الفكر و القيم».

ومن العناوين الأخرى لهذه المجموعة: منطق القرآن توحيدى؛ بيان القرآن لأخطاء التوراة والإنجيل؛ أحكام القرآن في الجهاد، القتل، الاستعباد، والغدية؛ سير القرآن في آيات الأنفس والآفاق؛ بيان محكمات القرآن ومتشابهاته؛ كيفية قراءة القرآن في الصلاة وغيرها؛ تأثير القرآن في تربية الإنسان الكامل؛ عظمة أخلاق القرآن؛ بيان كيفية خلقه الإنسان والسيارات في القرآن؛ دعوة الآيات الآفاقية إلى التوحيد ومكارم الأخلاق؛ العريّة وإعجاز القرآن؛ لزوم التكلم بالعريّة لجميع المسلمين والرد على مسألة إحياء اللغات الفارسية القديمة؛ عظمة القرآن الكريم وأصاليته؛ تأثير القرآن في الحضارة العظيمة الإسلامية، تفوق علوم الإسلام على اليونان؛ بيان كيفية كتابة القرآن وطبعته؛ تأريخ التوراة والإنجيل الحاليتين؛ قاطعية القرآن وشموله؛ عمومية القرآن الكريم وامتناعه على التعبير؛ كيفية جمع القرآن وتدوينه.

وقد طبع من هذه المجموعة مجلّدان حتى الآن بالفارسية.

٥- نظرة على مقالة بسط و قبض نظرية الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش (نكرشى بر مقاله بسط و قبض تثوريك شريعت دكتور عبد الكريم سروش)
قام سماحة آية الله العلامة مدّ ظله العالى في هذا الكتاب - ضمن بيانه لعشرة

فهرس التأليفات

إشكالات مهمة من إشكالات مقالة «بسط و قبض نظرية الشريعة» للدكتور عبدالكريم سروش - بالإجابة على أحسن وجه وأتقنه على الانتقادات الواردة في هذه المقالة على حجية القرآن و خلوده و على جميع مقدّسات العالم و حقائقه .
وكان هذا الكتاب في الأصل يشكل القسم الأعظم من المجلد الثاني للكتاب «نور ملكوت القرآن»، و سيطبع مستقلاً دون تصرف نظراً لأهمية الموضوع ، و بناءً على اقتراح بعض العلماء ، و لتسهيل أمر تناوله من قبل الأساتذة و طلبة الجامعات و المحققين ، فيُهدى إلى من ينشدون سبيل الحقيقة و سُبُل السلام .

وإليك بعض عناوين الكتاب :

أصالة و خلود الدين الإلهي و محدودية الفهم البشري ، عظمة العلوم الإسلامية و تفوّقها على العلوم الحالية ، أساس الحوزات العلمية قائم على القرآن و العرفان ، إعراض دعاة الانفتاح عن المباني الإسلامية بتأثير من الثقافة الأجنبية ، بُرهان العلامة الطباطبائي في استناد العلل الطبيعية إلى العلل المجردة ، منطق القرآن حجّية العقل و اليقين لا الفرضيات الوهمية .

و الكتاب تحت الطبع في الوقت الحاضر بالفارسية .

٦- الرسالة النكاحية : الحدّ من عدد السكّان ضربة قاصمة لكيان المسلمين (رسالة نكاحية: كاهش جمعيت، ضربه اي سهمگين برپيكر مسلمين - انتشارات حكمت)
أصل هذه الرسالة قسمٌ من المجلد الأول للكتاب «نور ملكوت القرآن»، جرى فيه البحث في تفسير آية «وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ» . و نظراً لأهمية المطالب فقد استخرجت من ذلك الكتاب و طُبعت بشكل مستقلّ باسم «الرسالة النكاحية» . و بالنظر لحصول نشاطات واسعة تستلقت الأنظار في وقت طبع هذه الرسالة - حيث تنقضى سنواتٌ خمس على ارتحال الفقيه المعظم القائد الكبير للثورة الإسلامية - تحت عنوان تنظيم العائلة و الحدّ من السكّان ، فقد عمد سماحة آية الله العلامة إلى كتابة تذييلات على هذه الرسالة ، و فسر اسم الرسالة النكاحية بعطف جملة «الحدّ

فهرس التأليفات

من عدد السكّان ضربة قاصمة لكيان المسلمين، حيث جرى في هذه التذييلات التي ضمت ثلاثة عشر مطلباً، تحليل مسألة الحدّ من السكّان من وجهة نظر القرآن و الإسلام، كما أزيح الستار فيها عن السياسات الاستعمارية الخادعة الرامية إلى تقليل قوّة المسلمين .

و بعض العناوين التي تتصدّر هذه التذييلات هي :

الهجوم العنيف للاستكبار العالمي بعد ارتحال القائد الكبير الفقيد للشوّة ؛
عدم الرجوع إلى رأى المجتهدين و الفقهاء حتّى إلى فتوى آية الله الخميني (ره) ؛
وجهة نظر سماحة آية الله الخامنّي في مسألة تقليل السكّان ؛ احصائيات خسائر النساء و الرجال في خصوص مسألة إغلاق الأنابيب ؛ حُرمة إغلاق الأنابيب و تعلق الدية الكاملة بها ، تضادّ فلسفة الإسلام و روح الإيمان مع تقليل السكّان .

٧- رسالة مسودة القانون الأساسي

(نامة پيش نويس قانون اساسى - نشر انجمن اسلامى مسجد قائم طهران)
تبدأ هذه الرسالة بالآية الكريمة «وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ» ، و تعكس وجهات نظر سماحة العلامة آية الله مدّ ظلّه الحاكّية عن دقّة نظره و تبصّره في المسائل الدينيّة و السياسيّة . و قد جرى في تلك الرسالة نقد و إصلاح أصول مسودة القانون الأساسي وفقاً للموازين و المعايير الإسلامية .

دورة العلوم و المعارف الإسلامية

(٧)

الأبحاث التاريخية

١- لَمَعَاتُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام (انتشارات باقر العلوم عليه السلام)
حاوية لبعض كلمات و مواظظ و خطب سيّد الشهداء أبى عبدالله الحسين عليه السلام مع ترجمتها و ذكر مصادرها من الكتب المعتمدة ، و هي - لاختصارها و

فهرس التأليفات

بساطها - قابلة للحفظ من قبل العموم ، و خاصة طلاب العلوم الدينية و طلبة الجامعات الملتزمين .

٥ - الهدية الغديرية : رسالتان قاتمة و مشرقة

(هدية غديرية : دو نامه سياه و سپيد)

و تشمل هذه الكراسة رسالة من أمير أهل الخلاف في بخارا و جوابها من قبل أمير أهل الولاء في خراسان ، حول ولاية أمير المؤمنين عليه السلام و خلافته بلا فصل ، جرى تبادلها قبل قرنين من الزمن ؛ و يمكن عدها لإنشائها الرائع و منطقها المتين و بُرهانها السديد و خطها الجميل الظريف من بدائع التحريرات . و قد طبعت هذه المجموعة مع مقدمة و تحقيق من قبل سماحة العلامة آية الله مد ظله ، و أُهديت بمناسبة العيد السعيد لغدير خم إلى الإخوة المؤمنين و الطلبة المتتبعين لمعارف أهل اليقين .

* * *

هذه هي مجموعة الكتب التي ألّفت حتى الآن من قبل المؤلف زيد عزّه ، و التي بادرت «مؤسسة ترجمة و نشر دورة العلوم و المعارف الإسلامية» إلى ترجمتها و تقديمها تدريجاً إلى القراء المحترمين .



General Organization of the Arabic Library (GOAL)
Beit'Al-Hikma Al-Islamiyya

